المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء

للقاضي أبي الفتح عبد الصَّمد بن محمود بن يونس الغزنوي
(من علماء القرن الخامس الهجري)
من أوّل الكتاب إلى آخر الآية (١٠٣) من سورة البقرة

دراسة وتحقيق

الطالبة منى بنت صالح عَلُّوش صالح الزايدي
الرقم الجامعي (٤٢٧٨٠٣١٤)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن

إشراف

فضيلة الدكتور إسماعيل بن عبد الستار الميمني
الأستاذ المساعد بقسم الكتاب والسنة

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ربِّ يسر وأعِن ياكريم

الحمد لله الذي أكرمنا بالنّور المبين ، وهدانا للحقِّ اليقين ؛ كتاب الله العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنـــزيلٌ من حكيمٍ حميد ، فضمنَ جلَّ ذكره حِفظه فقال : ﴿ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں﴾[1] ، ونَسخ به كلَّ كتاب أنزله قبله ، لا تزيغ به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يَخْلَقُ[2] عن كثرة الرَّد ، ولا تنقضي عـــبره ، ولا تفنى عجائبه ، فهو المعجزِ ما بقَى الدهر ، وكَّلَ به سبحانه قومًا من خواص عبيده ، يحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويعظمون أحكامه ، لا يخرجون من الحقِّ ، ولا يـــدخلون في الباطل ، ﴿ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ﴾[3] .

سألتم إخواني وأصحابي ــ رحمكم الله وإيايّ ــ بعد ما دارستكم تفســير كتـــاب الله سبحانه وتعالى ، وتلقفتموه منّي مرَّاتٍ ، وختماتٍ ، أن أمليَ عليكم تفســيرًا متوســطًا؛ يجمع من مسموعاتي الأقاويل المستحسنة ، والفوائد المستنبطة ، ويشير في الأصول والفروع إلى الحقِّ المتبوع ، فأجبتكم إلى ذلك ؛ لفائدةٍ تَرجع إليّ وإليكم دِينًا ودُنيا ؛ إذ كان كتاب الله هو الأصل في الدين ، والأعود نفعًا للمسلمين ، ولولا ما منَّ الله تعالى علـــى أئمتنـــا المتقدمين ــ رحمة الله عليهم أجمعين ــ بتوفيقه إيَّاهم ؛ بتحقيق النظر في هذا العلم ؛ بحثًا عــــن غوامضِــــه ، ودقائقِــــه ، وإحاطــــةً بمحكمِــــه[4]،

---

(١) الآية : ٩ من سورة الحجر .

(٢) يَخْلَق : يَبْلى . ينظر : العين ؛ للخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : د مهـــدي المخزومـــي و د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، (١٥١/٤) مادة (خلق) ، وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس ، تأليف : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، دار الهدايـــة ، (٢٥٥/٢٥) مـــادة (خلق) .

(٣) الآية : ٤ من سورة الجمعة ، ومن الآية : ٢١ من سورة الحديد .

(٤) الـــمُحْكَم هو : ما عرف المراد منه ، وقيل : ما وضح معناه ، وقيل ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهًا واحدًا ، وقيل غير ذلك . الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ جلال الدين عبد الـــرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ / ١٤٢٦هــ - ٢٠٠٦م ، المكتبة العصرية

ومتشابهِه[١]، وفضائلِه ، وفرائضِه ، ورُخصِه[٢]، وعزائمِه[٣]، ومجملِه[٤]، ومفسَّرِه[٥]، وعمومِه[٦]، وخصوصِه[٧]، ومطلقِه[٨]، ومقيدِه[٩]، وناسخِه[١٠]، ومنسوخِه[١١]، واستعارتِه[١٢]، وحقائقِه [١٣]، وأوامرِه ، ونواهيه ، لما أمكنهم تدوين كتب الفقه ، وتأسيس قواعده ، ومَنْ تأمَّل في كتبهم ، عَلِمَ أنّ كثيرًا من مصنفاتهم من أفراد الكتب مبني

/ بيروت ، (٣/٤٩٥) .

(١) المتشابه هو : ما أستأثر الله بعلمه ، وقيل : ما لم يتضح معناه ، وقيل غير ذلك . الإتقان في علوم القرآن (٣/٤٩٥) .

(٢) الرُّخصة هي : اسم لما أباحه الشارع عند الضرورة ؛ تخفيفًا على المكلفين ، ودفعًا للحرج عنهم . الوجيز في أصول الفقه ، للدكتور عبد الكريم زيدان ، ط٧ / ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، (ص : ٥٠) .

(٣) العزيمة هي : اسم لما طلبه الشارع ، أو أباحه على وجه العموم . الوجيز في أصول الفقه (ص : ٥٠) .

(٤) الـمُجْمَل هو : ما لم تتضح دلالته . الإتقان في علوم القرآن (٣/٥٣٠) .

(٥) والـمُفسَّر هو : ما ازداد وضوحًا على النص ، ودل بنفسه على معناه ، المفصّل على وجه لا يبقى فيه للتأويل . الوجيز في أصول الفقه (ص : ٣٤٣) .

(٦) العام هو : اللفظ المستغرق الصالح له من غير حصر . الإتقان في علوم القرآن (٣/٥٢٣) .

(٧) الخاص هو : الذي لا يستغرق الصالح من غير حصر . المرجع السابق .

(٨) المطلق هو : ما دل على الحقيقة بلا قيد . الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٥٥٧).

(٩) المقيد هو : مادل على الحقيقة بقيد . المرجع السابق .

(١٠) النسخ هو : رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي ، والناسخ في الحقيقة هو الله تعالى ، وقد يطلق الناسخ على الحكم الرافع . مناهل العرفان في علوم القرآن ؛ للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، حققه واعتنى به : فواز أحمد زمرلي ، ط٤ / ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، دار الكتاب العربي / بيروت ، (٢/ ١٣٦- ١٤٠) .

(١١) المنسوخ هو : الحكم المرتفع . مناهل العرفان (٢/ ١٤٠) .

(١٢) الاستعارة هي : أن تستعار الكلمة من شيءٍ معروف بها إلى شيءٍ لم يُعرَف بها . الإتقان في علوم القرآن (٣/٥٨٦) .

(١٣) الحقيقة هي : اللفظ المستعمل فيما وضع له . الوجيز في أصول الفقه (ص : ٣٣١) .

على آيةٍ واحدة من كتاب الله تعالى ، ومنها ما هو مبني على آيتين أوثلاثٍ ، وكيف يتفق مثل ما صنفوه مع حُسْنِ ذلك وكثرته ، إلاّ لـمَنْ يَسْتحكِم لنفسه الأصول التي لايسَعْ خِلافها أحْسَنَ الاستحكام ، ولهذا ما صارت كتبهم في الحجَّة كالجبال ، فإنَّهم هم الذين سابقوا بعد عصر الصحابة إلى كتبهم التي ألَّفُوها ، فبيّنوا فيها مواضع نصوصٍ من الشّريعة ، ومواقف الاجتهاد ، وعرضوا أخبار الآحاد على الكتاب ، والسُّنن المتواترة ، وإجماع الأُمّة ، فما وافق منها هذه الأصول الثلاثة قبلوه ، وما خالفها طرحوه ، أو تأوَّلُوه ، ثم اختاروا من المجتهدات من أقاويل المجتهدين أحسنها ، وأشبهها بالحق ، وأصوبها ، إذ كان لا يسعهم القول بجملتها مع اختلافها ، فتدبّروا ، وتناظروا [1] في ترجيح بعض الأقوال على البعض ، على يقينٍ منهم أنّ حججَ الشّرع لا تجري عليها الخلاف والنقض ، فمَنْ رام تخطِئتهم في واحدةٍ من مسائلها ، عاد خطاؤها عليه ، إنْ تَأمّل فأَحسن التّأمل ، ومَنْ لكل أحدٍ بفهمٍ به يتأمّل ، وعلم به يتدبّر ، چٱٻ ٻٻٻپپپپپڀڀٺٺٺٿٿچ[2] ، فللهِ الحمدُ على ما هدانا لهذا ، وما كنّا لنهتديَ لولا أَنْ هدانا الله ، والصّلاة على نبيٍّ الرّحمة ، وإمامِ الحكمة ؛ المنتخب من طينةِ الكرم ، وسلالة المجد الأكرم ، سيّد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وعلى آله الطيبينَ الطّاهرينَ ، ونضَّرَ اللهُ امرَأً نَظَرَ في هذا الكتاب الذي أَمليناه ، فأعمل الفكرة ، وحاور الفِطنة ، ثمّ عرف منَّة الله تعالى علينا وعليه ، بأنْ نبّهه على زيادة دلائل التوحيد ، وأكرمه بحيازة شواهد النبوّة ، وعرّفه الحلال والحرام من أحكام الملّة الحنيفيّة السّمحة السّهلة ، ووفقه للوقوف على تنزيه الله تعالى عن صفات الـمُحْدَثِينَ ، وتنزيهِ أنبيائه ورسلِه ــ صلوات الله عليهم ــ عن زلاّت المسيئينَ ؛ حفظًا للدِّين ، وردًّا على الـمُلْحدِين چۇۆۈۋۋۅچ[3] ، چېې[4]ﯘﯙﯚﯛﯜ ۆ ۈ ۋ ۅ ۉ چ[1] .

---

(١) المناظرة هي : أن تناظر أخاك في أمرٍ ؛ إذا نظرتما فيه معًا كيف تأتيانه . لسان العرب (٥ / ٢١٧) مادة (نظر) .

(٢) الآيتان : ١١٨/ ١١٩ من سورة هود .

(٣) الآية : ٢٠ من سورة الجاثية .

(٤) كُتِبت في المخطوط (دفاع) وبها قرأ نافع ، وأبو جعفر ، ويعقوب بكسر الدال ، وفتح الفاء ،

قال الشيخ الإمام ركن الإسلام ، شمس الأئمة ، وسراج الأنام [٢] ؛ أبو الفتح عبد الصمد ابن قاضي القضاة الشيخ الإمام محمود بن يونسَ _ قدَّس اللهُ روحَه [٣] ، وأطال بقاء[٤] الشيخ / الإمام _ في معنى قوله تعالى : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ﴾ : إنَّه تعليمٌ ل[٢/ب] منه سبحانه عباده ؛ ليذكروا اسمَه عند افتتاح القراءة وغيرها ؛ تَبَرُكًا به ؛ ومعناه _ والله

،

وألف بعدها ﴿ ولولا دفاع الله الناس ﴾ ، وقرأ الباقون (ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي) بفتح الدال ، وإسكان الفاء من غير ألف ﴿ ولولا دفع الله ﴾ .

ينظر : التيسير في القراءات السبع ؛ للإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو الداني ، ط٢/ ١٤٠٤هـ _ ١٩٨٤م ، دار الكتاب العربي - بيروت ، (١/ ٨٢) ، وينظر : النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٣٠) ، وانظر : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرّة ؛ لعبد الفتاح بن عبد الغني القاضي ، ط١/١٤٠٤هـ ، مكتبة الدار/ المدينة المنورة ، (ص :٥٠) .

(١) من الآية : ٢٥١ من سورة البقرة .

(٢) ومثل هذه الأوصاف لا تطلق إلاّ على إمام المرسلين ورسول العالمين محمد بن عبد الله ﷺ .

(٣) المقصود من هذه العبارة الإحسان إلى الميّت ، والدعاء له بالطيب والطهارة ، وليس شيء من هذه العبارة مأثورًا بالسنة أو عن السلف الأول ، لكنها موجودة في كلام العلماء الذين يُؤرخون فيعبرون عن منزلة الـمُتَرجَم له بذكر قولهم هذا ؛ والأولى من ذلك الدعاء للميّت المسلم بالمغفرة والرحمة والعفو والرضوان وسكنى الجنة والنجاة من النار ، فهذا ما تضمنته الأدعية المأثورة عن الرسول _ ﷺ _ كما في دعاء الصلاة على الجنازة ، والله أعلم .

(٤) سُئل فضيلة الشيخ : محمد بن صالح العثيمين _ رحمه الله _ عن حكم قول : (أطال الله بقاءك) : فأجاب قائلاً : لا ينبغي أن يطلق القول بطول البقاء ؛ لأن طول البقاء قد يكون خيرًا وقد يكون شرًّا ، وشرُّ الناس مَنْ طال عمره وساء عمله ، وعلى هذا فلو قال : أطال الله بقاءك على طاعته ونحوه فلا بأس بذلك . مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، فتاوى العقيدة ، جمع : فهد بن ناصر ابن إبراهيم السُليمان ، ط١/ ١٤٠٧هـ ، ط٢/١٤١٣هـ ، دار الوطن للنشر / الرياض ، (٣/٧١) ، وينظر : مجموع فتاوى ومقلات متنوعة للشيخ ابن باز ، جمع وترتيب وإشراف : د . محمد بن سعد الشويعر ، ط٢/١٤٢١هـ ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء / الرياض ، (٨/٤٢٥) .

أعلم ــ : اِبْدَأْ (بسم الله) ؛ لأنَّ حرف الباء مع سائر حروف الجر لا يستغني عن فعلٍ مضمرٍ أو مظهرٍ ، فكانَ ضمير الباء في هذا الموضع (الأمرَ) ، وفي نسق تلاوة السورة دليلٌ عليه ؛ وهو قوله تعالى : ﭨ ﭩ[1] معناه : قولوا إيّاك نعبد ، وإنّما حَذَفَ لفظ الابتِداء في أولِ التّسمية ؛ لأنّ الحالَ يُنبئُ عنه ؛ لأنّ القارىءَ مبتدىء ، والحذف في مثل هذا الموضع في كلام العرب أبلغ من الإثبات ؛ لأنَّك إذا حذفتَ احتمل اللفظُ الخبرَ (بدأتُ) ، واحتمل الأمرَ[2]، ألا ترى أنّ القومَ إذا اجتمعوا لرؤية الهلال فرآه واحدٌ منهم قال لأصحابه : الهِلالَ واللهِ ؛ يريد به رأيته أنا ، وانظروا أنتم ، وكذلك قول بعض الرماة : القِرْطاسَ : أي أصبتُ القِرْطاسَ[3].

واختلف النّاس في اشتقاق الاسم ؛ فأكثر أهل اللغة على أنّه مشتقٌ من السُّموِّ ؛ وهو : الرِّفعة[4]، ومعنى الاسم : التنويه على الشّيء والدّلالة عليه ، وقوله : سَمَّيتُ الرجلَ : أي

---

(١) من الآية : ٥ من سورة الفاتحة .

(٢) ينظر : تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم) ؛ لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي ، تحقيق : د . محمود مطرجي ، دار الفكر ــ بيروت ، (٣٧/١) ، وينظر : أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، ١٤٠٥هــ ، دار إحياء التراث العربي– بيروت (١ /٥) ، وانظر : تفسير الثعلبي المسمى (الكشف والبيان في تفسير القرآن) ؛ لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، تحقيق : أبو محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق الأستاذ : نظير الساعدي ، ط١ / ١٤٢٢هــ ــ ٢٠٠٢م ، دار إحياء التراث العربي/ بيروت ــ لبنان ، (٩٢/١) .

(٣) القرطاس هو : قطعة من أديم تنصب للنضال . ينظر : لسان العرب (٦ / ١٧٢) مادة (قرطس) ، وانظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ؛ تأليف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، دار المكتبة العلمية / بيروت ، (٤٩٨/٢) مادة (قرطس) .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ؛ لأبي إسحاق إبراهيم بن السّري ، ط١/١٤٠٨هــ – ١٩٨٨م عالم الكتب / بيروت ، (٤٠/١) ، وتفسير الماوردي المسمى (النكت والعيون) ؛ لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان ، ونسب الماوردي هذا القول للخليل والزجاج ؛ (١/ ٤٨) .

رفعتُ ذِكرَه ، وقال بعضُهم : إنَّه مشتقٌ من السِّمةِ ؛ وهي العلامةُ ؛ فكأنّ الاسم علامةٌ للمُسمَّى[١] ، وإنَّما لم يُكتب (باسم الله) بالألف ؛ لإيثار التخفيف بسبب كثرة الاستعمال ؛ كما اسقطوا الألف الثّانية من الرحمن[٢].

وأمَّا (ﭐﻟﻠَّﻪُ) : قال بعضهم : هو اسمُ علمٍ لا اشتقاق له[٣]، مثل قولك : فرسٌ ، ورجلٌ ، وجبلٌ ، ومعناه عند أهل اللسان : المستحِقُ للعبادة ، ولذلك سمَّت العربُ أصنامهم آلهةٌ ؛ لاعتقادهم استحقاقها العبادة[٤] ، وقال بعضُهم : هو من قولهم : أَلِهَ الرجلُ الرجلُ إلى فلانٍ يَأْلَهُ أَلَهًا ، إذا فَزِع إليه من أمرٍ نزل به ؛ فآلَهَهُ أي : أجاره وآمنه[٥].

---

(١) ينظر : تفسير الماوردي (١/ ٤٨) ؛ ونسب هذا القول للفراء (ولم أقف عليه في كتابه معاني القرآن) ، وانظر: تفسير البغوي المسمى (معام التنزيل) ؛ لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفرَّاء البغوي ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة / بيروت ، ونسب البغوي هذا القول لثعلب ، (٣٨/١) ، وانظر : تفسير ابن عطية الأندلسي المسمى (المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ؛ لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط١ / ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، دار الكتب العلمية / لبنان ، (٦٢/١) ، وانظر : تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن) ؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب / القاهرة ، (١ / ١٠١) .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفراء ؛ لأبي زكرياء يحيى بن زياد الفرّاء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، ط٣/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، مطبعة دار الكتب المصرية / القاهرة ، (١/ ٢) ، وينظر : معاني القرآن للأخفش ؛ لسعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي ، دراسة وتحقيق : د . عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم كتاب / بيروت ، ط١ / ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، (١/ ١٤٧) ، وانظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ؛ لجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية/ مصر ، (٥٢٠/٣) .

(٣) ينظر : العين (٩١/٤) مادة (أله) ، وينظر : تفسير السمرقندي ونسبه للكسائي (١/ ٣٧) ، وانظر : تفسير البغوي ونسبه للخليل بن أحمد وجماعة (٣٨/١) .

(٤) ينظر : لسان العرب (١٣/ ٤٦٧) مادة (أله) ، والمصباح المنير (١٩/١) مادة (أله) .

(٥) ينظر : القاموس المحيط ؛ لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، (١٦٠٣/١) مادة (ألـهًا) ، وينظر تاج العروس (٣٦/ ٣٢٤) مادة (أله) .

ويقال للمَأْلُوهِ إليه : إلــهًا ؛ كما قالوا للمُؤْتَمِّ به : إمام ، ولما يُلتَحَــفُ بــه : لحــاف ، فالأصل في هذا الاسم (إلهٌ) ؛ كما قالَ اللهُ تعالى حكايةً عن أولاد يعقوب : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ[1]، ثم أَدخلوا عليه الألف واللام ؛ للتعريف فصار (الإِلَهُ) ، ثمَّ استُثقِل اجتماع الهمزتين ؛ وهي الأصلية والمجتلبَة ، فحذفوا إحدى الهمزتين وهي الأصلية ، إذْ لم يُمكنـــهم حذف المجتلبة ؛ لأنَّهم اجتلبوها لحاجتهم إليها ، فبقيت اللام الأصلية مع لام التعريف ، و لم يكن بينهما حرف آخر ، فَأُدغمت إحداهما في الأخرى فصار (اللهُ) ، ومعناه : أنّ الخلق يألهون ويتضرعون إليه في الحوائج والشَّدائد[2]، وقال بعضهم : هو مشتقٌ من الوَلَهِ ؛ وهو التّحيّر ، والأصل فيه (ولاهٌ) ، فأبدّلت الواو همزة ؛ كما قالوا في وسادة : إِسادة ، وفي وشاح : إِشاح ، فصار (إِله) ، ثمَّ أُدخِلت عليه الألف واللام ؛ للتعريف ؛ والمعنى في ذلك : أنَّ كلَّ قلبٍ إذا فكَّر فيه جلّ جلاله تحيّر ؛ لأنَّه لا مثل له فيعتقده[3] ؛ ونحوه عن أمــيرِ المؤمنين ــ رضي الله عنه ــ أنَّه قال : « الله المستَتِر عن [درك][4] الأبصار ، المحتجب عن الأوهام والأخطار »[5] ؛كأنّه ذهب إلى أنّه من لاهَ يليهُ ، وَلاهَ يلوهُ ؛ إذا تستر ، جعل المصدر منه منه اسمًا قائمًا مقام الفاعل ، ثمَّ جُعلَت الواو والياء التي في المصدر ألفًا ؛ لانفتاح ما قبلها ، فصار (لاهٌ) ، ثمّ أدخل عليه حرف التعريف .

وأمَّا ﭽ ﭒ ﭓ ﭼ : فهما اسمان مأخوذان من الرَّحمةِ ، ووزنهما من الفعل نَديم ونَدمان من المنادمة ، وفَعلان أبلغ من فَعيل ؛ وهو من أبنيّة المبالغــة لا يكــون إلاّ في الصــفات ؛

---

(١) من الآية : ١٣٣ من سورة البقرة .

(٢) ينظر : تفسير السمرقندي (١/٣٧) ، وتفسير ابن كثير المسمى (تفسير القرآن العظيم) ؛ لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي ، ١٤٠١هــ ، دار الفكر / بيروت ، (١/٢١) .

(٣) ينظر : النهاية في غريب الأثر ؛ لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : طاهر أحمــد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، ١٣٩٩هــــ – ١٩٧٩م ، المكتبــة العلميــة / بــيروت ، (١/ ٦٢) مادة (أله) ، وينظر : تاج العروس (٣٦/ ٣٢٤) مادة (أله) .

(٤) كُتبت في النسخة (ب) : إدراك .

(٥) لم أقف على مصدره ، ولا على قائله فيما وقفت عليه في مابين يدي من المصادر والمراجع ، = = والله أعلم .

كقولك: شبعانٌ ، وغضبانٌ ، وسكرانٌ ، ولهذا صار اسم الرحمن مختصًّا بالله تعالى لايوصف به غيره ، واسم الرَّحيم مشترك يوصف به غير الله تعالى ، ورَوى عثمان ابن عفان ــ رضي الله عنهما ــ عن رسول الله ــ ﷺ ــ : « أنَّ الرَّحمنَ : العاطفُ على جميعِ خلقِه بإدرارِ الرزق عليهم ، والرَّحيم : الرَّفيق الشفيق بالمؤمنين خاصّة في الدنيا والعقبى »[1] ، وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أنَّه قال : « هما اسمان رقيقان أحدهما أرقُّ من الآخر »[2] ، ولو قال اسمان لطيفان لكان أحسن ، ولكن عنَى بالرِّقةِ : الرَّحمة ،

(١) رَوَى عبد الرحمن المديني عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أن عثمان بن عفان ــ رضي الله عنهما ــ أنه سأل رسول الله ــ ﷺ ــ عن تفسير ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فقال : « ... ، وأما الرَّحمن فالعاطف على البرِّ والفاجر من خلقه ، وأما الرَّحيم فالرفيق بالمؤمنين خاصَّة » . تفسير السمرقندي (٣٨/١) ، وتفسير القرطبي ، وقال المحقق : الدكتور عبد الله التركي معلقًا : (لا أصل) ؛ طبعة مؤسسة الرسالة ، ط١ / ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، (١/ ١٦٤) ، وأخرجه (بنحوه) البيهقي عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، وإسناد هذا الأثر ضعيف جدًّا ؛ من رواية الكلبي عن أبي صالح ؛ كتاب الأسماء والصفات ؛ لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، حققه وخرّج أحاديثه : عبد الله بن محمد الحاشدي ، ط١٤١٣/١هـ - ١٩٩٣م ، مكتبة السوادي للتوزيع/ جدة – المملكة العربية السعودية ، (ص: ١٣٩) رقم (٨٢) .

(٢) أخرجه البيهقي في كتابه الأسماء والصفات من طريق مقاتل بن سليمان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ (ص : ١٣٩) رقم (٨٣) ، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : « والحديث المذكور عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ لا يثبت ؛ لأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه ، والكلبي (متروك الحديث) ، وكذلك مقاتل » ؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري ؛ لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، =

= تحقيق : محب الدين الخطيب ، دار المعرفة / بيروت ، (٣٥٩/١٣) ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن...﴾ الآية ، ونقل البيهقي في الأسماء والصفات (مثله) عن الحسين بن المفضل البجلي أنه نسب راوي حديث ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ إلى التصحيف ، وقال : « إنما هو الرفيق بالفاء » (ص :١٤٠) ، وقواه البيهقي بالحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ مرفوعًا : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي عليه مالا يعطي على العنف » ؛ شعب الإيمان ؛ لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق :

والرَّحمةُ من الله تعالى هي : الإنعام على الخلق ، ومن الآدميين : رِقَة القلب ؛ وإنّما تُسمَّى النِّعمة رحمة ؛ لأنَّها تكثر عند رِقَة القلب ، وإنَّما جَمَع ـ والله أعلم ـ بين الاسمين ومعناهما جميعًا من الرَّحمة / ؛ للنهاية في الرَّحمة والإحسان بعد الإحسان ؛ إذ لا تبلغ رحمة أحدٍ رحمة الله تعالى ، يقول الرجل : أنا جادٌّ مُجِدٌّ ، وفلان ضاربٌ ضروبٌ ، وبُعدًا وسُحقًا ، ونحو ذلك ؛ يريد به التكثير والتأكيد .

ل[٣/أ]

ولا خلافَ بين المسلمين أنّ ﴿ ٱ ب ب ﭒ ﭓ ﴾ من القرآنِ ؛ كان رسول الله ـ ﷺ ـ يكتبُ في أوائل الكتب في أوّل الإسلام (باسمِك اللهم) حتى نزل ﴿ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﴾ [١]، فكتب (بسم الله) ، ثمّ نزل قوله تعالى : ﴿ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﴾[٢] ، فكتبَ (بسم الله الرحمن) ، فنـزلت قصة سليمان ـ عليه السلام ـ في سورة النّمل [٣] ، فكتب حينئذٍ ﴿ ٱ ب ب ﭒ ﴾[٤].

واختلَف أهل العلم في أنّها آية من سورة فاتحة الكتاب أم لا :

محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط١/ ١٤١٠ هـ ، دار الكتب العلمية / بيروت ، (٤٤٧/٢) رقم (٢٣٦٢) ، والحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ينظر : صحيح مسلم كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ ، بَاب فَضْلِ الرِّفْقِ (٤/ ٢٠٠٣) رقم (٢٥٩٣) .

(١) من الآية : ٤١ من سورة هود .

(٢) من الآية : ١١٠ من سورة الإسراء .

(٣) قوله تعالى : ﴿ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﴾ [الآية : ٣٠ من سورة النمل] .

(٤) الحديث ضعيف ؛ لإرساله ، أخرجه (بنحوه) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في مراسيله ؛ تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط١ /١٤٠٨هـ ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، عن أبي مالك (٩٠/١) رقم (٣٥) كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، وأخرجه (بنحوه) أيضًا ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد في كتابه المصنف في الأحاديث والآثار ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط١/ ١٤٠٩هـ ، مكتبة الرشد / الرياض ، عن الشعبي (٢٦١/٧) رقم (٣٥٨٩٠) كتاب الأوائل ، باب أول ما فعل ومن فعله ، وأخرجه ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن الرازي (بنحوه أيضًا) في تفسيره المسمى (تفسير القرآن العظيم) ، تحقيق : أسعد محمد الطيب المكتبة العصرية / صيدا ، عن الشعبي وميمون بن مهران (٢٨٧٣/٩) برقم (١٦٣٠٣) ـ (١٦٣٠٤) .

قال قُرَّاءُ الكوفةُ : هي آية منها ؛ وأبى ذلك أهل المدينة وأهل البصرة ، وليس عن أئمتنا المتقدمين رواية منصوصة في أنّ البسملة آية من هذه السورة ، أو ليست منها إلاّ أنّ الشيخَ أبا الحسَن الكَرْخي[1]كان يقول : إنّ مذهبهم في ترك الجهر بها في الصلاة للأخبار الواردة فيها ؛ يدل على أنّها ليست آية منها عندهم ؛ لأنّها لو كانت آية منها لجهروا بها كما جهروا بسائر آي السورة [2].

وقيل : لوكانت آية في نفس هذه السورة ؛ لوجبَ أن تكونَ قبلها مثلها ؛ لتكون إحداهما افتتاحًا بالسورة والأخرى أوَّل آيةٍ منها [3].

واتفق السّلف أنّ البسملة ليست من أوائل السّور إلاَّ الشّافعي ــ رحمه الله ــ فإنه يرى أنها آية من كلِّ سورة ، وما سبقه إلى هذا القولِ أحدٌ [4].

ولا خلاف أنّ التسمية ليست بآية تامّة في سورة النّمل ، وإن ابتدأ الآية هناك من قوله تعالى: چ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھچ[5]، ومع أنّها ليست بآيةٍ تامّةٍ في سورة النّمل لا يمتنع أن يكونَ لها حكم الآية التامّة في غيرها ، ألا ترى أنّ قوله : چ ٻ ٻچ في أضعاف فاتحة الكتاب آيةٌ تامّة ، وليست بآية تامّة في قوله تعالى : چ ٱ ٻ ٻ

(١) أبو الحسَن الكَرْخي هو : عبيد الله بن الحسين بن دَلال بن دَلْهَم الكَرْخي ــ بفتح الكاف وسكون الراء وفي آخرها خاء معجمة ــ نسبة إلى الكَرْخ ، فنُسب إلى جده ، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة ، مات سنة ٣٤٠ هـ ، قال الذهبي عنه في تذكرة الحفاظ : « شيخ الحنفية بالعراق » (٣/٨٥٥) ، وقال عنه ابن حجر في لسان الميزان : « كان أديبًا ، خيّرًا فاضلاً ، رماه أبو الحسن بن الفرات بالاعتزال » ، (٤/٩٨) رقم (١٩٧) ، وينظر : اللباب في تهذيب الأنساب (١/٥٢١) .

(٢) أحكام القرآن للجصاص (١/٨) ، وينظر : تفسير القرطبي (١/٩٣-٩٦) .

(٣) ينظر : أحكام القرآن للجصاص (١ /٨) .

(٤) ينظر: الأم ؛ لمحمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله ، ط٢/ ١٣٩٣هـ ، دار المعرفة / بيروت ، (١/١٠٧) ، وينظر : المجموع ؛ لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، ١٩٩٧م - دار الفكر / بيروت ، (٣/٣٤٨) ، وينظر : أحكام القرآن للجصاص (١/٨) .

(٥) الآية : ٣٠ من سورة النمل .

بچ عند الجميع ، وكذلكَ قوله تعالى : چ پ پپچ[١] آيـــة تامّة من فاتحة الكتاب ، وهي بعض آية من قوله تعالى : چچڍ ڍ ڌڌڎپچ[٢] . ورُويَ عن أمِّ سَلَمَة [٣] [رضي الله عنها] أنّ النبيَّ ــ ﷺ ــ : « كان يَعُــدُ چاٱٻٻ ٻ چ آية فاصلةٌ ؛ يعني بين السّور[٤]» ، والله أعلم .

سورة فاتحة الكتاب

---

(١) الآية : ٢ من سورة الفاتحة .

(٢) من الآية : ١٠ من سورة يونس .

(٣) أمُّ المؤمنين أمُّ سَلَمَة هي : هند بنت أبي أميّة ؛ زوج النبيِّ ــ ﷺ ــ ، أبوها أبـــو أميّـــة بـــن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي ، تزوجها ــ ﷺ ــ سنة اثنتين من الهجرة بعد وقعة بدر ، ماتت سنة٦٠هــ ، وقيل : ٥٩ هــ رضي الله عنها وأرضـــاها. ينظـــر : الاســـتيعاب (١٩٢١/٤) رقم (٤١١١) ، والإصابة (١٥٠/٨) رقم (١١٨٤٥) .

(٤) ذكره (بلفظه) الجصاص في تفسيره أحكام القرآن من رواية الهيثم بن خالد عن أبي عكرمة عن عمر بن هارون عن أبي مليكة عن أمِّ سلمة عن النبيِّ ــ ﷺ ــ (١٢/١) ؛ وعمر بـــن هـــارون البلخي أبو حفص عن ثور ؛ قال عنه النسائي في الضعفاء والمتروكين : « متـــروك الحـــديث » (٨٤/١) رقم (٤٧٥) ، وقال عنه شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي في : « وكان من أوعيـــة العلم على ضعفه وكثرة مناكيره ، وما أظنه ممَّنْ يتعمد الباطل » ؛ ميـــزان الاعتـــدال في نقـــد الرجال ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، =

= ط١/ – ١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية / بيروت (٢٧٧/٥) رقم (٤٢٢٧) .

وأخرج (نحوه) أبو داود السجستاني الأزدي في سننه ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، (١ /٢٠٩) رقم (٧٨٨) كتاب الصلاة ، باب من جهر بها ، وحكم ابن كثير على إسناده بالصحة في تفسيره (١٧/١) ، وأخرج (نحوه) محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم في المستدرك ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه عليـــه الذهبي ؛ المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط١/ ١٤١١هــــ – ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية / بيروت (٣٥٥/١) رقم (٨٤٥) ،كتـــاب الإمامـــة وصـــلاة الجماعة ، باب التأمين . وكلاهما أخرجاه عن سعيد بن جُبيْر عن ابـــن عبـــاس ــ رضـــي الله عنهما ــ .

مكيَّة عند ابن عباس [رضي الله عنهما] ، وعامَّة المفسّرين[١]، ومدنيَّة عند مُجاهـــد[٢] ، وقَتَادة[٣] ، وهي سبع آيات لا خلاف في جملتها ، واختلفوا في آيتين منها :

قال أهل الكوفة : چ ٱ ب ب ٻ ٻ چ آية منها ، وقوله تعـــالى: چڤ ڤ ڦ چ[٤] إلى آخر السورة آية واحدة ، وقال أهل المدينة والبصرة : چڤ ڤ ڦ چ آية ومـــا بعدها آية [٥].

والصحيح ــ والله أعلم ــ ما قاله أهل المدينة والبصرة ؛ لما رواه أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « يقول الله تعالى : قَسَمْتُ الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين ، نصفًا لي ونصفًا لعبدي ، ولعبدي ما سألني ، فإذا قال العبد : چ پ پ پ پچ ، قـــال الله عز وجل : حمدني عبدي . وإذا قال : چ ٻ ٻچ ، قال الله تعالى : اثنى عليّ عبدي . وإذا قال: چٺ ٺ چ ، قال الله تعالى : مجدني عبدي . وإذا قـــال : چٿ ٿ ٿچ ، قال الله تعالى : هذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ماسأل »[٦] ؛ والاستدلال من من هذا الخبر من وجهين :

أحدهما : أنه بدأ بذكر الحمد دون التَّسمية .

---

(١) والصحيح أنها مكيَّة عند قتادة . ينظر: تفسير القرطبي (١/١١٥) ، وتفسير ابن كثير (١/٩) .

(٢) ينظر ترجمته (ص:٤٤) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٣) ينظر ترجمته (ص:٤٤) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٤) من الآية : ٧ من سورة الفاتحة .

(٥) ينظر: البيان في عدّ آي القرآن ؛ لأبي عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني ، تحقيـــق : غـــانم قدوري الحمد ، ط٤ / ١٤١٤هـــ- ١٩٩٤م ، مركز المخطوطات والتـــراث / الكويـــت ، (١/١١١، ١١٢) ، وانظر: سعادة الدارين في بيان عدّ آي معجز الثقلين على ما ثبت عند أئمة الأمصار وجرى عليه العمل في سائر الأقطار ؛ لمحمد بن علي خلف الحسيني الشهير بالحـــداد ، ط١/ ١٣٤٣هـــ ، مطبعة المعاهد / مصـــر ، (ص : ١١) ، وانظـــر : تفســـير القـــرطبي = = (١/٩٤) ، وتفسير ابن كثير (١/٩) .

(٦) أخرجه (بنحوه) مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ (١/٢٩٦) رقم (٣٩٥) ،كتاب ،كتاب الصلاة ، بَاب وُجُوبِ قِراءة الْفَاتِحَةِ في كل رَكْعَةٍ ؛ بلفظ : « قسمت الصلاة ... » الحديث.

والثاني : أنَّه جعل ﭽ ﭢ ﭣ ﭤﭼ واسطة ، ولا تكون واسطة إلاَّ وأن تكونَ كلمات الثناء قبله ثلاثًا ، وكلمات الدُّعاء بعده ثلاثًا .

قوله ﻷ : ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭼ: ثناء اثنى الله تعالى به على نفسه ؛ تعليمًا لخلقه ، ومعناه : قل يا محمد ، أو قولوا الشُّكر لله تعالى سيّد كل ذي روحٍ دبّ ودَرَج في الأرض ومن أهل السماء .

والحمد والشُّكر نظيران ؛ يقال : الحمدُ لله شُكْرًا ، إلاَّ أنَّ الحمدَ أعمُّ من الشُّكرِ ؛ من حيث إنَّ فيه معنى المدح من المنعَم عليه ، وغير المنعَم عليه ، ولا يكون الشُّكر إلا من المنعَم عليه ، والشُّكر أعمُّ من الحمد ؛ من حيث إنَّه يكون باللسان ، والقلب ، والجوارح ، والحمد لا يكون إلاّ باللسان ، ويتبيّن الفرق بينهما بنقيضيهما ، فنقيض الحمد: الذم ، ونقيض الشُّكران : الكفران [1]. / ل[٣/ب]

والربُّ في اللغة : اسم مَنْ يُرَبِّ الشيء ويصلحه[2] ، يقال لسيد العبد : ربٌّ ، ولزوج المرأة : ربٌّ ، وللمالك : ربٌّ ، ولا يقال الربُّ معرَّفًا باللام والألف إلاَّ لله تعالى ، والله سبحانه هو المربي ، والمحوّل من حالٍ إلى حالٍ من نطفةٍ إلى علقةٍ ، ثم إلى مضغةٍ ، ثم إلى غيرِ ذلك إلى أجلٍ مسمًّى . والعَالَم : اسم جَمعٍ لا واحدَ له من لفظه ، كالنفرِ ، والرهطِ، وغيرِ ذلك ، وهو اسم لـمَنْ يعقل ؛ مثل : الجنّ ، والأنس ، والملائكة ؛ لأنك لا تقول: رأيت عالـمًا من الإبل والغنم ، إلا أنَّه إنما حُمِل اسم العَالَم في هذه السّورة على كلِّ ذي روحٍ دبَّ ودَرَج ؛ لتغليب العقلاء على غيرهم عند الاجتماع ؛ كما قال الله تعالى : ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ

---

(١) ينظر : تفسير الطبري المسمى : (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ؛ لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، ١٤٠٥هـ - دار الفكر / بيروت ، (١/٦٠) ، وانظر : تفسير السمرقندي (١/٤٠) ، وتفسير البغوي (١/ ٣٩) .

(٢) ينظر : المفردات في غريب القرآن ؛ لأبي القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة / لبنان ، (١/١٨٤) ، وينظر : مقاييس اللغة ؛ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٢/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، دار الجيل / بيروت - لبنان ، (٣٨٢/٢) مادة (رب) .

ﭽﭼ[١] الآية ، وربما يقال للسموات وما دونها ممّا أحاطت به : عالَم ؛ كما رُويَ عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه قال : « إنَّ لله تعالى ثمانيةَ عشرَ ألف عالَم ، وإنَّ دنياكم منها عالَمَ » [٢] . [وزاد في عين المعاني[٣] عن الخُدْرِيِّ[٤]: أربعون ألفًا [٥]. وعن مُقاتِل[٦]، وابن حيَّان[٧]: ثمانون ألفًا [٨]. وعن الضَّحَاك [٩]: ثلاثمائة وستون عالمًا عُراةً حُفَاةً لا يعرفونَ خالقَهم ، ولا يَلبسون ، وستون عالمًا يَلبسون الثياب ، ويعرفون ربَّ

---

(١) الآية : ٤٥ من سورة النور .

(٢) ذكره السمرقندي (بلفظه) في تفسيره (٤١/١) عن أبيّ بن كعب عن رسول الله ــ ﷺ ــ ، ولم أقف على سنده ، وأخرج (نحوه) ابن جرير الطبري في تفسيره (٦٣/١) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٢١٩/٢) (٧٠/٤) عن أبي العالية ووهب بن منبِّه موقوفًا ، قال ابن كثير في تفسيره معلقًا على هذه الرواية (١/ ٢٤، ٢٥) : « وهذا كلامٌ غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح ».

(٣) عين المعاني في تفسير السبع المثاني ؛ لمحمد بن طيفور السّجاوندى الغزنوي ، المتوفى في حدود سنة (٦٠٠) ، ينظر: طبقات المفسرين للأدنه وي (١ / ٢٧٤) ، وكشف الظنون (١١٨٢/٢) ، وهدية العارفين (١٠٦/٦) .

(٤) الخُدْرِيُّ هو : أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الأنصاري ، الصحابي الجليل، كان من الحفاظ المكثرين ، العلماء الفضلاء ، ممن شهد بيعة الرضوان ، مات سنة ٧٤هـ . ينظر : الاستيعاب (١٦٧١/٤) رقم (٢٩٩٧) ، والإصابة (٧٨/٣) رقم (٣١٩٨) .

(٥) تفسير الثعلبي (١١٢/١) ، وتفسير القرطبي (١٣٨/١) ، وتفسير ابن كثير (٢٥/١) .

(٦) ينظر ترجمته (ص:٧٠) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٧) مُقاتِل بن حيَّان هو : أبو بِسْطام مُقاتِل بن حَيَّان النَّبَطي ــ بفتح النون والموحدة ــ البَلْخيّ ، مولى بكر بن وائل ، ويقال مولى بني تيم الله ، كان خرَّازًا . قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب (٥٤٤/١) رقم (٦٨٦٧) : « صدوق فاضل » ، مات قبل الخمسين ومائة تقريبًا. ينظر: تاريخ مدينة دمشق (١٠١/٦٠) رقم (٧٦١١) ، وتاريخ الإسلام (٩ / ٢٩٦) .

(٨) تفسير الثعلبي (١١٢/١) ، وتفسير البغوي (٤٠/١) .

(٩) ينظر ترجمته (ص: ٤٥) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

الأربابِ[1]] [2].

وفُتحَت نونُ العالــمينَ ، وكلُّ نونِ جمعٍ إذا كان هجاء [..][3]؛ للمعادلة ؛ لأن هــذه النون لا تقع إلا بعد واو ساكنة مضموم ما قبلها ، أو ياء ساكنة مكسور ما قبلها ، فلــو ضُمَّت لالتقت ضمتان ، ولو كُسِرت لالتقت كسرتان فلم يبقَ غير الفتح[4].

ﭽ ﭙ ﭚ ﭛﭼ: الرزَّاق الغفَّار .

ﭽ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭼ : قاضي يوم الحساب ، والجزاء يوم يُدان الناس بأعمالهم ، لا قاضي يومئذٍ غيره .

وقرىء : (مَلِك يوم الدِّين) بغير ألف[5]، وترجيح الأول ؛ أنَّه عبــارة عــن مِلــكِ الحقيقة ، والثاني كناية عن الولاية والقدرة ، وترجيح الثاني ؛ أنَّه يقال : مالك الثــوب ، ومالك الدار ، ولا يقال مِلك إلا لمِلكٍ من الملوك[6].

وتخصيص يوم الدِّين في الآية ؛ لأن الله تعالى لا ينازعه أحدٌ في مُلْكِ ذلك اليوم ؛ كمــا

---

(١) تفسير الثعلبي (١/١١٢) . وهذا كلام غريب يحتاج مثله _ كما قال ابن كثير (رحمه الله) _ إلى دليلٍ صحيح .

(٢) كُتبت هذه الزيادة في حاشية الأصل ، ولعلَّها من الناسخ ، والله أعلم .

(٣) خرم في الأصل مقدار كلمة ، وفي النسخة (ب) غير واضحة .

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٦) ، وسر صناعة الإعراب ؛ لأبي الفتح عثمان ابن ابن جني ، تحقيق : د . حسن هنداوي ، ط١/ ١٤٠٥هــ ١٩٨٥م ، دار القلم / دمشــق ، (٢/٤٨٨) ، وينظر: همع الهوامع للسيوطي (١/١٨٠) .

(٥) قرأ عاصم والكسائي وكذا يعقوب وخلف (مالك يوم الدِّين) بإثبات الألــف ، والبــاقون : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، وأبو جعفر يقرؤون بحذف ألف (ملك يوم الدِّين) . ينظر: التيسير في القراءات السبع (١/١٨) ، وإتحاف فضلاء البشــر القــراءات الأربعة عشر ؛ لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي ، تحقيق : أنــس مهــرة ، ط١ / ١٤١٩هــ - ١٩٩٨م ، دار الكتب العلمية / لبنان ، (١ / ١٦٢) .

(٦) ينظر : حجة القراءات ؛ لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق : سعيد الأفغــاني ، ط٥/ ١٤١٨هــ - ١٩٩٧م ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، (ص : ٧٨) ، وينظر : تفســير السمرقندي (١/٤١) ؛ والقراءتان المتواترتان لا يقع بينهما ترجيح ؛ ولعله قصد توجيه القراءتين.

قال جلَّ ذكره : ﭽ ﯨ ﯩ ﯪﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ[١].

ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﭼ : أي قولوا إيَّاك نوحد ، ولك نطيع ونخضع ، وبك نستعين على عبادتك ، وبك نستوثق على طاعتك ، و(إيَّاك) : اسمٌ للمضمر المنصوب إذا تقدَّم لا يحسن إدخاله في غير المضمرات ، وانتصاب موضعه ؛ لوقوع الفعل عليه ؛ تقديره : (نعبدك) ، وحُكيَ عن الخليل[٢] أنه قال : « إذا بلَغَ الرجلُ الستين ؛ فإيَّاه وإيَّا الشَّوابِّ[٣] »[٤]. فأضافه إلى الظّاهر ؛ وهو قبيحٌ مع جوازه . فإن قيل : لِـمَ قدَّم إيّاك على نعبد ؟ وهلاّ أخّر فقال : نعبدك ؟

فالجواب عنه : أنّ العربَ إذا ذكرت شيئين قدمت الأهم فالأهم ، نحو قولك : ضربتُ زيدًا ؛ إذا كانوا بالضرب أعني ، وزيدًا ضربتُ ، إذا كان زيدًا أَهَمَّ وهمَّ به أعني ، ثم ذكر المعبود من هذه الآية أهم من ذكر العبادة فقدَّمه عليها .

والكاف من (إيّاك) في محل الخفض[٥]، لأنه بمنزلة عصاك وقفاك ، وأجاز الفَرَّاء[٦]

---

(١) من الآية : ١٦ من سورة غافر .

(٢) الخليل هو : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي ، ويقال : الباهلي البصري اللغوي ، صاحب العروض ، والنحو ، وسيّد الأدباء في علمه وزهده ، وله من التصانيف : كتاب الإيقاع ، وكتاب الشواهد ، ومعجم العين وغيرها من الكتب ، مات سنة ١٧٥ هـ . ينظر : الأنساب (٣٥٧/٤) ، ومعجم الأدباء (٣ / ٣٠٠) رقم (٤٠١) .

(٣) الشَّوابُّ : أي الشباب . لسان العرب (٤٨٠/١) مادة (شبب) .

(٤) ينظر: كتاب سيبويه ؛ لأبي البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط١- دار الجيل / بيروت ، (٢٧٩/١) ، وينظر : سر صناعة الإعراب لابن جني (٣١٣/١) ، والمفصل في صنعة الإعراب ؛ لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : د . علي بو ملحم ، ط١/ ١٩٩٣م ، مكتبة الهلال / بيروت ، (١٦٧/١) .

(٥) ينظر: إعراب القرآن ؛ لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، تحقيق : د . زهير غازي غازي زاهد ، ط٣/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، عالم الكتب / بيروت ، (١٧٣/١) ، وينظر : سر صناعة الإعراب لابن جني (٣١٤/١) .

(٦) الفَرَّاء هو : أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفَرَّاء ـــ بفتح الفاء والراء المشددة وفي آخرها ألف ـــ الكوفي اللغوي ، قيل له الفرَّاء ؛ لأنه كان يفري الكلام ، وقيل : ترجع هذه النسبة إلى

أن يكون الكاف في محلِّ النصب ؛ إذا جعل إيَّا عمادًا لا اسمًا ؛ لأنَّه يقوم بنفسه[1].

فإن قيل : لِـــمَ عَدَل عن المغايبة إلى المخاطبة ؟

قلنا : مثله كثير في القرآن وكلام العرب ؛ قال الله تعالى : چ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ چ[2] . چ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ چ: أرشدنا الطَّريق القائم الذي ترضاه وهو الإسلام ، وفي هذا دعاء ومسألة خرج على لفظ الأمر ؛ لأن الأمرَ لـــمَـــنْ هو دونكَ ، والمسْأَلة لـــمَـــنْ فوقكَ .

فإن قال قائل : ما معنى قولكم : (اهدنا) ، وأنتم مُهتدون ؟

قلنا : قال الكلبي[3] ومُقاتل : هذا سؤال منَّا في مستقبل الزمانِ عندَ دعوة الشيطان[4].

وعن عبد الله بن مسعود [رضي الله عنه] أنّه قال : خطَّ لي رسول الله ــ ﷺ ــ خَطًّـــا ، وبجنبه خُطوطًا ، وقال : « إنَّ هذا الصّراط المستقيم ، وإن هذه السُّبل ، وعلى رأسِ كلِّ طريقٍ شيطان يدعو ويقول : هلمَّ إلى الطَّريقِ »[5] ، ونزلَ بهذا قوله تعـــالى : چﭶﭷچ

خياطة الفِرَاء وبيعها ، كان ثقةً ، إمامًا ، وله من التصانيف : معاني القرآن ، والجمع والتثنية في القرآن ، وغيرها ، مات سنة ٢٠٧ هـــ . ينظر : نزهة الألباب في الألقاب ؛ لأحمد بن علي بن محمد المشهور بابن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبد العزيز محمد بن صـــالح الســـديري ، ط١/ ١٤٠٩هـــ – ١٩٨٩م ، مكتبة الرشد / الرياض ، (٦٧/٢) رقم (٢١٣٨) ، وينظر : بغيـــة الوعاة (٣٣٣/٢) رقم (٢١١٥) .

(١) ولم أقف عليه في كتابه معاني القرآن . وينظر : اللباب في علل البناء والإعراب ؛ لأبي البقـــاء عبد الله بن الحسين العكبري ، تحقيق : د . عبدالإله النبهان ، ط١/ ١٤١٦هـــ – ١٩٩٥م ، دار الفكر / دمشق ، (٤٨٠/١) .

(٢) من الآية : ٢٢ من سورة يونس .

(٣) ينظر ترجمته (ص:١٦) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٤) لم أقف على مصدره .

(٥) أخرجه (بنحوه) الإمام أحمد بن حنبل الشيباني في مسنده ، مؤسسة قرطبة / مصر ، (٤٣٥/١) رقم (٤١٤٢) ، وقال علي بن أبي بكر الهيثمي : « رواه أحمد والبزار ، وفيه عاصم بن بهدلة ؛ وهو ثقة وفيه ضعف » ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ١٤٠٧هـــ – دار الريان للتراث – دار الكتاب العربي / القاهرة – بيروت (٢٢/٧) . وينظر : مسند البزار (البحر الزّخار) ؛ لأبي بكر

ﭺﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿ [١] .

وَرُوِيَ عن علي ــ رضي الله عنه ــ أنَّ معنى قوله تعالى : ﭽﭢﭼ أي : ثبتنا على الصراط المستقيم ، لا تقلب قلوبنا بمعصيتنا[٢]، ونظيره قوله تعالى في قصة إبراهيم ــ عليه السلام ــ : ﭽﮓﮔﮕﮖﮗﮘﭼ[٣] : أي أثبت على الإسلام ، وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أنه قال : هو استدعاء الهدى إلى الطاعات ، والإخلاص ، والأحكام ، وأما الإسلام فقد سبق به الأفضال[٤]. وأما (السِّراط) بالسين والزاي في القراءة [١]؛ لقرب

أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، تحقيق : د .محفوظ الرحمن زين الله ، ط١/ ١٤٠٩هـ ، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم / بيروت ، المدينة (١١٣/٥) رقم (١٦٩٤) ، وأخرج (نحوه) أحمد بن شعيب النسائي في سننه الكبرى ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن ، ط١/ ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، دار الكتب العلمية / بيروت ، (٣٤٣/٦) رقم (١١١٧٤) ؛ قوله تعالى ﭼﭽﭾﭿﮀ ، وأخرجه (بنحوه) الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن في سننه ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع العلمي ، ط١/ ١٤٠٧هـ ، دار الكتاب العربي / بيروت ، (٧٨/١) رقم (٢٠٢) ، بَاب في كَرَاهِيَةِ أَخْذِ الرَّأْيِ ، وأخرجه (بنحوه) أيضًا ابن حبَّان في صحيحه المسمى (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) ؛ للأمير علاء الدين علي بن بلبان ، حققه شعيب الأرنؤوط ، ط١ / ١٤٠٨هـ ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، باب الاعتصام بالسنة ، وما يتعلق بها نقلاً وأمرًا وزجرًا (١٨٠/١) رقم (٦) ، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط عن إسناده : « إسناده حسن » ، وأخرجه (بنحوه) الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣٤٨/٢) رقم (٣٢٤١) كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الأنعام وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه » ، وسكت عنه الذهبي ؛ وجميعهم أخرجوه عن عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ .

(١) من الآية : ١٥٣ من سورة الإنعام .

(٢) و لم أقف على سنده . وينظر : تفسير السمرقندي (٤٣/١) عن علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ ، وتفسير البغوي (٤١/١) عن علي وأبيّ بن كعب ، رضي الله عنهما .

(٣) من الآية : ١٣١ من سورة البقرة .

(٤) لم أقف عليه . وأخرج الطبري في تفسيره من طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ قال : « قال جبريل لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ : قل يا محمد : اهدنا الطراط المستقيم ، يقول : ألهمنا

مخرج بعض هذه الحروف من بعض[٢].

چڤ ڤ ڤ ڦ چ [٣] : أي طريق الذين مَنَنْتَ عليهم ، فحفظتَ قلوبهم على الإسلام حتى ماتوا ؛ وهم أنبياؤه ــ عليهم السلام ــ ، وأهل طاعته ــ رحمهم الله ــ .

چ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄچ [٤]: غير طريق اليهود الذين غضبتَ عليهم وخذلتهم بمعصيتهم ، ولم تحفظ قلوبهم حتى تركوا الإسلام ، ولا طريق / النَّصارى الذين ضلُّوا عن الإسلام ، وإنما عُرِف أنَّ المراد بالمغضوب عليهم : اليهود ، وبالضَّالِّين : النَّصارى ؛ بالكتاب والسُّنة ؛ قال تعالى في قصة اليهود : چﮦ ﮧ ﮨ ﮩچ [٥]، وقال عزَّ من قائل في قصة النَّصارى : چٹ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[٦]. ورُويَ أنّ رجلاً سأل رسول الله ــ ﷺ ــ وهو بوادي القُرَى[٧]ــ مَنِ المغضوب عليهم ؟ فقال ــ عليه السلام ــ : « اليهود » .

ل[٤/أ]

الطريق الهادي » (٧٢/١) ، وطريق الضحاك عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ مرسل ، فالضحاك لم يلقَ ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ .

(١) قرأ ابن كثير ورويس بالسين الخالصة ، وبإشمام الصاد الزاي حمزة بخلف عن خلاد ، وبالصاد الخالصة الباقون من القراء العشرة . ينظر: السبعة في القراءات ؛ لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي ، تحقيق : شوقي ضيف ، ط٢ /١٤٠٠هـ ، دار المعارف / مصر ، (١٠٥/١) ، وينظر : إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٦٣) .

(٢) ينظر : الحجَّة في القراءات السبع ؛ لأبي عبد الله الحسين ابن أحمد بن خالويه ، تحقيق : = د. عبد العال سالم مكرم ، ط٤/ ١٤٠١هـ ، دار الشروق / بيروت ، (٦٢/١) .

(٣) من الآية ٧ من سورة الفاتحة .

(٤) من الآية : ٧ من سورة الفاتحة .

(٥) من الآية : ٩٠ من سورة البقرة .

(٦) من الآية : ٧٧ من سورة المائدة .

(٧) وادي القُرَى : واد بين الشام والمدينة ؛ بين تيماء وخيبر ؛ فيه قرى كثيرة ، وبها سمي وادي القُرَى ، وموقعه الحالي بين المدينة المنورة ومدينة تبوك . ينظر: معجم البلدان (٣٣٨/٤) ، والمصباح المنير (٦٥٤/٢) مادة (ودي) ، وينظر : أطلس الحديث النبوي من كتب الصحاح الستة للدكتور شوقي أبو خليل ، دار الفكر المعاصر / بيروت ــ لبنان ، ط١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، (ص : ٣٧٠) .

قال : ومَنِ الضَّالِّين ؟ قال ــ عليه السلام ــ : « النَّصارى » [(١)].

وأمَّا (آمين) فليس من السّورة ، ولكن رُويَ عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه كان يقوله ويأمر به على ما رويَ عنه ــ عليه السلام ــ أنه قال : « لقَنَني جبريلُ ــ عليه السلام ــ بعدَ فراغي من فاتحةِ الكتاب (آمين) ، وقال : إنَّه كالطَّابعِ على الكتابِ »[(٢)] ؛ وفيه لغتان : (أمين) بالقصر والتخفيف[(٣)] ؛ كما قال الشاعر[(١)]:

---

(١) أخرج (نحوه) الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن شقيق (٥/٣٢) رقم (٢٠٣٦٦) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » ؛ كتاب التفسير ، باب ما جاء في (بسم الله الرحمن الرحيم) وفاتحة الكتاب (٦/٣١١) ، وأخرج (نحوه) الطبري (١/٨٣) ، وابن أبي حاتم (١/٣١) رقم (٣٩) في تفسيرهما عن عبد الله بن شقيق أيضًا ، وقال ابن أبي حاتم : « ولا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافًا » ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/٦١) رقم (٤٣٢٩) ، وقال محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي في تفسيره معلقًا على سنده : « رواه البيهقي في الشعب بإسناد صحيح عن عبد الله بن شقيق » ؛ أضواء البيان ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، دار الفكر للطباعة والنشر / بيروت ، (٢/٥٩) .

(٢) وذُكر (بنحوه) عن النبي ــ ﷺ ــ من غير سندٍ في كتاب تخريج الأحاديث والآثار ؛ وقال جمال الدِّين عبد الله الزيلعي معلقًا : « غريبٌ بهذا اللفظ ، وبمعناه ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه : عن أبي مَيْسَرَةَ أَنَّ جَبْرَائِيلَ ــ عليه السلام ــ أقرأ النبيّ ــ ﷺ ــ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ فلمّا قال : (وَلاَ الضَّالِّينَ) قال : قُلْ (آمِينَ) ، فقال : (آمِينَ) » ؛ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، ط١/ ١٤١٤هـ ، دار ابن خزيمة / الرياض (١/٢٧) ، والحديث في مصنف ابن أبي شيبة (٢/١٨٧) رقم (٧٩٦١) ، كتاب الصلاة ، ما ذَكَرُوا في آمِينْ وَمَنْ كان يَقُولُهَا عن وكيع بن الجرَّاح عن إسرائيل بن يونس عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي مَيْسَرَةَ ؛ وهي رواية صحيحة ؛ فكلُّ رجال السند ثقات ؛ ينظر تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (١/٥٨١) رقم (٧٤١٤) ، (١/١٠٤) رقم (٤٠١) ، (١/٤٢٣) رقم (٥٠٦٥) .

(٣) ينظر : غريب القرآن لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني ، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م / دار قتيبة ، (١/٥٥) ، وينظر : لسان العرب (١٣/٢٦) مادة (أمن) .

تباعَدَ عني فُطْحُلٌ[٢] إذ دعوته   أمينَ فزادَ اللهُ ما بيننا بُعْدا

و(آمين) بالمد والتخفيف ؛ كما قال الآخر[٣] :

يا ربِّ لا تسلُبنِي حُبَّها أبدًا   ويرحمُ اللهُ عبدًا قالَ آمينا

وهو لغة بالسِّريانيةِ ؛ معناه : اللهم اسمع واستجب ؛ كما يقال : صه ومه ، ومعناه : الإسكات[٤] ، وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أنه قال : سألت رسول الله ــ ﷺ ــ عن معنى (آمين) قال ــ عليه السلام ــ : « ربِّ افعل »[٥]، وعن ابن عباس [رضي الله عنهما] نفسهِ ؛ أي معناه : كذلك فليكن[٦]، والله أعلم .

---

(١) قائل البيت : أبو العباس أحمد بن يحيى . ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس ؛ لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق : د. حاتم صالح الضّامن ، ط١/ ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، (٦٦/١) ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (٥٤/١) ، ونسبه ابن عطية في تفسيره المحرَّر الوجيز (١/ ٨٠) ، والزبيدي في تاج العروس (١٨٢/٣٠) إلى جبير بن الأضبط .

(٢) فُطْحُلٌ : اسم رجل . تاج العروس (١٨٢/٣٠) مادة (فطحل) .

(٣) ديوان مجنون ليلى ؛ جمع وتحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، مكتبة مصر / دار مصر للطباعة (ص : ٢١٩) .

(٤) تفسير السمرقندي (٤٤/١) ، وينظر : لسان العرب (١٣/ ٢٧) مادة (أمن) .

(٥) وهذه رواية ضعيفة من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، والكلبي متروك ، قال عبد الرؤوف المناوي : « قال ابن حجر : وإسناده واهٍ » ؛ الفتح السماوي ، تحقيق : أحمد مجتبى دار العاصمة / الرياض (١٠٦/١) ، وينظر : تفسير السمرقندي (٤٥/١) ، وتفسير الثعلبي (١٢٥/١) ، وتفسير القرطبي (١٢٨/١) ، وساقه ابن كثير والسيوطي من رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ؛ ورواية الضحاك عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ مرسلة . ينظر: تفسير ابن كثير (٣٢/١) ، وتفسير السيوطي ؛ المسمى (الدّر المنثور في التفسير بالمأثور) ؛ لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، دار الفكر / بيروت — ١٩٩٣م ، (٤٥/١) .

(٦) الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ؛ لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط١/ القاهرة ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م ، ط٢ / بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، دار

سورة البقرة

مدنيَّة ، إلا آية واحدة ، و [هي] [١] قوله تعـالى : ﭽ   ﯨ ﯩﭼ[٢] فإنها نزلت بمنى[٣]، وهي كالمدنية أيضًا ؛ لنـزولها بعد الهجرة ، وعدد آي هذه السورة (مائتان وثمانون وست آيات) كوفي ، و(سبع) بصري ، و(خمس) حجازي[٤].

ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ

ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭼآية واحدة عندَ الجميع إلا عندَ الكوفيين ؛ فإنها عندهم آيتان : الأولى منهما قوله تعالى : ﭽ ﭑﭼ . واختلف النّاس في ﭽ ﭑﭼ ، وسائر حروف الهجاء في أوائل السور: رُويَ عن عمرَ ، وعثمانَ ، وابنِ مسعود ــ ﭫ ــ أنهم قالوا : إنَّ الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يُفَسَّر [٥]. ووافقهم الشَّعبيُّ [٦]

العلم للملايين / بيروت ، مادة (أمن) (٥/ ٢٠٧٢) ، وينظر: تفسير السمرقندي (٤٤/١) ، وتفسير ابن كثير (٣٢/١) ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علـم التفسـير ، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر / بيروت ، (٢٦/١) .

(١) كُتبت في الأصل وفي النسخة (ب) : (هو) ، والصواب ما أثبته ؛ لضرورة السياق .

(٢) من الآية : ٢٨١ من سورة البقرة .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ؛ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيـق : سـعيد المنـدوب ، دار الفكر/ لبنان ، ط١/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، (٦٠/١) ، وينظر : سعادة الدّارين وعدُّ آي معجز الثقلين (ص :١١) ، وينظر : أحكام القرآن للجصاص (١٧/٣) ، وزاد المسير في علم التفسير ، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ط ٣ / ١٤٠٤هـ ، المكتب الإسـلامي / بيروت ، (٢٠/١) .

(٤) ينظر: البيان في عدِّ آي القرآن (١٤٠/١) ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيـز ؛ لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، تحقيق الأستاذ : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت / لبنان ، (١/ ١٣٣) ، وينظر : إتحاف فضلاء البشر (١٦٦/١) ، وسعادة الـدارين وعدُّ آي معجز الثقلين (ص : ١١) .

(٥) ذُكِر ذلك عنهم ــ رضوان الله عليهم ــ في تفسير السـمرقندي (٤٧/١) ، و لم أقـف علـى ، وينظر : تفسير القرطبي (١٥٤/١) ، وفتح القدير (٢٩/١) .

(٦) ينظر ترجمته (ص:٤٦) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

على ذلك ، فقال : إنَّ لله تعالى سرًّا في كُتُبه ، وإنَّ سرَّه في القرآن هو الحروف المقطعة[1]، وأكَّده محمد بن السّائب الكلبي ، لما رَوى أنَّ رهطًا من اليهودِ منهم : كَعْبُ بن الأَشْرَف[2]، وحُيَيُّ بن أَخْطَب[3]، وجُدَيُّ ابن أَخْطَب[4] وغيرُهم ، دخلوا على رسول الله الله ــ ﷺ ــ ، فقال له حُيَيُّ : بلغنا يا محمد أنك قَرَأَت : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ فإن كنتَ صادقًا فيما تقول ، فإن منتهى ملك أمتك إلى إحدى وسبعين سنة ؛ لأنَّ الألف في حساب الـجُمَّل[5]واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون . فضحك رسول الله

(١) تفسير السمرقندي (٤٧/١) عن الشعبي ، وينظر : تفسير البغوي (١ / ٤٤) ، وتفسير القرطبي (١٥٤/١) عن الشعبي .

(٢) كَعْبُ بن الأَشْرَف هو : أحد بني النضير ، آذى رسول الله ــ ﷺ ــ مرةً بالهجاء ومرةً بالحرب ، وكان رجلاً من طيء ، وأمّه من يهود بني النضير ، قُتِل على يد الأوس ، وهو الذي أُنزل فيه قوله تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ [الآية :٥١ من سورة النساء] . وذلك حينما فضَّل دين المشركين على دين محمد ــ ﷺ ــ . ينظر: البداية والنهاية ؛ لإسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، مكتبة المعارف / بيروت ، (٦/٤) ، وتاريخ ابن خلدون ؛ لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، ط٥/ ١٩٨٤م ، دار القلم / بيروت ، (٤٣١/٢) .

(٣) حُيَيُّ بن أَخْطَب هو : سيد بني النضير من ولد هارون بن عمران أخي موسى ــ عليهم السلام ــ ، والد أمِّ المؤمنين صفية ــ رضي الله عنها ــ زوج النبيّ ــ ﷺ ــ ، ممن عُرِف بإظهار العداوة ونقض العهد ضد المسلمين ، وقد ظهر ذلك جليًّا في غزوة الأحزاب ، وقصة إجلاء يهود بني النضير . ينظر: تاريخ الإسلام (٢ / ٢٨٩) ، والبداية والنهاية (٢٣٧/٣) .

(٤) جُدَيُّ ــ بالجيم ــ بن أَخْطَب هو : أخو حُيَيُّ بن أَخْطَب ، وهو الذي أرسله حُيَيُّ بن أَخْطَب أَخْطَب إلى النبيّ ــ ﷺ ــ حين طلب ــ ﷺ ــ من يهود بني النّضير الخروج من المدينة ، فأبوا ذلك ، فجاء الرَّد بالجلاء ؛ فهؤلاء كانوا من أحبار اليهود وأهل الشرور والعداوة لرسول الله ــ ﷺ ــ وأصحابه ــ رضي الله عنهم ــ ، وأصحاب النصب لأمر الإسلام ليطفئوه ، فردَّ الله كيدهم في نحورهم ، وأعزَّ الإسلام وأهله . ينظر : البداية والنهاية (٢٣٧/٣) .

(٥) حسابُ الـجُمَّل حساب الصّابئة المنجمون ، وهو من نوع تأويل الحوادث التي أخبر بها القرآن القرآن عن اليوم الآخر . ينظر : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ؛ لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرَّاني ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، ط٢/مكتبة

الله ــ ﷺ ــ . فقال حُيَيٌّ : وهل غير هذا ؟ قال : نعم ، ﭽ ﭑ ﭼ . فقال حُيَــيٌّ : هذا أكثر ؛ لأن الصادَ [ستون] [١]، فهي إحدى وثلاثون ومائة [٢]، فهل غير هذا ؟ قال : نعم ، ﭽﭑﭼ . فقال حُيَيٌّ : هذا أكثر؛ لأنَّ الرَّاءَ مائتان ، فهي إحدى وثلاثون ومائتا سنة ، فهل غير هذا ؟ قال : نعم ، ﭽﭑﭼ . فقالَ حُيَيٌّ : وهذا أكثر ، وهي إحدى وسبعون ومائتا سنة ، ثم قال : خلطتَ علينا يا محمد ، فلا ندري أبالقليل نأخــذ أم بــالكثير ؟ [٣] فأنزل الله تعالى : ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤﭼ[٤] ، وعن ابــن عبّاس ــ رضي الله عنهما ــ في معنى قولهِ تعالى : ﭽ ﭑﭼ[٥] أنَّ معناه : أنا الله أعلم[٦] ؛ أي

ابن تيمية ، (١٣/٢٧٦) .

(١) كُتِبت في النسخة (ب) : سبعون بدلاً من ستين .

(٢) كُتِبَ في حاشية الأصل ، وفي حاشية النسخة (ب) : « المعروف أنَّ الصاد تسعون ؛ يلحق ما وقع هنا باستقراء نصوص ، فإن اتفقت على هذا ؛ فما وجه قوله : فهي إحدى وثلاثون ومائة ! بل الصواب أن تقول : هي إحدى وستون ومائة ؛ لأن الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والمــيم أربعون ، والصاد تسعون ، فافهم ذلك ! » .

(٣) ذكره السمرقندي في تفسيره (١/٤٧) (بلفظه) وفيه : أبو ياسر بن أخطب بدلاً من جُدَيٍّ بن أخطب ، وأخرج (نحوه) الطبري في تفسيره (١/٩٣) عن الكلبي عن أبي صالح عــن ابــن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، وقال (١/ ٨٨) : « وقال بعضهم : هي حروف من حســاب الــجُمَّل ؛ كرهنا ذلك الذي حكى ذلك عنه ؛ إذ كان الذي رواه مِمَّنْ لا يُعتمد على روايتــه ونقله » ، وذكره ابن كثير (بنحوه) أيضًا في تفسيره ، وقال : « فهذا الحديث مــداره علــى محمد بن السّائب الكلبي ؛ وهو ممن لا يحتجُّ بما انفرد به » (١/٣٩) .

(٤) من الآية : ٧ من سورة آل عمران .

(٥) وردت في فاتحة السور التالية : البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة .

(٦) أخرجه الطبري (١/٨٨) ، وابن أبي حاتم (١/ ٣٣) رقم (٤٣) في تفسيرهما عن عطــاء بــن السائب عن أبي الضُّحى عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، وأخرجه أيضًا الطــبري عــن أبي يقظان عن عطاء بن السّائب عن سعيد بن جبير (١/٨٨) ، وهــي روايــات صــحيحة ، وينظر : تفسير السمرقندي (١/٤٦) .

أنَّ كلَّ حرفٍ قائم مقام كلمة ، وقالَ في قوله تعالى : ﮋﭑﮊ[١]: أنـــا الله أرى ، وفي ﮋ ﮯﮊ[٢]: أنا الله أعلم وأرى ، وفي ﮋﭑ ﮊ[٣]: أنا الله أعلم وأَفْصِل[٤] ، وقـــال في ﮋﭑﮊ[٥]: الكاف من (كافي) ، والهاء من (هادي) ، والياء من (حكيم) ، والعين من (عليم) ، والصّاد من (صادق)[٦]. وعن ابن مسعود ــ ﷺ ــ أنه قال : ﮋ ﭑﮊ اسم اسم الله الأعظم[٧] ، ويقال : الألف مفتاح اسم (الله) ، واللام مفتاح اسمه (لطيف) ، ، والميم مفتاح اسمه (مجيد) معناه : الله اللطيف المجيد أنزل الكتاب[٨] ، ويقال الألف : هو الله تعالى ، واللام : جبريل ــ عليه السلام ــ ، والميم : محمد ــ عليـــه الصـــلاة / والسلام ــ معناه : الله تعالى أنزل جبريلَ ــ عليه السلام ــ على محمد ــ عليه السلام ــ

---

(١) وردت في فاتحة السور التالية : هود ، يونس ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر .

(٢) وردت في فاتحة سورة الرعد .

(٣) وردت في فاتحة سورة الأعراف .

(٤) ذكره السمرقندي (١/ ٥١٩) في تفسير سورة الأعراف عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، ، وينظر : تفسير السمعاني (تفسير القرآن) ؛ لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبـــد الجبـــار السـمعاني ، تحقيـــق : ياســـر بـــن إبـــراهيم و غنـــيم بـــن عبـــاس بـــن غنـــيم ، ط١/ ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، دار الوطن – الرياض / السعودية ، (٤١/١) ، وينظر: تفسير القرطبي (١٥٥/١) .

(٥) وردت في فاتحة سورة مريم .

(٦) تفسير البغوي (٤٤/١) عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، وانظـــر : تفســـير القـــرطبي (٧٤/١١) .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١ / ٨٧) عن السدي عن مـــرة الهمـــداني عـــن عبـــد الله بـــن مسعود ــ ﷺ ــ ؛ وهي رواية ضعيفة ؛ فالسدي الكبير مختلف فيه . وينظر : تفسير ابن عطية (٨٢/١) ، وتفسير النسفي المسمى (مدارك التنـــزيل وحقائق التأويل) ؛ لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، دار الكتاب العربي / بيروت – لبنـــان ، (٩/١) ، وينظر : تفسير السيوطي (٥٧/١) .

(٨) أخرجه الطبري (٨٨/١) ، وابن أبي حاتم (١/ ٣٣) رقم (٤٩) في تفسيرهما عن الربيـــع بـــن أنس ، وينظر : تفسير السمرقندي (٤٧/١) ، وزاد المسير (٢٢/١) .

بهذا القرآن [١]، وقد نطقت العربُ بالحرفِ الواحد دليلاً على الكلمة التي هو منها ؛ قال الشاعر [٢]:

قلنا لها قفي لنا قالت قاف لاتحسبي أنّا نسِينا الإيجاف [٣]

أراد بالقاف : وقفت . وقال الكلبي : هذا قسمٌ أقسمَ الله تعالى به ، أن هذا الكتاب الذي أُنزِلَ على محمد ــ ﷺ ــ هو الكتاب الذي عندَ الله ، وجَوابُ القسم ﭽ ﭙ ﭚﭛ [٤] ، وعن قَتَادة ــ رضي الله عنه ــ : إن الحروفَ المقطعَة اسمٌ للسور ؛ تعرف كلُّ سورة بما اُفتتِحت به [٥] ، وعن مُجَاهد أنَّه قال : هي فواتح افتتح اللهُ تعالى بها كتابه [٦] ،

---

(١) تفسير السمرقندي (١/ ٤٧) .

(٢) قائل البيت : الوليد بن عقبة ، و لم أقف عليه في دواوين الشعر وكتب الأدب ، وذكر في الخصائص ؛ لأبي الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب / بيروت، (٣٠/١) ، وذُكر في تفسير الطبري (٩٠/١) ، وتفسير السمرقندي (٤٦/١) ، وتفسير ابن عطية (٨٢/١) .

(٣) كُتِبَ في حاشية الأصل ، وفي النسخة (ب) : « الإيجاف : تسيير الخيل والإبل بسرعة ؛ يقال: يقال: أوجف فأعجف » . انظر: لسان العرب (٣٥٢/٩) مادة (وجف) ، وتاج العروس (٤٤٦/٢٤) مادة (وجف) .

(٤) أخرجه (بنحوه) الطبري في تفسيره (١ /٨٧) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : « قال هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله » ؛ وهذا الطريق من أجود الطرق عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، قال السيوطي في الإتقان معلقًا على هذا الطريق : « فمن جيدها طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه » (٤ / ٤٩٦) ، وينظر : تفسير السمرقندي (٤٦/١) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٥٦) ، وزاد المسير (٢٠/١) ، وتفسير القرطبي (١/ ١٥٦) .

(٥) أخرج الطبري (١/ ٨٧) وابن أبي حاتم (١/ ٣٣) رقم (٥١) في تفسيرهما عن قتادة : « إنه اسم من أسماء القرآن » ، والقول المذكور منسوب لابن زيد بن أسلم ومجاهد ، وينظر: تفسير الماوردي (١ / ٦٣) ، وتفسير البغوي (٤٤/١) ، وزاد المسير (٢٢/١) ؛ والصحيح ــ والله أعلم — أن هذه الحروف ليست اسمًا للسور ؛ لأمرين : ١- أن الاسم للتمييز ورفع الاشتباه . ٢- السور لم تعرف بهذه الأسماء وإنما عرفت بغيرها .

(٦) أخرجه الطبري (١/ ٨٧) ، وابن أبي حاتم (١/ ٣٣) رقم (٥١) في تفسيرهما عن ابن جريج

وعن أبي عُبيدة[١]: هنَّ شِعارُ السُّوَر [٢] ، وعن قُطْرب[٣]: إنَّ المشّركين كانوا لا يسمعون القرآن ؛ كما قال الله تعالى : ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ[٤] ؛ أراد الله تعالى أن يُسمِعَهم الحروف المقطعة ؛ ليستمعوا إلى ذلك ، فيسكتوا طمعًا في الظَّفَر بما يحبون ، فيقيم النبيّ ـ ﷺ ـ الحُجَّةَ عليهم[٥]. وعنه أيضًا : أنَّ الكفار كانوا يقولون : قلوبنا في أكنّةٍ مما تدعونا إليه فلا نفهم ما تقول ؛ وأراد الله تعالى أنْ يبيّنَ لهم أنَّ هذا

عن مجاهد ، وينظر : تفسير ابن كثير (٣٨/١) عن مجاهد .

(١) أبو عُبيدة هو : مَعْمر بن المُثَّى التيمي مولاهم البصريّ ، النّحويّ ، اللغويّ ، كان مَنْ أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها ، وهو أول من صنَّف غريب الحديث . ومن مصنفاته : إعراب القرآن ، ومجاز القرآن ، وغيرها ، مات سنة ٢٠٨هـ . ينظر: معجم الأدباء (٥ /٥٠٩) رقم (٩٥٥) ، وطبقات المفسرين للأدنه وي (٣٠/١) رقم (٤٦) .

(٢) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ؛ عارضه بأصوله وعلّق عليه : محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي بمصر ، (١/ ٢٨) .

(٣) قُطْرُب هو : أبو علي محمد بن المستنير النحوي ، المعروف بقُطْرُب البصري اللغوي ، سمِّيَ قُطْربًا ؛ لأنه كان يبكر إلى سيبويه للأخذ عنه ، والقُطْرب ؛ دويبة تسعى طول الليل لا تفتر ، كان عالـمًا ، ثقة ، أحد أئمة النحو واللغة ، ومن مصنفاته : الاشتقاق ، والأضداد ، ومعاني القرآن . مات سنة ٢٠٦هـ . انظر: معجم الأدباء (٤٤٥/٥) رقم (٩١٩) ، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، تحقيق : محمد المصري ، جمعية إحياء التراث الإسلامي / الكويت ، ط١/ ١٤٠٧هـ ، (١ / ٢١٤) رقم (٣٥٦) ، وينظر : بغية الوعاة (٢٤٢/١) .

(٤) من الآية : ٢٦ من سورة فصلت .

(٥) تفسير السمرقندي (١/ ٤٧) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٦٢) ، وضعّف هذا = القول ابن كثير في تفسيره ، وقال : « لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لا يكون في بعضها ؛ بل غالبها ليس كذلك ، ولو كان كذلك أيضًا لا نبغي الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواءًا كان افتتاح سورة أو غير ذلك ، ثم أن هذه السورة والتي تليها ؛ أعني البقرة وآل عمران ؛ مدنيتان ليستا خطابًا للمشركين ، فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه » (١ / ٣٨) .

القرآن مُؤلَّفٌ من الحروفِ المقطعةِ التي رُكِّبت عليها ألسنتهم فما لهم لا يفقهون ![1] .

المراد بذِكر بعض الحروف ؛ تمام الحروف ؛ كما يقول الرجلُ : علَّمْتُ ولدي (أ ، ب ، ت ، ث) ، لا يريد به هذه الحروف الأربعة ، وعلى هذا تفسير سائر الحروف المقطعة في القرآن .

فإن قيل : كيف يجوز أن يكونَ الحرف الواحد مستجمعًا لجهات مختلفة ؟

قيل: يجوز في كلام العرب خاصَّة ، ألا ترى أنهم يقولون للجماعة : أُمَّة ، وللدِّين : أُمَّة ، وللرجل الواحد : أُمَّة ، وللقامة[2]: أُمَّة ، وكذلك اسم المولى ، ونحو ذلك ، وكذلك ﭑﭒ ، وإن كان ثلاثة أحرف لا يُستنكَر اختلاف معانيها على صحة التأويل .

وهذه الحروف موقوفة ؛ لأنها هجاء ، وحروف التهجي لا حَظَّ لها في الإعراب ، فيُوقف كل حرفٍ على نيةِ السكت والابتداء بما يليه ، كما يُفعل بالعدد في قولهم : واحد ، اثنان ، ثلاثة ؛ فإذا أدخلوا الواوَ حركوه ؛ لأنَّه صار في حدِّ الأسماء ، فيقال :

---

(١) ينظر : تفسير السمرقندي (٤٧/١) . قال ابن كثير في تفسيره : « ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين ، وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه ، وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام » أ هـ (١/ ٣٩) . ولعلَّ أقرب الأقوال إلى الصواب _ والله أعلم _ أن هذه الحروف التي في أوائل السور فيها بيان لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا ، مع أنه مركَّب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها ؛ فكأنَّ الله تعالى يقول لهم : هاكم القرآن ترونه مؤلفًا من حروف هي من جنس الحروف الهجائية التي تؤلفون منها كلامكم ، فإن كنتم في شكٍّ منه كونه مُنَزّلاً من عند الله ، فهاتوا مثله ، وادعوا من شئتم من الخلق ؛ لكي يعاونكم في ذلك . ينظر: تفسير الرازي المسمى (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب) ؛ لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، ط١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية / بيروت ، (٢ /٧) ، وينظر : تفسير القرطبي (١ /١٥٥) ، وتفسير القرآن الكريم للعلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ط٢/ ١٤٣١هـ ، دار ابن الجوزي / المملكة العربية السعودية ، (١/ ٢٣) .

(٢) ذُكر في حاشية الأصل ، وفي حاشية النسخة (ب) : « قال في ص : والأمة القامة ، قال الأعشى : حسان الوجوه طوال الأُمَمْ ». ينظر : الصحاح (٥/ ١٨٦٤) ، وينظر: ديوان = = الأعشى ، دار صادر – بيروت ، (ص: ١٩٩) ، وفيه : عِظَامُ القِبَابِ طِوَالُ الأُمَمْ .

ألـــــــفٌ ، ولامٌ ، ومــــــــيمٌ ، وكـــــــــذلك العـــــــــدُ [١] ؛ قــــــال

الشاعر [٢]: إذا اجتمعوا على ألفٍ و واوٍ وياءٍ هاج بينهم قتال

وقال آخر[٣]: أقبلتُ من عندِ زيادٍ كالخَرِفْ [٤] تخط رجلاي بخطٍ مختِلف

يكتبان في الطريق لام ألف

قال القاضي الإمام : اختلفوا في محل هذه الحروف : فقال قوم[٥]: محلُّها رفعٌ بالابتـــداءِ ،

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/٥٩) ، وتفسير أبي حيان المسمى (تفسير البحر المحيط) ؛ لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجـــود ، والشيخ علي محمد معوض ، شارك في التحقيق ١) د. زكريا عبد المجيد النوقي ،٢) د.أحمـــد النجولي الجمل ، ط١/ ١٤٢٢هـــ -٢٠٠١م ، دار الكتب العلمية / لبنان - بـــيروت ، (١ / ١٥٤) .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (١/١٣٩) . وورد فيه :

إِذا اجتَمعوا على أَلفٍ وياءٍ وتاءٍ هاجَ بينهمُ قتالُ

وينظر : المقتضب ؛ لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة ، عـــالم الكتب / بيروت (١/٢٣٦) ، ونسبه إلى رجلٍ من الأعراب يذمّ النحويّين ، وينظر: درة الغواص في أوهام الخواص ؛ للقاسم بن علي الحريري ، تحقيق : عرفات مطرجي ، ط١/ ١٤١٨هـــــ - ١٩٩٨هـــ ، مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت ، (١/٢٠٩) ، وورد أيضًـــا في خزانـــة الأدب (١/١٢٢) ، بلفظ :

إذا اجتمعوا على ألفٍ وواوٍ وياءٍ هاج بينهم جدال .

(٣) قائل البيت : أبو النَّجْم العِجليُّ . ديوان أبي النَّجْم العِجْليُّ ، شرحه : عـــلاء الـــدين أغـــا ، ١٤٠١هـــ - ١٩٨١م ، النادي الأدبي / الرياض ، (ص : ١٤١) . وانظر: الزاهر في معـــاني كلمات الناس (١/٣٣) ، وخزانة الأدب (١/١١٥) .

(٤) وخَرَفَ الرَّجلُ خَرْفًا ؛ فَسَدَ عقلُه ؛ لكبره ، فهو خَرِف . ينظر: المصباح المنير (١/١٦٧) مادة (خرف) .

(٥) ينظر : تفسير الطبري (١/٩٢) ، وتفسير الـــرازي (٢/١٨) ، والتبيـــان في إعـــراب القـــرآن (١/١٤) ، والدّر المصون في علوم الكتاب المكنون ؛ لأحمد بن يوســـف المعـــروف بالسّـــمين الحلبي ، تحقيق الدكتور : أحمد محمد الخراط ، دار القلم / دمشق ، ط١/ ١٤٠٦هـــ -١٩٨٦م (١/ ٨١) .

وﭼ ﭗ ﭼ خبره ، و ﭼ ﭘﭼ صلة لذلك[1]؛ كما تقول : زيدٌ ذلك الرجلُ لا شــكَّ فيــه ؛ فزيدٌ مبتدأ ، وما بعده من الجملة خبر عنه ؛ وهذا إذا صحَّ التّأويل في ﭼ ﭑﭼ ، ويَحتمل أن يكون (ألف ، لام ، ميم) خبرًا مقدمًا على ذلك الكتاب ؛ تقديره : ذلك الكتــاب الذي وعدت أن أوحيه إليك ﭼ ﭑﭼ : أي هذه الحروف ، ومَنْ أبطل[2] محلَّ الحروفِ جعل ﭼ ﭗ ﭼ ابتداء ، وﭼ ﭘﭼ خبره ، وﭼ ﭑﭼ ؛ كالصلة[3]، فيكون لذلك الكتــاب معنيان : أحدهما : أنَّ ﭼ ﭗ ﭼ بمعنى (هذا) : أي هذا الكتاب لا شــكَّ فيــه ، وقــد يستعملُ ﭼ ﭗ ﭼ موضع (هذا) ؛ كما قال خُفَافُ بن نُدْبَة [4]:

أقولُ له والرُّمْحُ يَأْطِرُ[5] مَتْنَهُ   تأمَّل خُفَافًا إنَّني أنا ذلكا[6]

أي : إنّني هذا . والثاني : على الإضمار ؛ كأنه قال : هذا القرآن ؛ ذلك الكتاب الــذي وعدتُ في التوراة والإنجيل على لسان موسى وعيسى ــ عليهما الســلام ــ أن أُوحِيَــه

---

(١) عنَى ب(صلة لذلك) : أي صفة لذلك ، أو بدل منه ، أو عطف بيان . ينظر: معاني القــرآن وإعرابه للزجّاج (١/٦٨) ، وتفسير أبي حيّان (١/١٥٩) ، والدّر المصون (١/ ٨١) .

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٢/١٨) ، والدّر المصون (١/ ٨٠ ــ ٨١) .

(٣) عنَى ب(الصلة) هنا : أي لا إعراب لها ؛ وإلى هذا ذهب الخليل وسيبويه . ينظــر : معــاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/٥٩) ، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٧٧) ، ومشكل إعــراب القرآن ؛ لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : د. حاتم صالح الضــامن ، ط٢/ ١٤٠٥هـــــ ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، (١/ ٧٣) ، وتفسير القرطبي (١/ ١٥٦) .

(٤) ينظر ترجمته (ص: ٦٣) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٥) ذُكر في الحاشية الأصل ، وفي حاشية النسخة (ب) : « يَأْطِر : يَحْني ويَثْني » . ينظر : لسان العرب (٤/٢٤) مادة (أطر) .

(٦) شعر خُفَاف بن نُدْبَة السُّلمي ، جمعه وحققه : د . نوري حمودي القيسي ، ١٩٦٧م ، مطبعة=
مطبعة=

= عارف / بغداد ــ ، (ص : ٦٤) ، وينظر : العقد الفريد ؛ لأحمد بن محمد بــن عبــد ربــه الأندلسي ، ط٣/ ١٤٢٠هــ – ١٩٩٩م ، دار إحياء التراث العــربي/ بــيروت – لبنــان ، (٥/١٤٣) ، وينظر : خزانة الأدب (٥/٤٢٠) .

إليك ، أو هذا القرآن ؛ ذلك الذي في اللوح المحفوظ [١].

فإن قيل : ما معنى قوله تعالى: ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، وقد ارتاب فيه كثير من الناس ؟

قيل معناه ـ والله أعلم ـ : لا شكَّ فيه للمتأمّل فيه أنه شيءٌ لم يختلقه محمد ـ ﷺ ـ من تلقاء نفسه ، أو لا ينبغي أن يشكَّ فيه ؛ لأنَّه معجز ، ويَحتمل أنْ يكونَ معناه : لا ترتابوا فيه ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾[٢] ، ويَحتمل : لا شكَّ فيه عند المؤمنين [٣]. وإنما انتصب ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ؛ لتعميم النفي ؛ ألا ترى أنك تقول : لا رجلَ في الدَّار ؛ تنصب اللام ، فيكون نفيًا عامًّا ، وإذا قلت : لا رجلٌ في الدَّار ؛ بالرفع والتنوين ؛ جاز أن يكونَ في الدَّار رجلان أو ثلاثة . وقال / سيبويه[٤]: (لا) مع ما بعدها شيء واحد ؛ كخمسة عشر ، وهي علة لنصب ما بعدها [٥]. ل[٥/أ]

قوله ﷻ : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾: بيانًا للمتقين ؛ الشرك ، والكبائر ، والفواحش .

والمتقي من جعل قلبه في الوقاية : وهي الحفظ من الشهوات والمعاصي ؛ لأن (اتقى) كان في الأصل (أوتقى) على وزن (افتعل) من الوقاية[٦].

فإن قيل : ما معنى تخصيص المتقين في الآية ، والقرآن هدىً للمتقين وغير المتقين ؟

قيل: تخصيص الشيء بالذِّكر لا يدل على نفي ما عداه ، وفائدة التخصيص تشريف المتقين ؛ لأن منفعةَ البيان راجعةٌ إليهم [٧]؛ كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾[٨]، وقال

---

(١) ينظر: تفسير السمرقندي (١ / ٤٨) ، وتفسير البغوي (١/٤٤) .

(٢) من الآية : ١٩٧ من سورة البقرة .

(٣) تفسير السمرقندي (١ / ٤٨) .

(٤) سيبويه هو : أبو بِشْر عمرو بن عثمان بن قنبر ؛ إمام البصريين ، ويقال : أبو الحسن ، ولُقِب سيبويه ؛ ومعناه رائحة التفاح ؛ وقيل غير ذلك ، أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وأبي الخطاب الأخفش ، وعيسى بن عمر ، مات سنة ١٦١هـ . ينظر : معجم الأدباء (٤ / ٤٩٩) رقم (٦٩٣) ، وبغية الوعاة (٢/ ٤٩٩) رقم (١٨٦٣) .

(٥) ينظر : كتاب سيبويه (٢/٢٧٤) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٦٩) .

(٦) ينظر: لسان العرب (١٥/ ٤٠٣) مادة (وقى) ، وتاج العروس (٤٠/٢٢٧) مادة (وقى) .

(٧) ينظر: تفسير السمرقندي (١ / ٤٨) .

(٨) من الآية : ١١ من سورة يس .

وقال عزَّ من قائل:ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩﭼ[١] . وموضع ﭽ ﭙﭼ: نصب على الحال ؛ إمَّا من قوله تعالى: ﭽﭖﭼ ؛ كأنه قال : ذلك الكتاب هاديًا ، وإمَّا من قوله تعالى: ﭽﭚﭛﭜﭼ في حال هدايته ، ويجوز أن يكون موضعه رفعًا على إضمار هو أو فيه[٢].

قوله ﻷ : ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭼ

قال ابن عباس [رضي الله عنهما] : معناه الذين يُقِرُّون بغيب القرآن أنَّه من الله تعالى ، فيُحلون حلاله ، ويُحرمون حرامه ، ويقيمون الصلوات الخمس بشرائطها ، وما يجب من حقِّ الله تعالى فيها في مواقيتها ، ومما أعطيناهم من الأموال يُؤدون زكاتها إلى الفقراء[٣].

وقال قَتَادة : يُصَدِّقون بموعود الله الذي وعد به في القرآن من البعث ، والحساب ، والجنة ، والنار[٤].

وقال عَطَاء[٥] : الغيب هو الله تعالى[٦] .

قال ــ ﭬ ــ : الإيمان على ضربين : لغويّ ، وشرعيّ ؛ فاللغويّ : هو التَّصديق فقط مجردًا [٧]؛كقوله تعالى :ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﭼ[١] أي : بمصدِقٍ .

---

(١) الآية : ٤٥ من سورة النازعات .

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٧٠) ، والدّر المصون (١/ ٨٦- ٨٧) .

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي (٤٩/١) .

(٤) أخرج (نحوه) الطبري في تفسيره (١ / ١٠١) عن أسباط عن السّدي ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، وعن مرة الهمداني وناسٍ من الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ ، وهي رواية ضعيفة ، وينظر : تفسير البغوي (١/ ٤٧) ، وتفسير السيوطي (٦٤/١) .

(٥) ينظر ترجمته (ص: ٤٦) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٦) ينظر : تفسير السمرقندي (١ / ٤٩) ، وتفسير البغوي (١/ ٤٧) و لم يُنسب فيهما عن عطاء ولا عن غيره .

(٧) ينظر: غاية المرام في علم الكلام ؛ لعلي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي ، تحقيق : حسن محمود عبد اللطيف ، ١٣٩١هـ - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / القاهرة ، (٣٠٩/١) . وينظر : معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ؛ لحافظ بن أحمد حكمي ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر ، ط١/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، دار ابن القيم / الدمام ،

والشرعيّ : الإقرار باللسان ، والتصديق بالقلب في كلِّ ما يلزم تصديقه من الله تعالى ، وكتبه ، ورسله ، فما لم يوجدا معًا لم يكن قائله موحدًا على الحقيقة [٢].

وحقيقة الغيب : مالا يدرك بالحواس الخمس ، ويحتاج في إثباته إلى الاستدلال ، وعلى الإيمان به يستحق المدح ؛ لأن ما أُدرِك عَيانًا وحِسًّا لا مدح في الإقرار بوجوده .

وفي الآية دلالة وجوب الصلاة والزكاة ؛ لأن الله تعالى جعلهما من صفات المتقين ، كما جعل الإيمان بالغيب ؛ وهو الإيمان بالله تعالى ، وبالبعث ، والحلال ، والحرام من شرائط التقوى ، ويجوز أن يكونَ إقامة الصلاة من تقويمِ الشيءِ وتحقيقِه ؛ ومنه قوله ﷻ: **چگ گ گـچ**[٣] يقال : قامَ بالأمر وأقامه ؛ إذا جاء به مُعْطِيًا حقوقه[٤]، ويجوز أن يكونَ معنى

(٥٩٧/٢) .

(١) من الآية : ١٧ من سورة يوسف .

(٢) وهذا مذهب الأشاعرة والمرجئة في تعريف الإيمان أن معناه : التصديق (تصديق القلب واللسان) فقط ، وأمّا الأعمال فقَدرٌ زائدٌ على الإيمان ، فأخرجوا بذلك الأعمال من مسمّى الإيمان . ينظر : المسائل الإعتزالية في تفسير الكشاف (١/ ١٦٢) . وأما مذهب أهل السّنة والجماعة في تعريف الإيمان هو : قول وعمل ؛ قول باللسان : وهو الإقرار ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنيَّة الصادقة . ينظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة (اعتقاد أهل السنة) ؛ لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان ، ١٤٠٢هـ - دار طيبة / الرياض ، (٨٤٩/٤) رقم (١٥٩٠) ، وينظر : الغنية في أصول الدين ؛ لأبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري المتولي ، ط١/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٧م ، مؤسسة الكتب الثقافية / لبنان ، (١٧٣/١) ، وينظر: شرح قصيدة ابن القيم (وضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم) ؛ لأحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تحقيق : زهير الشاويش ، ط٣/١٤٠٦هـ ، المكتب الإسلامي / بيروت ، (١٤٢/٢) .

(٣) من الآية : ٩ من سورة الرحمن .

(٤) ينظر : غريب القرآن (٥٢٨/١) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن ؛ لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، تحقيق : فتحي أنور الدابلوي ، ط١/ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، دار الصحابة للتراث بطنطا / مصر ، (٥٤/١) .

إقامتها : أداؤها على ما فيها من قيامٍ وغيره ، فعبّر عنها بالقيام ؛ لأنَّ القيامَ من فروضها ، وإن كانت تشتمل على فروضٍ غيره ؛ كقوله تعالى:ﭽﭬﭭﭮ ﭼ[1] ، وأراد به الصلاة التي فيها القراءة ، وقوله تعالى: ﭽﭾ ﭼ[2]؛ أراد به القراءة في صلاة الفجر ، وقوله تعالى:ﭽﮚﮛﭼ [3] فذكر ركنًا من أركانها الذي من فروضها ، وإقامة الصلاة: قيامُ القوم لها ؛ يقال : ليلٌ قائم : أي يُقام فيه ، ونهارٌ صائم : أي يُصام فيه ، ويَحتمل معنى قوله تعالى : ﭽﭿﭼ: أي يُديمون ؛ تقول العرب في الشيء الدَّائم الجاري[4]: قائمٌ ، وفي فاعله : مقيم ، ويقال : فلان يقيم أرزاق الجند ، ويجوز أن يكون معنى إقامة الصلاة الاشتغال بها عن غيرها ، يقال : قامتْ السُّوقُ ؛ إذا حضرَ أهلُها ؛ ومنه قامتْ الصلاةُ [5].

وأمَّا الرّزق في اللغة : فهو الحظُّ والنَّصيب [6]. قال الله تعالى : ﭽﭩ ﭪ ﭫﭬ ﭼ[7] أي أي : حظَّكم من هذا الأمر التكذيب به ، وعن السُّدي[8] أنه قال في تفسير قوله تعالى :

---

(١) من الآية : ٢٠ من سورة المزمل .

(٢) من الآية : ٧٨ من سورة الإسراء .

(٣) من الآية : ٤٣ من سورة البقرة .

(٤) ينظر : لسان العرب (٤٩٩/١٢) مادة (قوم) ، ومختار الصحاح ؛ لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، تحقيق : محمود خاطر ، ط١٤١٥/١هـ - ١٩٩٥م ، مكتبة لبنان / بيروت (٢٣٢/١) مادة (قوم) .

(٥) أحكام القرآن للجصاص (٢٨/١) .

(٦) لم أقف عليه في معاجم اللغة ، وانظر: المفردات في غريب القرآن (١٩٤/١) ، وتفسير البيضاوي البيضاوي المسمى (أنوار التنـزيل وأسرار التأويل) ، لأبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ، دار الجيل ، (٩/١) ، وينظر : تفسير الرازي (٢٨/٢) .

(٧) الآية : ٨٢ من سورة الواقعة .

(٨) السُّدي هو : أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن ابن أبي كريمة السُّدِّي ـــ بضم المهملة وتشديد الدال ـــ الحجازي ثم الكوفي ، إمام في التفسير ، وهو السُّدي الكبير ؛ كان يقعد في سدة باب الجامع بالكوفة فسُمِّيَ السُّدِّي ، مات سنة ١٢٧هـ ، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب : « صدوق ، يهم ، ورُمِيَ بالتشيّع » ؛ (١٠٨/١) رقم (٤٦٣) ، وينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣٩٥/١) رقم (٩٠٨) .

ﭽﭥ ﭦ ﭧﭼ : هو نفقة الرجل على أهله[١] ، ويقال : هو في الجهاد[٢] ، والظَّاهر أنه الزَّكاة ؛ لأنَّ الله تعالى قرن بين الصلاة والزَّكاة في مواضع من كتابه ، وإقامة الصّلاة : طهارة الأبدان ، وإعطاء الزَّكاة : طهارة الأموال ، وبالأموال قَوَام الأبدان ، وقيل: الإيمان بالغيب ؛ حظٌّ قلبك ، وإقامة الصلاة ؛ حظٌّ بدنك ، والإنفاق من الرزق ؛ حظٌّ مالك [٣].

قوله ﻷ : ﭽﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ

زيادةٌ في وصف المتقين معناه : الذين يُصدِّقون بالقرآن الذي أنزل إليك ، وبالتوراة ، والإنجيل ، وسائر الكتب المنزلةِ من قبلك ، وبالبعث الذي فيه جزاء الأعمال يُقرُّون .

ورُويَ أنه لما نزل قوله تعالى : ﭽﭟ ﭠ ﭡﭼ إلى آخرِ الآية ./ قالت اليهود : نحن آمنَّا بالغيب ، ونقيم الصلاة ، وننفق مما رَزَقَنا الله . فأنزل الله تعالى: ﭽﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭼ الآية ، فنفَروا من ذلك[٤]. ل[٥/ب]

قال الصَّادق ـ ﭬ ـ [٥]: إنما قال : ﭽﭲ ﭳ ﭴ ﭼ ، ولم يَقل يؤمنون ؛ لأن الإيقان توكيد الإيمان ، واليقين بالآخرة يقين خبر ودلالة ، ويصير معاينة عند الرؤية ، ويُسمَّى البعث آخرة ؛ لأنها أُخِرَت إلى فناء الدنيا .

قوله ﻷ : ﭽﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ

أهل هذه الصّفة الذين سبق ذكرهم على بيانٍ من الله تعالى في الدنيا ؛ وهم النَّاجون

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/١٠٤) عن أسباط عن السّدي ، وعن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ـ ﭬ ـ ، وعن ناس من أصحاب النبيّ ـ ﷺ ـ ، وينظر : تفسير السمرقندي (١/٤٩) عن أسباط عن السّدي .

(٢) ينظر : تفسير ابن عطية (١/٨٥) .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي (١/١٧٩) .

(٤) لم أقف على سنده . وذُكر في تفسير السمرقندي (١/٤٩) ، وتفسير القرطبي (١/١٨٠) .

(٥) وفي كلمة (الصادق) نظر ؛ فلا ينبغي أن يطلق الصادق إلا على الرسول ﷺ .

السُّعداء الباقون في الجنة . والمفلح في اللغة : كلُّ مَنْ أصاب خيرًا [١]، وأصل الفَلْح ؛ القَطْع ، ومنه يُسمَّى الـمُكَارِي ؛ فلاحًا ، والأَكَار ؛ فلاحًا ؛ لأنهما يقطَعانِ الأرض ، ويقال: الحديدُ يُفْلَحُ بالحديدِ [٢]. قال الشاعر [٣]:

أَفلحْ بما شئتَ فقد يُدْرَك بالضَّعْفِ وقد يُخْدَعُ الأَرِيبُ [٤].

معناه : أقطع حياتك بما شئت ، ويقال : أصل الفلاح البقاء والظَّفَر ، ثم أخذ منه القَطْع [٥]، والله أعلم .

قوله ﷻ: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ

فصلٌ ثانٍ من فصول هذه السورة ؛ لأن ما قبل هذا كان في ذكر المؤمنين ، وهذه الآية والتي بعدها في ذكر الكافرين ، ومعنى هذه الآية ـ والله أعلم ـ : أنَّ الذين جحدوا بالقرآن ، وبمحمد ـ ﷺ ـ مستوٍ عندهم ؛ أخوَّفتهم بالقرآن ، أم لم تخوفهم لا يُصدقون بنبوتك ، والكفر بالله تعالى نقيض الإيمان به ، وكفر النّعمة نقيض شكر النّعمة ، وأصل الكفر: الستر ، يقال : كفرت الشيء ؛ إذا غطيته ، ويسمّى الليل كافرًا ؛ لأنه يغطي الأشياء بظلمته ، ويُسمَّى الزَّارع كافرًا ؛ لأنه يغطي البذرَ بالأرض [٦]؛ قال الله تعالى: ﭽ

---

(١) ينظر: لسان العرب (٥٤٧/٢) مادة (فلح) ، وتاج العروس (٢٧/٧) مادة (فلح) .

(٢) ينظر : جمهرة الأمثال ؛ لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، دار الفكر / بيروت (٣٤٥/١) ، وينظر : مجمع الأمثال ؛ لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة / بيروت ، (١١/١) .

(٣) قائل البيت : عبيد بن الأبرص . وهو في ديوانه ، تحقيق د. حسين نصار ، ط١/ ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، (ص: ١٤) ، وينظر: جمهرة أشعار العرب ؛ لأبي زيد القرشي محمد بن أبي الخطاب ، = = تحقيق : عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم/ بيروت ، (١٤٠/١) ، وينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس (٣٨/١) .

(٤) الأريب : العاقل . لسان العرب (١/ ٢٠٩) مادة (أرب) .

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (٤/ ٤٥٠) مادة (فلح) ، ولسان العرب (٥٤٧/٢) مادة (فلح) .

(٦) ينظر: لسان العرب (١٤٤/٥) مادة (كفر) ، والمصباح المنير (٥٣٥/٢) مادة (كفر) .

ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﭸ[١] : أي الزُّراع ؛ فكأن الكافر يستر نعمة الله عليه بجحوده وإنكـــاره[٢] . والسواء : الاعتدال[٣]، يقال : هذا وهذا سواء : أي معتدلان ، ويقال لوسط الطريـــق : سواء ؛ لأنه تعتدل إليه المقادير ، وقد يقام المصدر مقام الاسم ، يقال : رجلٌ عَدْلٌ وصَوْمٌ ؛ أي : عادل وصائم . والإنذار أبلغ من التخويف ؛ لأنه إعلام بموضع المخافة ، يقـــال : أنذرته فنذر ؛ أي : أعلمته موضع المخافة وحذَّرته ؛ فعَلِم وحَذِر.

وتحقيق الهمزتين في قوله : ﭽ ﭙ ﭼ تثبت بأصل الكلمة ؛ لأن ألف الاستفهام دخل على ألف القطع ، وأما تطويل الهمزة الأولى مع تحقيق الثانية ﭽ ﭙ ﭼ[٤]؛ فلكراهة الجمع بـــين الهمزتين على صفة واحدة ؛ لما في ذلك من الثقل[٥]؛ كما قال الشاعر[٦]: تطاولتُ

---

(١) من الآية : ٢٠ من سورة الحديد .

(٢) ذُكِر في حاشية الأصل ، وفي النسخة (ب) : « والكافر : البحـــر ، ومغيـــب الشـــمس ، والدّرع ، والدّافن ، في قوله : ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ [من الآية : ١٣من سورة الممتحنة] ينظر: مقاييس اللغة (١٩١/٥) مادة (كفر) ، ولسان العرب (١٤٧/٥) مادة (كفر) .

(٣) ينظر: لسان العرب (٤١٢/١٤) مادة (سوا) ، ومختار الصحاح (١٣٦/١) مادة (سوا) .

(٤) قرأ قالون وأبو عمرو وهشام بالمد قبل الهمزة الثانية المفتوحة ، مع تسهيل الهمزة الثانية بخلف عن عن هشام ، وأما ورش فإنه يبدل الثانية ألفًا فيمد ، والباقون من القراء العشرة بتحقيق الهمزتين من غير إدخال . ينظر: التبصرة في القراءات ؛ لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، حققـــه وعلَّق عليه : د /محيي الدين رمضان ، ط١/ ١٤٠٥هـــ – ١٩٨٥م ، المنظمة العربيـــة للتربيـــة والثقافة والعلوم / الكويت ، (ص: ٧١) ، وينظر: إبراز المعاني من حرز الأماني في القـــراءات السبع ؛ لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، شركة مكتبـــة مصطفى البابي الحلبي / مصر ، (١٣٦/١، ١٢٨) ، وينظر : إتحاف فضلاء البشر (٦٤/١) .

(٥) ينظر : حجة القراءات لابن زنجلة (ص: ٨٦) ، وإملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعـــراب والقراءات ؛ لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ، تحقيـــق : إبـــراهيم عطـــوه عوض ، المكتبة العلمية / لاهور – باكستان ، (١٤/١) .

(٦) ينظر: ديوان ذي الرُّمَّة ، ط٢/ ١٣٨٤هـــــ – ١٩٦٤م ، المكتـــب الإســـلامي / دمشـــق – بيروت ، (ص: ٧٤٣) ، وفيه : طَالَلْتُ فَاسْتَشْرَفْتُهُ فَعَرَفْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ أَأَنْتَ زَيْدُ الأَرَانِبِ وينظر : أساس البلاغة ؛ لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ١٣٩٩هـــــ ١٩٧٩م / دار

تطاولتُ فاستشرفته فرأيته فقلتُ له أأنت زَيْدُ الأَرَاقِمِ[(١)]

وأما تحقيق الهمزة الأولى ، وجعل الثانية (بين بين) ؛ أعني بين الهمزة والألف[(٢)]، وكذا في قوله: ﭼ ﯓ ﯔﭽ[(٣)]، وفي (رؤوف) (رؤف) بين بين على ما يحققه القرَّاء ؛ فللتخفيف أيضًا ، وكذلك إسقاط إحدى الهمزتين من الأصل للتخفيف ؛ لأن فيما بعد اللفظ الأول دليل الاستفهام [(٤)]، وهو قوله تعالى : ﭼ ﭙ ﭚ ﭛ ﭽ ؛ كما قال الشاعر[(٥)]:

لعَمرُك ما أدرِي وإنْ كنت دارِيًا شُعَيبُ بن سَهْمٍ أَمْ شُعيبُ بن مِنْقَر

فإن قال قائل : أخبر الله تعالى في هذه الآية عن الكافرين أنهم لا يؤمنون ، وقد آمنَ كثير منهم فما معنى الآية ؟

فالجواب عنه : أن الآية نزلت في قومٍ مخصوصين ؛ وهم رؤساء اليهود : حُيَيُّ بن أخطب ، وأصحابه على ما رُوينا عن الكلبي في أوّلِ هذه السورة [(٦)].

الفكر ، (٣٢٧/١) مادة (شرف) .

(١) والأَرَاقِم هم : بطون من تَغْلِب يجمعهم هذا الاسم . ينظر : خزانة الأدب (٣٧٢/١٠) ، وجمهرة أنساب العرب ؛ لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، ط٣/ ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م ، دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان ، (٢ / ٣٠٤) .

(٢) قرأ ابن كثير المكي بتسهيل الهمزة الثانية المفتوحة من غير إدخال . ينظر: التبصرة في القراءات (ص: ٧١) ، وإبراز المعاني (١٢٨/١) .

(٣) من الآية : ١ من سورة المعارج .

(٤) ينظر: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (٨٩/١) ، وإبراز المعاني (٣٢٩/١) .

(٥) قائل البيت : الأسود بن يعفر . ينظر : خزانة الأدب (١٢٩/١١) ، وديوان المتنبي ؛ لأبي البقاء العكبري ، تحقيق : مصطفى السقا /إبراهيم الأبياري /عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة / بيروت ، (٣٥٣/١) ، وينظر : كتاب سيبويه (١٧٥/٣) ، وذُكِر فيها (شُعَيْثُ) بدلاً من (شعيب) .

(٦) وهذه الرواية ضعيفة ؛ من رواية محمد بن السائب الكلبي . ينظر: أسباب النزول ؛ لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، اعتنى به : وليد الزكري ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، المكتبة العصرية / صيدا - بيروت ، (ص : ١٥) ، وينظر : العجاب في بيان الأسباب لابن حجر ؛

وقال مُقاتل: نزلت في مشركي قريش[1]؛ عُتْبَة بن رَبيعة، وشَـيْبَة بـن رَبيعـة[2]، وأبي جَهْل[3]. ويجوز تخصيص الآية بالآية؛ كما قال الله تعالى: چ ﭙ ﭚ چ[4]، ثم قال: چ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ چ[5]، وبالسُّنة؛ كما قال الله تعالى: چ ﭦ ﭧ چ[6]، ثم قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «لا قطع في ثَمرٍ ولا كَثَرٍ[7]»[8]. وبالقياس؛ كقياس العبد على الإماء

لشهاب الدين أبو الفضل المشهور بابن حجر، تحقيق: عبد الحكـيم محمـد الأنـيس، ط١/ ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، دار ابن الجوزي / السعودية، (١/ ٢٢٩)، وتفسـير السـمرقندي (١/ ٥٠)، وزاد المسير (١/ ٢٧).

(١) وهذه الرواية ضعيفة؛ من طريق مُقاتل بن سليمان. ينظر: تفسير مقاتل بـن سـليمان؛ لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تحقيق: أحمد فريد، ط١/١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية / لبنان ـ بيروت، (٣٢/١).

(٢) عُتْبَة بن رَبيعة، وشَيْبَة بن رَبيعة هما: ابنا عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، كان شيبة بن ربيعة من أشراف قريش وصناديدها، وكان عتبة رئيس المشركين يوم بدر، وقتل هو= = وأخوه شيبة فيها على يد علي وحمزة، رضي الله عنهما. ينظر: السيرة النبوية (٩٥/٢).

(٣) أبو جَهْل هو: أبو الحكم عمرو بن هشام المخزومي القرشي، كـان أشـدَّ النـاس عـداوة للنبي ـ ﷺ ـ، وهو الذي أمر بوضع سلى الجزور بين كتفي الرسـول ـ ﷺ ـ، فـدعا ـ ﷺ ـ عليه وعلى أصحابه، فقُتِل ببدر، وأجهز عليه عبد الله بن مسـعود ـ رضي الله عنه ـ. ينظـر: سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)؛ لمحمد بن إسحاق بن يسار، تحقيـق: محمـد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف (٤/ ١٩٢)، وينظـر: الكامـل في التـاريخ (٥٩٤/١).

(٤) من الآية: ٢ من سورة النور.

(٥) من الآية: ٢٥ من سورة النساء.

(٦) من الآية: ٣٨ من سورة المائدة.

(٧) الكَثَر ـ بفتحتين ـ جمار النخل؛ وهو شحمُه الذي في وسط النخلة في كلام الأنصار، ويقال طلع النخل. لسان العرب (٥/ ١٣٣) مادة (كثر).

(٨) أخرجه (بلفظه) أبو داود في سننه (٤/ ١١١) رقم (٤٣٨٨) كتاب الحدود، باب مـالا قطع فيه، عن رافع بن خَديج، وأخرجه (بلفظه) أيضًا محمد بن عيسى الترمـذي في سـننه

في تنصيف الجلد تخصيصًا من قوله: ﭽﭼ[1]. وبالإجماع ؛ كقوله تعـــالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ[2] ، ثم أجمعنَا على أن العبيد لا يُوَرَّثُون من آبائهم[3] ، وبالاستِدلال/؛ كقـــول الله تعالى في هذه الآية : ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ[4] ، ويجوز أن يكون قوله تعـــالى : ﭽﭙﭚﭼ في جميع الكفار ؛ فإيمان بعضهم لا يؤدي إلى المناقضة[5].

(الجامع الصحيح) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي/ بيروت ، (٥٢/٤) رقم (١٤٤٩) كتاب الحدود ، بَاب ما جاء لا قَطْعَ في ثَمَرٍ ولا كَثَرٍ . وقال : « هَكَـــذَا رَوَى بَعْضُهُمْ عن يحيى بن سَعِيدٍ عن مُحَمَّدِ بن يحيى بن حَبَّانَ عن عَمِّهِ وَاسِعِ بن حَبَّانَ عن رَافِعِ ابـــن خَدِيجٍ عن النبيّ ــ ﷺ ــ نحو رِوَايَةِ اللَّيْثِ بن سَعْدٍ وَرَوَى مَالِكُ بن أَنَسٍ ، وَغَيْرُ وَاحِـــدٍ هـــذا الحديث عن يحيى بن سَعِيدٍ عن مُحَمَّدِ بن يحيى بن حَبَّانَ عن رَافِعِ بن خَدِيجٍ عن النبي ــ ﷺ ــ ، و لم يَذْكُرُوا فيه عن وَاسِعِ بن حَبَّان » ، وأخرجـــه (بلفظـــه) النســـائي في ســـننه الكـــبرى (٤ / ٣٤٤) رقم (٧٤٤٨) كتاب قطع السارق ، باب مالا قطع فيه ما لم يـــؤوه الجـــرين ، وأخرجه (بلفظه) أيضاً ابن ماجه محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني في سننه ، تحقيق : محمـــد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر / بيروت ، (٨٦٥/٢) رقم (٢٥٩٣) كتاب الحدود ، بَاب =

= لا يُقْطَعُ في ثَمَرٍ ولا كَثَرٍ ؛ وكلهم أخرجوه عن رَافِعِ بن خَدِيجٍ ــ رضي الله عنه ــ ، وقال ابن حجر أبو الفضل العسقلاني : « وَاخْتُلِفَ في وَصْلِهِ وَإِرْسَالِهِ » ونقل ــ رحمه الله ــ عن الطَّحاوي فقال : « وقال الطَّحَاوِيّ : هذا الْحَدِيثُ تَلَقَّتْ الْعُلَمَاءُ مَتْنَهُ بِالْقَبُولِ » ؛ تلخيص الحبير في أحاديـــث الرافعي الكبير ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم المدني ، ١٣٨٤هـــ - ١٩٦٤م / المدينة المنـــورة (٦٥/٤) ، وحكم الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني على هذا الحديث بالصحة في كتابه إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، إشراف محمد زهير شـــاويش ، ط١/ ١٣٩٩هــــ - ١٩٧٩م ، المكتب الإسلامي ، (٨/ ٧٢) .

(١) من الآية : ٣ من سورة النور .

(٢) من الآية : ١١ من سورة النساء .

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص ، باب الفرائض (٣٦/٣) ، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق ، لزين الدين بن نجيم الحنفي ، ط٢- دار المعرفة / بيروت ، (٥٥٧/٨) كتاب الفرائض .

(٤) من الآية : ٧ من سورة الفاتحة .

(٥) وهذا ما رجّحه القرطبي في تفسيره (١/ ١٨٤) ؛ بأنّ الآية عامَّة ومعناها الخصوص فيمن حقَّت عليه كلمة العذاب وسبق في علم الله أنه يموت على كفره ؛ أراد الله تعالى أن يُعْلِم أنّ في الناس

قوله تعالى : چ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭦچ

أي : طبعَ الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير ، وعلى آذانهم فلا يسمعون الحق ، وعلى أبصارهم غطاء فلا يُبصرون الهدى ، ولهم عذاب عظيم يَخْلُصُ وجعه إلى قلوبهم ، يصغر عنده كل عذاب في الدنيا . والختم في اللغة على ثلاثة معانٍ :

أحدها: الطبع ؛ وهو تأثير الوشم ؛ كنقش الخاتم[1].

والثاني: المنع عن أن يدخله شيء [2].

والثالث: الفراغُ من الشيء[3]؛كقوله تعالى : چ ﯛ ﯜچ[4] .

وأما القلوب فهي جمع القلب ؛ وهي الأفئدة ، وسُمِّيَ القلبُ قلبًا ؛ لتَقلبِه بالخواطرِ وبالعزمِ على الأمور[5]؛كما قال الشاعر [6]:

ما سُمِّيَ القلبُ إلا من تَقلُبِهِ والمرءُ يُخلَقُ طورًا بَعدَ أطوارِ

وأما قوله تعالى : چ ﭞ ﭟ چ وَحَّدَ السّمع ، وقد تَخَللَ بين الجمعين ؛ لأنه مصدر، والمصدر لا يُثَنَّى ولا يُجْمَع ، يقال : معناه على مواضع سمعهم ؛ لأنَّ السّمعَ لا يُختَم وإنما يُختَم موضع السّمع ، ولكن حذف المضاف واكتفى بالمضاف إليه ؛ لدلالة الحال عليه ، يقال : أصحابُ فلانٍ عدلٌ : أي ذووا عدل[7] ، وقيل : أراد سمع كلِّ واحدٍ

مَنْ هذه حاله دون أنْ يعيّن أحدًا .

(١) ينظر : لسان العرب (١٦٣/١٢) مادة (ختم) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٥٥/١) .

(٢) ينظر: تاج العروس (٤٦/٣٢) مادة (ختم) .

(٣) ينظر : أساس البلاغة (١٥٣/١) مادة (ختم) .

(٤) من الآية : ٢٦ من سورة المطففين .

(٥) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن (٥٥/١) .

(٦) و لم أقف على قائل هذا البيت ، ونقل الماوردي في تفسيره (١ /٧٣) :

ما سُمِّيَ الْقَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلُّبِهِ وَالرَّأْيُ يَصْرِفُ والإِنْسَانُ أَطْوَارُ

وجاء في ديوان النابغة الذبياني ، دار صادر / بيروت ، (ص: ٤٩) :

فإن أفاقَ لقد طالتْ عمايتهُ والمرءُ يُخْلَقُ طورًا بعد أطوارِ

(٧) ينظر: تفسير ابن عطية (٨٨/١) ، وتفسير القرطبي (١٩٠/١) ، وتفسير النسفي (١٦/١) .

بعينه ، كما يقال : ائتني برأس كبشين ؛ يراد كلُّ واحدٍ منهما[(١)]؛ كما قال الشاعر[(٢)]:

كلوا في نصف بَطْنِكمُ [تعِيْشوا][(٣)]   فإن زَمانَكُم زَمَنٌ خَمِيصُ[(٤)]

وقراءة الرفع للغِشاوة على معنى أن قوله : ﭼ ﭫ ﭬ ﭼ كلام مبتدأ ، فأما قـــراءة النصب ؛ فعلى إضمار وجَعَلَ[(٥)]؛ كما قال الشاعر[(٦)] :

يا ليتَ زوجَكِ قد غدا   متقلدًا سيفًا ورُمحًا

أي : حاملاً رُمحًا . والعذاب : هو إيصال الألم إلى الحيِّ مع الهوان به[(٧)] ، ولهذا لا تقـــول فيما يفعل الله تعالى بالبهائم والأطفال عذاب لهم ؛ لأنه لا يفعل بهم على سبيل الهوان .

والعظيم على وجهين : عظيم في الجسم ، وعظيم في المقدار ؛ وهو فعيل بمعنى فاعل .

فإن قيل : إذا ختم الله على قلوبهم ، وعلى أسماعهم ، ومنعهم عن الهـــدى ، فبمـــاذا

---

(١) تفسير الثعلبي (١/١٥١) .

(٢) ولم أقف على قائله ، وذكره بلفظه الثعلبي في تفسيره (١/١٥١) ، والماوردي في تفسيره النكت والعيون (١ / ٨٣) ، وينظر: كتاب سيبويه (١/٢١٠) ، وأسرار العربية ؛ لأبي البركات= = الأنباري ، تحقيق : د . فخر صالح قدارة ، ط١/ ١٤١٥هـــ ١٩٩٥م ، دار الجيل / بيروت ، (١/٢٠٣) ، وينظر : خزانة الأدب (٧/٥٢٥) وورد فيها :

كلوا في بعض بطنكم تعفوا   فإن زمانكم زمنٌ خميص

(٣) ذُكر في حاشية الأصل ، وفي النسخة (ب) : (تعفوا) ؛ وهي استدراك لكلمة (تعيشوا) .

(٤) زمن خميص : ذو مجاعة . ينظر : أساس البلاغة (١/١٧٥) مادة (خمص) ، وتاج العروس ، (١٧/٥٦٥) مادة (خمص) .

(٥) اتفق القراء العشرة على قراءتها بالرفع ، وأما قراءتها بالنصب فهى قراءة شاذة من رواية المفضل عن عاصم . ينظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، مكتبة المتنبي / القاهرة ، (ص : ١٠) ، وينظر : القراءات الشاذة وتوجيها النحـــوي؛ للدكتور محمود الصغير ، ط١/ ١٤١٩هـــ - ١٩٩٩م ، دار الفكر المعاصر / بيروت _ لبنان ، ودار الفكر / دمشق - سورية ، (ص: ١٨٥) .

(٦) ولم أقف على قائله . ينظر: خزانة الأدب (٢/٢٠٣) ، والخصائص لابن جـــني (٢/ ٤٣١) ، وذُكر في تفسير أبي حيان (٢/ ٤٨٦) ، وتفسير القرطبي (١/١٩١) .

(٧) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن (١/٥٦) .

يستحقون العقوبة في العقبى ؟

قلنا : هؤلاء القوم المخصوصون الذين أنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ؛ كأن الله تعالى يَسَّر عليهم السبيل في الابتداء ، فلو جاهدوا لوفقهم ؛ كما قال في آيـــة أخـــرى: ﭽﮠﮡ ﮢ ﮣ ﮤﭼ[١] ، لكن لـــمّا لم يجاهدوا وعاندوا واختارُوا الكُفرَ ؛ عاقبَهم الله تعالى في الدنيا بالختم على قلوبهم ، وفي الآخرة بالعذاب العظيم [٢]؛ كما قال الله تعالى في موضع آخـــر : ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ[٣] .

وعن صَفِيَّة بنت حُيَيّ[٤] [رضي الله عنها] قالت : « رجعَ أبي وعمي من عندِ رسول رسول الله ــ ﷺ ــ فقال أحدُهما لصاحبه : ما ترى في هذا الرجل ؟ قال : إنه نبيّ . قال : ما ترى في اِتّباعه ؟ قال: أرى أنْ لا أتّبعه ، وأظهر له العداوة إلى الموتِ »[٥]. فإن قيـــل : فما معنى دعوة مَنْ عَلِمَ الله تعالى أنه لا يُؤمِن ؟ قيل : لصحةِ العلم بأنه يقدرُ أن يُـــؤمن ، ولو عَلِمَ أنه لا يقدر كما عَلِمَ أنه لا يُؤمن لما كان يدعوه ، ولكان دعوة هذا محالاً عنـــد قوم ؛ لأنه تكليفُ مالا يُطاق وصوابًا عند قوم لإقامةِ الحجَّة .

قوله ﻷ : ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ

أوَّلُ فصلٍ ثالث من فصُول هذه السورة ؛ إذ هذا الفصل إلى آخره ثلاث عشـــرة آيـــة في ذكـــر المنـــافِقين وهـــم : عبـــدالله بـــن أبيّ بـــن سَـــلُولٍ[٦]، ومُعَتِّـــب بـــن

---

(١) من الآية : ٦٩ من سورة العنكبوت .

(٢) تفسير السمرقندي (١ /٥٢) .

(٣) من الآية : ١٥٥ من سورة النساء .

(٤) أم المؤمنين صَفِيَّة بنت حُيَيّ هي : صَفِيَّة بنت حُيَيّ بن أخطب النضيري ، من ذرية هارون أخي أخي موسى ــ عليهما السلام ــ زوج النبيّ ــ ﷺ ــ وأم المؤمنين ، سباها النبيّ ــ ﷺ ــ يوم خيبر فاصطفاها لنفسه فأسلمت ، وأعتقها وجعل عتقها صداقها ، توفيت سنة ٥٠ هـــ . وقيل : بعدها ، رضي الله عنها وأرضاها . ينظر : الطبقات الكبرى (١٢٠/٨) ، وينظـــر : صـــفة الصفوة (٢ /٥١) .

(٥) لم أقف على سنده ، وذُكر في تفسير السمرقندي (٥١/١) .

(٦) عبد الله بن أبيّ بن سَلُول : المنافق عبد الله بن أبيّ بن سَلُول الخزرجي الأنصاري ، كـــان رأس المنافقين ، ومن تولى كبر الإفك في أمِّ المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنها ــ ، وهو الذي قـــال :

قُشَيرٍ[1]، وجَدُّ بن قَيْسٍ[2] ، ومَنْ تابَعهم ،كانوا يقولونَ لأصحاب النبيِّ ــ ﷺ ــ : آمنَّا بالذي آمنتم به ، ونشهد أن صاحبَكم حقٌّ صادقٌ فيما يقول ، وإنَّا لنجِدُه في التوراة بنعته وصفته . ولم يكونوا كذلك إذا خلا بعضَهم إلى بعضٍ ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآيات[3].

فكلمة (مِنْ) للتبعيض ؛ فكأنه قال : بعض النّاس ، أو مِنَ النّاسِ ناس يقولون : صدَّقنا بالله وبيوم البعث ؛ وليسوا بمُصدِّقين ؛ لأنهم يُضْمِرون خلاف ما يظهرون .

چژ ڑ ڑ ک ک ک ک گچ [من الآية : ٨ من سورة المنافقون] ؛ قالها في غزوة بني المصطلق ، وفي قوله ذلك نزلت سورة المنافقين بكاملها . ينظر: السيرة النبوية لابن هشام=
= (٥٩/٣) ، والوافي بالوفيات (٩/١٧) .

(١) مُعَتِّب بن قُشَير هو : مُعَتِّب بن قُشَير بن مليل الأوسي الأنصاري ، أحد بني عمرو بن عوف ، كان أحد المنافقين الذين ظهروا في غزوة الخندق . ينظر: البداية والنهاية (٣٢٤/٣) . قال عنه ابن هشام في كتابه السيرة النبوية (١٨٠/٤) : « وأخبرني مَنْ أثق به من أهل العلم أنَّ مُعَتِّب بن قُشَير لم يكن من المنافقين ، واحتجَّ بأنه كان من أهل بدر » .

(٢) الجَدُّ بن قَيْس هو : الجَدُّ بن قَيْس بن صخر الأنصاري السّلمي ، هو خال جابر بن عبد الله ــ ﷺ ــ ، كان متهمًا بالنفاق ، و ممَنْ تخلف عن بيعة الرضوان وغزوة تبوك . ينظر: الوافي بالوفيات (٤٨/١١) ، وقال الذهبي عنه في كتابه تاريخ الإسلام (٣٣٨/٣) : « يقال : إنه تاب من النفاق ، وحَسُنَ أمره » .

(٣) قال الطبري في تفسيره : « أجمعوا على أنها نزلت في قوم من أهل النفاق » ، وأخرجه الطبري أيضًا من طريق ابن اسحاق ــ صاحب السير ــ عن عكرمة أو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ چ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ چچ قال : « يعني المنافقين من الأوس والخزرج ، ومَنْ كان على أمرهم » (١/ ١١٦) ؛ وهذا الطريق جيد وإسناده حسن ، قال السيوطي في الإتقان (٤/ ٤٩٧) : « ومن ذلك طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبير عنه هكذا بالترديد ؛ وهي طرق جيدة وإسنادها حسن » . وينظر : العجاب في بيان الأسباب (١ / ٢٣٢) ، وينظر: تفسير ابن عطية (٩٠/١) ، وتفسير الرازي (٥٥/٢) ، وتفسير ابن كثير (٤٨/١) ، وتفسير السيوطي (٧٣/١) .

والنَّاس اسم جمعٍ لا واحد له من لفظه ؛ كالنساءِ ، والخيلِ ، والإبلِ ، ولو كان جمع إنسان لقيل : (أناسين) مثل : سِرحان وسَرَاحين ، وإنما سُمِّيَ النـاسُ نَاسًـا ؛ لأنهم يُؤنَسُون: أي/ يُبصَرون(١)؛ كما قيل للجنِّ جنّ ؛ لاجتنانهم واستتارهم . ل[٦/ب]

وسُمِّيَ يوم القيامة آخِرًا ؛ لأنه لا يجيء إلا بعد انقضاء أيام الدنيا ، وقيل : آخر يوم من أيام الدنيا ؛ وهو يوم لا يجيء بعده ليل(٢).

والباء في قوله تعالى: ﴿ ﴾ لتأكيدِ النفي ؛ لأنك إذا قلتَ : ما زيـدٌ بأخيـك ، و لم يسمع السَّامع ، ما علم أنك نافٍ ، بخلاف قولك : ما زيدٌ أخاك (٣)، وإنما وحَّد الفعل في أول الآية ، وجمع الضمير في آخرها ؛ لأنَّ لفظ (مِنْ) ؛ للوُحْدَان(٤)، ومعناه يصلح للذكر، والمؤنث ، والاثنين ، والجماعة ، فعدل تارةً إلى اللفظ ، وتارةً إلى المعنى ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ ﴾(٥) إلى آخر الآية ، وقوله تعالى : ﴿ ﴾(٦)؛ لأن اللفظَ مُبهَمٌ ، وفي الآية دليلٌ أن القولَ المجرد لا يكون إيمانًا ؛ لأن الله تعالى نفى [عنهم](٧) الإيمان بهذه الآية ، وصرَّح بكفرهم حيث قـال : ﴿

(١) ينظر : الكشاف عن حقائق التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ؛ لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي / بيروت (٩٣/١) ، وينظر : تفسير النسفي (١٨/١) .

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١/ ١١٧) ، وتفسير ابن عطية (٩٠/١) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٥٦/١) .

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٨٥/١) ؛ وما ذكر الزّجاج خلاف ما ذكره المؤلف حيث قال : « دخلت الباء مؤكدة لمعنى النفي ، لأنك إذا قلت : ما زيد أخوك ، فلم يسمع السامع ؛ ما ظنَّ أنك مُوجب ؛ فإذا قلت : ما زيد بأخيك ، و ﴿ ﴾ علم السامع أنك تنفي ، وكذلك جميع كتاب الله ﷻ » . وهذا هو الصحيح ؛ لموافقته لما جاء في القرآن .

(٤) الوُحدَان : جمع واحد . ينظر: لسان العرب (٤٤٧/٣) مادة (وحد) .

(٥) من الآية : ١١٢ من سورة البقرة .

(٦) من الآية : ٣١ من سورة الأحزاب .

(٧) كُتِبت في الأصل ، وفي النسخة (ب) : (منهم) ، والصواب ما أثبته ؛ لضرورة السياق .

ﮃﭼ(١)، والله أعلم .

قوله ﴿ﭲ﴾:ﭽﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﭼ

قال ابن عباس [رضي الله عنهما] : يُكذِّبون الله والمؤمنين ، ويخالفونهم في ضمائرهم ، وما يُكذِّبون إلا أنفسهم ؛ لأنه إذا عَلِمَ كذبهم فكأنهم في الحقيقة هم الذين كذَّبوا أنفسهم(٢)، وما يعلمون أن الله تعالى يُطْلِعُ نبيَّهُ ـ ﷺ ـ على كَذِبهم(٣). فإن قال قائل : ما وجه مخادعة الله تعالى بعد ألاَّ يخفى عليه شيء ؟ وما وجه مخادعةِ المؤمنين ومخادعةِ أنفسهم ؟ قلنا : أما الأول ففيه جوابان :

أحدهما : أن المخادعة هو الإخفاء ؛ يقال للبيت الذي يُخزن فيه المال : مَخْدَع ، ويقال : انخدَعَتِ الضَّبيةُ في جُحرها(٤)، وقال ـ عليه السلام ـ :« الحربُ ؛ خَدْعَةٌ »(٥). والله تعالى لا يُخَادع في الحقيقة ؛ لأن المنافقين لا يخلون من أحَدِ وجهين :

إما أنْ يكونوا عارفين بالله تعالى ، فيعلمون أنه لا يُخَادَع ولا يُسَاتر بشيء ، أو غير عارفينَ ، وذلك أبعد إذ لا يصح أن يقصدُوه ، ولكن أُطلِق عليهم اسم المخادعة ؛ لـمَّا فعلوا فِعل المخادِعينَ ؛ على معنى أنهم اعتقدُوا في الله تعالى العفوَ عنهم والمغفرة لهم في إظهارهم الإيمان وإضمارهم الكفر ؛ فكأنهم خادَعوه ؛ لأن الإنسانَ إذا أظهرَ لآخر خلاف ما أضمرَ ؛ لأنْ يقعَ مراده منه فقد خادعه ، فإذا وُجدَ منهم هذا المعنى أُطلِق عليهم هذا الاسم ، ويجوز مثل هذا ؛ يقال للمرائي : وَيْلُ فُلانٍ ؛ ما أجرأَهُ على اللهِ ! فكأنَّه يُخادعه ، ولذلك قيل : يُفاعِلون ، ولو كان يصح لهم خداعهم لقيل : يخدعون الله تعالى . والثاني :

---

(١) من الآية : ١ من سورة المنافقين .

(٢) تفسير السمرقندي (٥٢/١) غير منسوب عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ولا عن غيره .

(٣) ينظر : تفسير السمرقندي (٥٣/١) منسوب إلى الكلبي .

(٤) ينظر: العين (١١٥/١) مادة (خدع) ، ولسان العرب (٦٥/٨) مادة (خدع) .

(٥) والحديث (بلفظه) في الصحيحين ؛ أخرجه البخاري في صحيحه (١١٠٢/٣) رقم (٢٨٦٦) ، ، كتاب الجهاد والسير، بَاب الْحَرْبُ خَدْعَةٌ ، وأخرجه أيضًا مسلم في صحيحه (١٣٦١/٣) رقم (١٧٣٩) ، كتاب الجهاد والسير ، بَاب جَوَازِ الْخِدَاعِ فِي الْحَرْبِ ، وكلاهما عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ .

يخادعون رسول الله ، فحُذِف الرسولُ ـ ﷺ ـ ؛ لدلالة المضاف إليه إذ عُلِمَ من طريق العقل استحالة مخادعة الله تعالى ؛ نظيره قوله تعالى: ﴿ڳ ڳ﴾[1] أي: أهل القرية .

وأما وجه مخادعة المؤمنين ففيه أجوبَة :

أحدها : أنهم يظهرون الإسلام تقيَّة .

والثاني : يظهرونه ؛ ليُكرموهُم ويُبَجِّلوُهم ويُوَالوهُم ؛ كما يوالي المؤمنون بعضَهم بعضًا.

والثالث : أنهم كانوا يظهرون لهم الإيمان ؛ ليفشوا إليهم أسرارهم ، فينقلوها إلى أعدائهم .

وأما وجه مخادعتهم أنفسهم ؛ أي : ضرر ذلك راجعٌ إليهم [2]، وهذا معروف في اللغة ؛ يقال : فلان أراد أن يَخدَعَ فلانًا ؛ فخدَعَ نفسَه : أي لم تَنْفُذْ حيلتُه فيه ، ورجعت مضرَّتها عليه[3].

وقرىء : ﴿چ چ چ﴾ بالألف[4]، والمعنيان متقاربان إلا أنه أتى بالألف ؛ ليعطف لفظَه على شكلها ، والمفاعلة قيل : يختص بها الواحد ؛ كالمناولةِ ، والمضايقةِ ، والمعافاةِ ، والمسافرةِ ، والمعاقبةِ [5].

والشِّعْرُ : هو العلم الدقيق الذي يتولد من الفطنة ، وهو من شِعار القلب ، ومنه سُمِّيَ الشاعِرُ شاعرًا ؛ لأنه يَفْطُنُ لما يدقُ من المعنى والوزن ، ومنه الشَّعَر ؛ لدِقتِه ، ويقال : ما شعرتُ بهِ : أي ما عَلِمتُ ، ولَيْت شِعري ما صنَعَ فُلان : أي لَيْت علمي[6].

---

(١) من الآية : ٨٢ من سورة يوسف .

(٢) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٠) .

(٣) ينظر: القاموس المحيط (٩١٩/١) مادة (خدع) ، وتاج العروس (٤٩١/٢٠) مادة (خدع) .

(٤) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو : (وما يُخادعون) ؛ بالألف والياء مضمومة ، وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، وخلف : (وما يَخدعون) ؛ بلا ألف وبفتح الياء . ينظر: السبعة في القراءات (١٤١/١) ، وإبراز المعاني من حرز الأماني (٣١٩/١) ، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٠٧) .

(٥) ينظر : الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (٦٨/١) ، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١٧/١) .

(٦) ينظر : لسان العرب (٤١٠/٤) مادة (شعر) ، وتاج العروس (١٧٧/١٢) مادة (شعر) .

قوله ﷻ: چﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ چ تمامُ العشر في قولِ الكوفيين خاصَّة [(١)]؛ معناه : في قلوبهم شكٌّ ونفاقٌ ، فزادهم الله تعالى شكًّا ونفاقًا ، چﮏ ﮐ ﮑ چ ؛ مُؤْلِمٌ مُوجِع ؛ لقولهم إنهم مؤمنون وليسوا بمؤمنين . والمرض : الضَّعف والفتور يخاف منهما الهلاك / ، وسُمِّيَ المريض مريضًا ؛ لما حلَّ به من الآفة ، ويقال : وعدٌ مريض ، وكلامٌ مريض ، وسُمِّيَ النفاق مرضًا ؛ لأنَّهُ يُهلِك صاحبه[(٢)]، أو لأنَّ صاحبَه يضطرب في الدِّين يُوَالي المؤمنين بالقول والكفار بالقلب ، فحاله كحال المريض الذي هو مضطرب بين الحياة والموت ؛ إذ المريض ممنوع من التصرف، وكذا الشاكُّ يمنعه شكُّه من المضي في الأمر . وقيل : إن الشكَّ ألم القلب ، والمرض ألم البدن ، فسُمِّيَ الشكُّ مرضًا ؛ لما فيه من الـهَمِّ والحزن . [ل ٧/أ]

والفاء في قوله تعالى: چﮌ ﮍچ لمعنى المجازاة ، وقيل : على وجه الدُّعاء[(٣)]. ومعنى الزيادة ؛ أنهم لما ازدادوا شكًّا عند نزول الآيات ، فكأن الله تعالى زادهم شكًّا ؛ لكون الآيات سببًا لشكهم ؛ كما قال الله تعالى : چﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ چ[(٤)]. وكسر الزاي على قول بعض القرّاء[(٥)]؛ لغة بعض العرب[(٦)]. وقد ورد لفظ الفعيل بمعنى المفعِل ؛ كما قال الشاعر[(٧)]:

---

(١) ينظر : البيان في عدِّ آي القرآن (١/ ٨٠) ، وسعادة الدارين وعدُّ آي معجز الثقلين (ص : ١١) .

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي (٥٣/١) ، ولسان العرب (٢٣٢/٧) مادة (مرض) .

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي (٥٣/١) ، وتفسير ابن عطية (٩٢/١) .

(٤) من الآية : ٦٨ من سورة المائدة .

(٥) قرأ بالإمالة حمزة وابن ذكوان ، والباقون من القراء العشرة بالفتح . ينظر: السبعة في القراءات (١٤١/١) ، والتبصرة في القراءات (ص : ١٢١) ، وإبراز المعاني من حرز الأماني (٢٣٢/١) .

(٦) وهي لغة عامة أهل نجد ؛ من تميم ، وقيس ، وأسد ، وبعض أهل الحجاز . اللهجات العربية في القراءات القرآنية ؛ لعبدة الراجحي ، ١٩٦٨م / دار المعارف بمصر ، (ص : ١٣٩) ، وينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٨٨/١) ، وأسرار العربية (٣٤٨/١) .

(٧) ديوان عمرو بن مَعْدي كَرب الزبيدي ؛ جمعه وحقّقه : مطاع الطرابيشي ، =

أَمِنْ رَيْحانةَ[١] الدَّاعي السَّميعُ   يُؤَرِّقُني وأصحابي هُجُوعُ[٢]

أراد بالسميع المسمِعَ ، وليس في العذاب شيء غير الألم ، لكن ذكر ﭽ ﮊ ﭼ تأكيدًا ، أو نعتًا لشدة العذاب . ومَنْ قرأ (يُكَذِّبون) بالتثقيل[٣]؛ فمعناه بتكذيبهم النبيّ ـ ﷺ ـ ، واللفظان متقاربان ؛ لأنَّ المنافقين كانوا كاذبين بقولهم مُكَذِّبين بقلوبهم[٤]؛ قال الله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ[٥]، وقال : ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ[٦] أراد بالفجور : الكذب ، وبعض أهل النَّحو يجعل (ما) و (كانوا) صلة ، فيقولون : (ولهم عذاب أليم بكذبهم)[٧]، والأولى إعمال الحروف ما وُجِدَ لها مساغ : أي ولهم عذاب أليم بالشيءِ الذي كانوا يُكذِّبون به .

قوله ﮋ: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ

= ١٣٩٣هـ – ١٩٧٤م ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، (ص : ١٢٨) .

(١) ذُكر في حاشية الأصل ، وفي حاشية النسخة (ب) : (ريحانة : ابنته ، والقائل : عمرو بن مَعْدي كَرب) .

(٢) الهجوع : نوم الليل . ينظر: لسان العرب (٨/ ٣٦٧) مادة (هجع) .

(٣) قرأ بضم الياء وبتشديد الذال : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، والكوفيون ؛ (حمزة ، والكسائي ، وعاصم ، وخلف) : بفتح الياء وتخفيف الذال . ينظر : السبعة في القراءات (١٤٣/١) ، والتيسير في القراءات السبع (٧٢/١) ، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٠٨) .

(٤) ينظر: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (٦٨/١) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص: ٨٨) .

(٥) الآية : ١٥ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٧، ٤٩ ، من سورة المرسلات .

(٦) الآية : ١٤ من سورة الإنفطار .

(٧) ينظر: اللمع في العربية ؛ لأبي الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق : فائز فارس ، دار الكتب الثقافية / الكويت ، (١٩٤/١) ، وينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لجمال الدين ابن هشام الأنصاري ، تحقيق : د . مازن المبارك / محمد علي حمد الله ، دار الفكر / دمشق ، ط٦/ ١٩٨٥م ، (٥٣٦/١) .

تمامُ العشر عند غير الكوفيين [١]، معناه : وإذا قيل للمنافقين : لا تعملوا في الأرض بالمَعَاصي والـمُدَاهنة وتعويق الناس عن دين محمد ـ ﷺ ـ ، قالوا : إنما نحن عاملون بالطاعة ، ومصلحون بالـمُدَاهنة ؛ لأنهم كانوا يقولون : نحن لا نعادي الكفار ولا المؤمنين ، نُداري نأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، حتى إذا كانت الغلبة لأحدِ الفريقين لا يصيبنا من دائرتهم شيء . ومَنْ ضمَّ القاف من قيل ، وغيض ، وسيق وأشباهها [٢]؛ فقصده استيعاب علامة ما لم يُسمَّ فاعله[٣].

والفساد ضد الصلاح وهو : ترك الطاعة ، ومجاوزة الحدود [٤].

قوله ﷻ: ﴿ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﴾

أي : بل إنهم هم العاملون بالمعصية والمفسدون بالـمُدَاهنة ، ولكن لا يعلمون أنهم كذلك . وكلمة (ألا) ؛ للاستفهام والتنبيه[٥] ، وأصلها (لا) دخلت عليها ألف الاستفهام ، وأخرجتها من حدِّ الحجَّة وحدِّ التقرير والتحقيق [٦]؛ كما في قوله جلَّ ذكره: ذكره: ﴿ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﴾[٧] ، ﴿ ﮕ ﴾ : كلمة موضوعة ؛ لنفي خبر

---

(١) ينظر : البيان في عدِّ آي القرآن (١/ ٨٠) ، وسعادة الدارين وعدُّ آي معجز الثقلين (ص : ١١) .

(٢) قرأ هشام والكسائي ورويس بإشمام كسرة القاف الضم ، ووافقهم ابن ذكوان في سيق ، والباقون من القراء العشرة بالكسرة الخالصة . ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٠٨) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٨٣/١) ، والبدور الزاهرة : (ص : ١٩) .

(٣) ينظر: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (٦٩/١) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص : ٩٠) .

(٤) ينظر : لسان العرب (٣٣٥/٣) مادة (فسد) .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٨٨) .

(٦) (ألا) المنبهة تأتي لتحقيق ما بعدها ، مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي ؛ لإعطاء معنى التنبيه على تحقيق ما بعدها . ينظر : تفسير النسفي (١/ ١٩) ، وتفسير الآلوسي المسمى (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) ؛ لشهاب الدين السيد محمود الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي / بيروت (١/ ١٥٤) .

(٧) الآية : ٤٠ من سورة القيامة .

متقدم ، وإثبات خبر متأخر ، وهي مبنيّة على ثلاثة أحـــرف (لا) : وهـــي للنفـــي ، و(الكاف) بعدها : [لمخاطبةِ][1] ما بعدها ، و(النون) بعد الكاف ؛ لتثبيت خـــبر ، وهي كلمة تُخَفَّف وتُثَقَّل ، فإذا ثُقلِت نَصَبَتْ ما بعدها ، وإذا خُفِفَت رَفَعَتْ .

قوله ﷻ:ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ

ينصرف إلى منافقي أهل الكتاب على ما قاله مُقاتل ومُجاهد[2]، فأما ما ذكر الكلبيّ عـــن ابن عباس [رضي الله عنهما] : أن الآيةَ نزلت في اليهود[3] ؛ أراد باليهود هؤلاء المنافقين: المنافقين: عبد الله بن أبيّ ، ومَنْ تابعه إذ كانوا من اليهـــود ؛ ومعـــنى الآيـــة : وإذا قيـــل للمنافقين صدِّقوا بقلوبكم كما صدّق أصحاب محمد ـ ﷺ ـ ، قالوا : أنصـــدِّق كمـــا صدَّق الجهَّال ! ، يقول الله ﷻ : ألا إنهم هم الجهَّال بتركهم التصديق في السِّر ، ولكن لا يعلمون أنهم جهَّال . والألف في ﭽ ﮬﭼ ؛ للاستفهام ومعناها : الإنكار . والسَّفَه في اللغة : خِفَّةُ الحِلْم ؛ يقال : ثوب سفيه ؛ إذا كان رقيق النسيج[4]. واختلف القرَّاء في قوله : ﭽﮯﮰﯓﭼ ؛ منهم مَنْ حقَّق الهمزتين على أصل الكلمة ، ومنهم مَنْ يخفف الثانيـــة ؛ فيجعلها بين الواو والهمزة ، ومنهم مَنْ يجعل الثانية واوًا خالصةً ، ومنهم مَنْ يخفف الأولى

(١) وردت في الأصل ، وفي النسخة (ب) بلفظ : [للمخاطبة] ، والصواب ما أثبته ؛ لضـــرورة السياق .

(٢) أخرج الطبري (١/ ١٢٥) في تفسيره عن أسباط عن السدي ، وعن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ـ ﷺ ـ ، وعن ناس من أصحاب النبيّ ـ ﷺ ـ ﭽﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ؛ هم المنافقون . وينظر: تفسير السمرقندي (٥٥/١) ، وفي زاد المسير (٣٣/١) عن ابن عبـــاس ـ رضي الله عنهما ـ ومجاهد .

(٣) وهذه الرواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ضعيفة ؛ لضعف الكلـــبي . ينظـــر: تفســـير السمرقندي (٥٥/١) ، وتفسير ابن عطية (٩٤/١) ، وتفسير القرطبي (٢٠٥/١) .

(٤) ينظر: تاج العروس (٤٠٢/٣٦) مادة (سفه) ، والمعجم الوسيط ؛ لإبراهيم مصطفى / أحمـــد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ،= = (٤٣٥/١) مادة (سفه) .

ويحقق الثانية[١] ؛ وكلٌّ ذلك لاستثقال الجمع بين الهمزتين[٢].

قوله ﷻ: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ

قال الكلبي : من سببِ نزول الآية أن أبا بكر ، وعمرَ ، وعليًّا ـ رضي الله عنهم ـ مرُّوا بعبدِ الله بن أبيّ ، وأصحابه من المنافقين ،/ فقال عبد الله بن أبيّ لأصحابه : انظروا كيف أردّ هؤلاء الجُهَّال عنكم ، فتَعلمُوا منّي كيف أكلمهم وأغلبهم ، فأخذ بيد أبي بكر[رضي الله عنه]، وقال : مرحبًا بسيّد بني تَيْم[٣] ، ثانيَ اثنين ، وصاحبه في الغار ، وصفيّه من أُمَّته ؛ الباذل نفسه وماله ، ثم أخذ بيد عُمَر [رضي الله عنه] ، فقال : مرحبًا بسيد بني عَدِيّ[٤] ، القويُّ في أمرِ الله تعالى ، الشديد الغضب لله تعالى ؛ الباذل نفسه وماله لرسول الله ـ ﷺ ـ ، ثم أخذ بيد عليّ [رضي الله عنه] ، فقال : مرحبًا بسيد بني هاشم[٥] ما خلا رسول الله ـ ﷺ ـ ، خصَّه الله تعالى بالنبوّة فأكرمه بها ؛ الباذل نفسه وماله ودمه ، السابق إلى الهجرة ، فقال له عليّ [رضي الله عنه]: يا عبد الله ، اتق الله ولا تُنَافِق ، فإن المنافقين شرُّ خليقة الله تعالى . فقال : لِمَ تقول هكذا ؟ ، واللهِ إنّي لمؤمنٌ بالله ورسوله ؛كإيمانكم وتصديقكم ، ثم افترقوا ، فقال عبد الله بن أبيّ لأصحابه : كيف رأيتم ردّي هؤلاء منكم ، قالوا : لا نزال بخير ما عشت لنا . ورجع أبو بكر ، وعمر ، وعليّ ـ رضي الله عنهم ـ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ، فأخبروه بما قال لهم ، وبما ردُّوا عليه ، فنزلت هذه الآية[٦].

ل[٧/ب]

---

(١) تحقيق الأولى وإبدال الثانية واوًا خالصة مفتوحة : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، ورويس ، والباقون قرأ بتحقيق الهمزة الثانية ، ولا خلاف بين القراء العشرة في تحقيق الأولى . ينظر: إتحاف فضلاء البشر (١/١٧١) ، والبدور الزاهرة (ص : ١٩) .

(٢) ينظر: الحجة في القراءات السبع ابن خالويه (١/٦٩) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص :٩١) .

(٣) بنو تَيْم : نسبة إلى تَيْم بن مُرَّة من قبيلة قريش . ينظر : الأنساب (١/٤٩٨) .

(٤) بنو عَدِي : نسبة إلى عَدِي بن كعب بن لؤي من قريش . ينظر : الأنساب (٤/١٦٧) .

(٥) بنو هاشم : نسبة إلى هاشم بن عبد مناف من قريش . ينظر : الأنساب (٥/٦٢٤) .

(٦) أسباب النزول للواحدي (ص : ١٥) ، وينظر : العجاب في بيان الأسباب (١/٢٣٧) ، قال

ومعناها _ والله أعلم _ : إذا اجتمع المنافقون مع المؤمنين ، قالوا للمؤمنين : صدَّقنا كما صدَّق أصحاب محمد ـ ﷺ ـ ، ﭼﯙ ﯚ ﯛ ﯜﭼ قال ابن عباس [رضي الله عنهما] : إلى رؤسائهم في الضَّلالة [1]. قال الأخفش[2] وأبو عبيدة : كلُّ عاتٍ متمردٍ فهو شيطان[3]. وقال الكلبي : وإذا خلوا إلى كهنتهم وهم خمسة رهطٍ من اليهود لا يكون كاهنٌ إلا ومعه شيطان تابع له : كعب بن الأشرف في المدينة ، وأبو بُـرْدَة [4] في أَسْـلَم [5]، وابن السَّوداء [6] في الشام ، وعبد الدَّار[7] في

قال أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي : « هذا الإسناد واهٍ جـدًّا ، فـإن السّدي الصغير كذّاب ، وكذا الكلبي ، وأبو صالح ضعيف » ؛ كتابه لباب النقول في أسـباب النـزول ، دار إحياء العلوم / بيروت (١/١٨) ، وينظر : فـتح الـرحمن في أسـباب نـزول القرآن ؛ لمحمد محمد محمد سالم محيسن ، ط١٤١٩/١هـ - ١٩٩٩م ، دار الآفاق العربيـة / القاهرة ، (ص : ١١) ، وينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٣٣) ، وينظر: تفسير السمرقندي (١/٥٥) .

(١) ينظر: تفسير السمرقندي (١/٥٦) .

(٢) ينظر ترجمته (ص: ٦١) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٣) مجاز القرآن (١ /٣٢) ، ولم أقف عليه في معاني القرآن للأخفش ، وينظر: تفسير السمرقندي (١/٥٦) عن أبي عبيدة .

(٤) أبو بُرْدَة الأسلمي : لم أقف على ترجمةٍ له إلا أنه كان كاهنًا يقضي بين اليهود . ينظـر : زاد المسير (٢/١١٩) ، والعجاب في بيان الأسباب (٢/٩٠٢) .

(٥) بنو أَسْلَم : أبو قبيلة من مراد ، ومنهم أسلم من زبيد من مسروح من حرب ؛ ومساكنهم اليوم في وادي حَجْر (السائرة) قرب رابغ . ينظر : أطلس الحديث (ص : ٤٠) .

(٦) وابن السّوداء هو: عبد الله بن سبأ اليهودي ـــ قبحه الله ـــ الخبيث الذي تظاهر بالإسـلام في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ، سمي بابن السوداء ، نسبةً إلى أمه كانت = يهودية سوداء . ينظر : الكامل في التاريخ (٣/٤٦) .

(٧) عبد الدَّار ، وعوف بن عامر ؛ لم أقف على ترجمةٍ لهم ، إلا أن هؤلاء اليهود كانـت العـرب يعتقدون فيهم الاطلاع على علم الغيب ، وأنهم يعرفون الأسرار ، ويداوون المرضى . ينظـر: تفسير البغوي (١/٥١) ، وتفسير أبي حيان (١/٢٠٢) .

جُهَينة [١] ، وعوف بن عامر في بني أَسَد[٢]، قالوا لهم : إنَّا على دينكم إنما نحن مستهزؤن بأصحاب محمد ــ ﷺ ــ بإظهار قول: لا إله إلاَّ الله ، محمدٌ رسول الله[٣] . ودخول (إلى) في قوله تعالى : ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ بمعنى (مع) ، وقيل : إنه بمعنى الاختصاص والغاية ، يقال : خلوتُ إلى فلانٍ ؛ إذا خَلَوْتَ معه في خاصٍّ من الأمر، وجعلته غايتك في حاجتك ، فأما خَلَوْتُ بفلانٍ ؛ إذا خَلَوْتَ معه في شيءٍ ما ، وقد يكون معناه : سخرتَ منه[٤]. والشَّيطانُ فَيْعَال من الشَّطَنِ ، والشَّطَنُ : البُعْد ؛ كأنه قيل : بُعْدًا من الخير ، وقد يُسمَّى الحبل الطويل المضطرب شَطْنًا ، فكأنه يُسمَّى الشَّيطان شيطانًا ؛ لأنه تباعد عن الخير واضطرب[٥] ، وقيل: الشيطان فَعْلان من قولهم : شَاطَ يَشِيطُ ؛ إذا غضب وهلك ، والنون زائدة[٦] . قال قُطْرُب : الشياطين ؛ جمع شيّاط[٧] ؛ وعلى هذا تصح قراءة الحسَن[٨]: (وما تنزَّلتْ به الشيّاطون)[١].

---

(١) جُهَيَنة : اسم أبي قبيلة من قُضاعة ، قبيلة حجازيَّة كبيرة واسعة الانتشار في زمانها ، وأشهر بلادهم اليوم ينبع ، وتتسع الدائرة من ساحل البحر الأحمر إلى حقل شمالاً . أطلس الحديث (ص: ١٢٦) .

(٢) بنو أَسَد : مرابعهم في شمال غرب الجزيرة العربية ، وخصوصًا ما بين تبوك وتيماء . أطلس الحديث (ص: ٣٨) .

(٣) ينظر : تفسير السمرقندي (٥٥/١) ، وتفسير الثعلبي (١٥٦/١) ، وتفسير البغوي (٥١/١) .

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٣١/١) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٨٨) ، وتفسير ابن عطية (٩٦/١) .

(٥) وهذا القول صحيح . ينظر: العين (٢٣٦/٦) مادة (شطن) ، وتاج العروس (٢٧٧/٣٥) مادة مادة (شطن) .

(٦) وهذا القول غير صحيح لأنه يقال : تشيطن ، ولا يقال تشيط . ينظر: تاج العروس (٤٣١/١٩) مادة (شيط) .

(٧) ينظر: تفسير أبي حيان (٤٣/٧) ، وروح المعاني (١٣٣/١٩) ؛ غير منسوب فيهما عن قطرب= قطرب=

= ولا عن غيره .

(٨) ينظر ترجمته (ص: ٤٥) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

قال الله تعالى: ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ

أي : يجازيهم على هزوهم بالعذاب ، ويمهلهم ويتركهم في ضلالتهم يترددون ويتحيرون . قال الكِسَائيّ[٢]: يقال : مدَّ في الشر ، وأمدَّ في الخير[٣]. قال يُونُس[٤]: المدُّ في معنى الترك، والإمداد في معنى الإعطاء[٥]. قال الزجَّاج[٦]: مدَّه في الغي وأمدَّه واحد[٧]. قال الأخفش : يمدُّهم أي : يمدُّ لهم بحذف اللام ؛ كما يقال : الغلام يلعب الكِعَاب[٨] ؛ أي : يلعب بالكِعَاب ، فحُذِفَت الباء[٩]. والطغيان : مجاوزة الحدِّ[١٠] ؛ قال الله تعالى : ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ[١١] . والعَمَه : التحيّر ، يقال : رجل عَمِه وعَامِه ، أي : متحيّر متردد

---

(١) قال ابن جرير الطبري في تفسيره : « وذلك لحنٌ ، وينبغي أن يكون ذلك إن كان صحيحًا عنه أن يكون توهم » (١١٨/١٩) ، وقال النحاس في كتابه إعراب القرآن: « وهو غلطٌ عند جميع النحويين » (١٩٤/٣) ، وقال ابن عطية في تفسيره المحرَّر الوجيز: « وهي قراءة مردودة » (٢٤٥/٤) . وينظر: تفسير أبي حيان (٤٩٤/١) .

(٢) ينظر ترجمته (ص: ٦٢) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٣) هذا القول منسوب إلى يونس بن حبيب . ينظر: تفسير الطبري (١٣٥/١) ، وتفسير ابن عطية (٩٧/١) ، وتفسير أبي حيان (١٩٤/١) .

(٤) ينظر ترجمته (ص: ٦٢) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١٣٥/١) ، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٢٠٦) .

(٦) ينظر ترجمته (ص :٢٧) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٧) لم أقف عليه في كتابه معاني القرآن وإعرابه .

(٨) الكِعَاب : فصوصُ النَّرد ، واللعب بها حرام . لسان العرب (٧١٩/١) مادة (كعب) .
والنرد : لعبة ذات صندوق وحجارة وفصين ، تعتمد على الحظ ، وتنقل فيها الحجارة على حسب ما يأتي به الفص ، وتعرف عند العامة ب(الطاولة) . المعجم الوسيط (٩١٢/٢) مادة (ندا) .

(٩) معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٠٦) ، وينظر: تفسير الطبري (١٣٥/١) .

(١٠) ينظر : التبيان في تفسير غريب القرآن (٥٩/١) .

(١١) من الآية : ١١ من سورة الحاقة .

تردد الأعمى في طريقه[١] ؛ قال رُؤْبَةُ بن العَجَّاج[٢]:

ومَهْمَهٍ[٣] أطرافُهُ في مَهْمَهِ   أعمى الــهُدى بالجاهلينَ العُمَّهِ[٤]

فإن قال قائل : كيف يجوز الاستهزاء من الله تعالى بعباده ، والاستهزاء قبيح فيما بيننا ؟

قيل له : قد بيّنا أن المراد بالاستهزاء من الله تعالى : المجازاة ، وقد يُسمَّى جــزاء الــذّنب باسمه ؛ كما قال تعالى : ﴿ ھ ھ ے ے﴾[٥]، وقال عــزّ مــن قائــل: ﴿ک ک ک ک گ﴾[٦] ، والثاني : ليس باعتداءٍ ولا سيئةٍ ؛ قال عَمرُو بن كُلْثوم[٧]:

ألا لا يَجهلنَّ أحدٌ علينا   فنجهلُ فوقَ جهلِ الجاهلينا [٨]

ومعلوم أنه لم يتمدح بالجهل ، ولكن جرى على عادتهم في ازدواج الكلام ومقابلتِه .

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ١٣٣) مادة (عمه) ، ولســان العــرب (٥١٩/١٣) مــادة (عمه) .

(٢) رُؤْبَة بن العَجَّاج هو : أبو الشعثاء رُؤْبَة ــ بضم الراء ثم همزة ساكنة تكتب واوًا ، ثم موحــدة مفتوحة ثم هاء ــ ابن العَجَّاج ، واسم العَجَّاج : عبد الله بن رُؤْبَة بن أسد التميمي ، مخضرم ، من أعراب البصرة ، ومن رجّاز الإسلام وفصحائهم ، مات سنة ١٤٥هـ . ينظــر: الأغــاني (٣٥٩/٢٠) ، ومعجم الأدباء (٣٤١/٣) رقم (٤٢٤) .

(٣) الــمَهْمَه : المفازة والبرية القفر . لسان العرب (٥٤٢/١٣) مادة (مهه) .

(٤) ديوان رُؤْبَة بن العَجَّاج ، صححه : وليم بن الورد البروســي ، ط١/ ١٩٧٩م ، دار الأفــاق الجديد / بيروت ، (ص : ١٦٦) . وينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس (٣٧/٢) ، وخزانة الأدب (٥١٦/٧) .

(٥) من الآية : ٤٠ من سورة الشورى .

(٦) من الآية : ١٩٤ من سورة البقرة .

(٧) عَمْرو بن كلثوم هو : عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم ، شاعر جاهلي ، من أصحاب المعلقات السبع . ينظر: جمهرة أشعار العــرب (١١٧/١) ، والأغــاني (١٢٢/١٣) .

(٨) معلقة عَمْرو بن كُلْثوم ، بشرح أبي الحسن بن كيسان ، دراسة وتحقيق : محمد بن إبراهيم = البنا ، ط١/ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، دار الاعتصام / القاهرة ، (ص: ١١٧) ، وينظــر : جمهرة أشعار العرب (٦٠/١) ، والعقد الفريد (٧٢/٥) .

ومعنى المجازاة من الله تعالى : أنَّه أطلَعَ المؤمنين على ضمائرهم في الدنيا ، وأباحَ لهم الاستهزاء بهم ، ولم يأمر بقتالهم كما أمرَ بقتال المشركين ، فاغترّ المنافقون بالإمهال في الدنيا فكان كالمستهزئ بهم ؛ إذ كان وبالُ نفاقهم راجعًا إليهم ، وأضاف الله تعالى فعل المؤمنين / إلى نفسه [1]؛ كما يقال : قطعَ الأميرُ اللصَّ ، وفتحَ عُمَرُ السَّوادَ [2]. ل[٨/أ]

وقال الكلبي : الاستهزاء أن يُفتَح لهم باب إلى الجنة وهم في جهنم ، فيقال لهم : تعالوا ، فيقبلون نحوه يَسْبَحون في النار ، والمؤمنون على الأرائك ينظرون إليهم ، فإذا انتهوا إلى الباب سُدَّ عنهم ، ويُفتَح لهم باب آخر في مكان آخر ، فيقبلون نحوه يَسْبَحون في النار، فإذا انتهوا إلى الباب سُدَّ عنهم ، والمؤمنون على الأرائك ينظرون إليهم[3]؛كما قال تعالى: چ □ □ □ □ □ □ □ چ[4] ، وقال مُقاتل : الاستهزاء يكون على الصِّراط حين يذهب المؤمنون ، فيَطْفَأُ نور المنافقين[5]؛كما قال تعالى في سورة الحديد : چ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ چ[6].

فإن قال قائل : ما وجه الحكمة في أن الله تعالى أمر بقتال الكفار المعلنين بالكفر ، ولم يأمر بقتال المنافقين مع أنهم في الدّركِ الأسفلِ من النار ، وخالف بين أحكامهم وأحكام

---

(١) إن للعباد مشيئة وقدرة على أعمالهم بمقتضاها يثابون أو يعاقبون ، ولكن هذه القدرة وتلك المشيئة تهيمن عليها قدرة الله ﷻ ومشيئته ؛ فلا يقدر العبد على غير ما شاءه الله وأراده في كونه ، وهذا ما قرره أهل السنة والجماعة ؛ أن فعل العبد فعل له حقيقة ، ولكنه مخلوق لله تعالى ، ومفعول لله ﷻ . ينظر : شرح العقيدة الطحاوية ؛ لابن أبي العز الحنفي ، ط٩/ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م ، حققها وراجعها : جماعة من العلماء ، خرج أحاديثها : محمد بن ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي / بيروت ، (ص: ١٤٦) ، وينظر : المسائل الاعتزالية على تفسير الكشاف (١/ ١٣٢– ١٣٤) .

(٢) السواد : العراق . معجم البلدان (٤/٩٤) .

(٣) تفسير السمرقندي (١/٥٦) ، وتفسير البغوي (١/٥٢) ؛ وقول الكلبي قول ضعيف مردود لا سيما أنَّ كلامه يتعلق بعلم الغيب الذي لايُعلَم إلا بدليلٍ من القرآن أوصحيح السُّنة .

(٤) الآية : ٣٤ من سورة المطففين .

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٣٤) ، وتفسير السمرقندي (١/٥٦) .

(٦) من الآية : ١٣ من سورة الحديد .

سائر المظهرين للشرك في الدنيا ، وأجراهم مجرى المسلمين في التوارث والأنكحة وغير ذلك ؟ قيل له : عقوبات الدنيا ليست بموضوعة على مقاديرِ الإجرام ، وإنما هي على ما يعلمُ الله من المصالح فيها ، وعلى هذا أجرى الله أحكامَه ؛ فأوجب رجمَ المحصنِ الزّاني ، ولم يزلْ عنه الرَّجم بالتوبة ، وكذا حدُّ قاطع الطريق لا تسقط عنه بالتوبة بعد القدرة عليه ، والكفر أعظم من الزّنا وقطع الطريق ، ولو كفر رجل ثم تاب قُبلَت توبته ؛ قال الله ﷻ: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ[1]، وحَكَمَ الله تعالى على القاذف بالزِّنا بجلدِ ثمانين ، ولم يُوجَب بالقذف بالكفر ــ وهو أعظم من الزِّنا ــ الحدَّ ، وأوجب على شارب الخمر الحدَّ ، ولم يوجبه على شارب الدَّم وآكل الميتة ، ولهذا قال علماؤنا ــ رحمهم الله ــ : لا يجوز إثبات الحدود بالقياس ، وما ذكر الله تعالى من أمر المنافقين في هذه الآية ، وإقرارهم على حالهم من غير أمرنا بقتالهم ؛ أصل فيما ذكرناه[2]، ألا ترى أن النبيّ ــ ﷺ ــ أقام بمكة بعد ما بعثه الله تعالى ثلاث عشرة سنة ، وأُمِرَ أن يدعوَ المشركين إلى توحيدِ الله تعالى وتصديقِ رسوله بألينِ القولِ وألطفِه ؛ كما قال : ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ[3]، وقال عزّ من قائل : ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ[4]، ثم فرض الله تعالى القتالَ بعد الهجرة ؛ لعلمِهِ ﷻ بالمصلحة في كلا الحالين ، وممّا يُؤيِّد هذا قوله ــ عليه السلام ــ : « أمرتُ أنْ أقاتلَ الناس حتى يقولوا لا إله إلاَّ الله ، فإذا قالوها عصموا منّي دماءَهم ، وأموالَهم إلا بحقِها وحسابهم على الله »[5] ؛ فأخبر ــ

(١) من الآية : ٣٨ من سورة الأنفال .

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٣٢/١) ، وينظر : المبسوط ؛ لشمس الدين السرخسي ، دار المعرفة / بيروت ، (٤٤/٩) .

(٣) من الآية : ١٢٥ من سورة النحل .

(٤) من الآية : ٣٤ من سورة فصلت .

(٥) والحديث (بنحوه) في الصحيحين ؛ أخرجه البخاري (٥٠٧/٢) رقم (١٣٣٥) كتاب الزكاة ، بَاب وجوب الزكاة ، وأخرجه أيضًا مسلم (٥١/١) رقم (٢٠) كتاب الإيمان ، بَاب الأمْرِ بِقِتَالِ الناس حتى يَقُولُوا لا إِلَهَ إلا الله ، مُحَمَّدٌ رسول اللَّهِ ؛ وكلاهما عن أبي هُرَيْرَةَ ــ ﷺ ــ .

عليه السلام ــ بوقوعِ العصمة لهم بقولهم في الدنيا ، وبيّن أنَّ حسابَهم على الله في الآخرة .

قوله ﷻ: چ ى ى ييچ

المعنى ـ والله أعلم ـ : أهلُ هذه الصّفة هم الذين اختاروا الكفر على الإيمان ، فما ربحوا في تجارتهم ، چ ى ى يچ : أي ما هم بمهتدين من الضَّلالة[١] .

والاشتراء في اللغة : ترك الشيءِ إلى شيءٍ[٢]، وهو عند الفقهاء : مبادلة مال بمال[٣].

قال الكلبي : باعوا الـهُدى الذي كانوا عليه من الإيمانِ بمحمد ــ ﷺ ــ قبل مبعثه بالضَّلالةِ التي دخلوا فيها من التكذيب به [٤] ، وقيل : « كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطرةِ »[٥]، فلمّا كانت ولادته على الإيمان ثم كفر بعد البلوغ ؛ فقد اشترى الكفر بالإيمان [٦]. والتجارةُ لا تَربحُ إنما يُربَحُ فيها ، لكن يقال : خَسِر بيع فلان ، ورَبِحت تجارته ؛ على طريق التَّوسُع [٧]؛ كما يقال : ليلك قائم ، ونهارك صائم . چ ى ىچ : كانوا زائدة في الكلام ، ومعناه التأكيد[٨] ؛ كما قال الله تعالى : چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ

(١) تفسير السمرقندي (١/ ٥٦) ، وزاد المسير (١/ ٣٨) .

(٢) ينظر: لسان العرب (٤٢٧/١٤) مادة (شري) .

(٣) ينظر: المبسوط للسرخسي (١٨١/١٢) ، والبحر الرائق (٢٧٧/٥) .

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٥/١) .

(٥) والحديث في الصحيحين ؛ أخرجه البخاري (بلفظه) (٤٦٥/١) رقم (١٣١٩) كتاب الجنائز ، ، باب ماقيل في أولاد المشركين ، وأخرج (نحوه) مسلم في صحيحه (٢٠٤٧/٤) رقم (٢٦٥٨) كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ؛ وكلاهما عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ .

(٦) لم أقف على مصدره .

(٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٩٢) .

(٨) جاء في تفسير السمرقندي في تفسير ﴿ وما كانوا بمهتدين ﴾ قال : « قال بعضهم : معناه وما هم بمهتدين في الحال ؛ كقوله تعالى : چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎچ ؛ يعني من هو في المهد في الحال » (٥٦/١) .

ﯬ ﯭﰈ[1]، وقيل : وما كانوا طالبين للهُدَى .

قوله ﮋ: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ

أوّلُ مثل ضربَهُ الله تعالى في القرآن هذا ، يقول مثل المنافقين في تَجَمُّلِهم بظاهر الإسلام ، وحَقْنِهم دماءَهُم وأموالَهم بما أظهروه ؛ كمثل رجلٍ / يكون في مَفَازةٍ في ليلةٍ مظلمةٍ يخاف على نفسه من شرِّ السِّباع ، فيوقد نارًا فيَأْمَنُ بها السِّباع ، فلما أضاءت النّارُ ما حول المستوقد طُفِئَتْ النّار ، فبقيَ في الظلمة ، كذلك المنافق يخاف على نفسه وعياله من قتل النبيّ ــ ﷺ ــ وأصحابه ، فيتكلم بكلمةِ الإسلام ؛ رياءً للنّاس ، فيُحقِن بها دمَه ومالَه ، ويُناكح المسلمين فيُوارثهم ، فيكون له نور بمنزلة نور نار المستوقِد ، فإذا بلغ آخر عمرِه لم يكن لإيمانهِ أصل في قلبه ، ولا حقيقة في عملِه ؛ سُلِبَ نور الإيمان عند الموت ، فيبقى في ظلمةِ الكفر والعمى ؛ كما كان أعمى القلب في الدنيا [2]. والمَثَلُ ، والمِثْلُ ، والمثيلُ ، والشَّبَهُ ، والشِّبْهُ ، والشَّبيهُ ؛ نظائر في اللغة [3]، وحقيقةُ المِثل: تشبيه الشيءِ بالشيءِ ؛ كقولهم : التَّقِيُ مُلْجَم[4]. تشبيه للتقِي في إمساكِه نفسه عن الحرام بالفرس المُلْجَم الذي يُمْسِكُه اللجامُ عمّا يريد الإقدامَ عليه . والاستِيقاد استِفعال من الإيقاد ، وهو التماس ضياء النار ، ويجوز أن يكون معنى استوقد : أوقد[5]؛ كما قال الله تعالى : ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭼ[6] معناه : أجابهم ربّهم . والنار والنور واحد في الضوء[7]؛ إلا أن في النار الضوء مع الحرارة والاحتراق ، والنور الضوء الخالص ، والنار مؤنثة سماعًا لا

ل[٨/ب]

---

(١) من الآية : ٢٩ من سورة مريم .

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي (١/ ٥٧) منسوب إلى مقاتل بن سليمان .

(٣) ينظر: لسان العرب (٦١٠/١١) مادة (مثل) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٦٠/١) .

(٤) ينظر: أساس البلاغة (٥٥٩/١) مادة (لجم) .

(٥) ينظر: غريب القرآن (٩٦/١) ، ومشارق الأنوار على صحاح الآثار ؛ لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، المكتبة العتيقة ، ودار التراث ، (٢٩٣/٢) مادة (وقد) .

(٦) من الآية : ١٩٥ من سورة آل عمران .

(٧) ينظر : لسان العرب (٢٤٢/٥) مادة (نور) .

لعلةٍ أوجبت ذلك ؛ يدل عليه ثبوت الهاء في تصغيرها . وقول القُتَبي[١]: النّورُ ما نظـرتَ به[٢]. والباء المذكورة في ﭽ ﭞ ﭽ مكان الألف في (أذهبَ) ، يقال : ذهب به وأذهبه بمعنى واحدٍ . ومعنى الترك في ظلمة الكفر : الخذلان . فإن قيل : لِـمَ شبَّه الجماعةَ بالواحِد ؟ قلنا : زعم القُتَبي أنَّ (الذي) في هذه الآية بمنـزلةِ (الذين)[٣]؛ لأنه اسمٌ ناقصٌ لا يتم إلا بصلةٍ ، فيتناول الواحد ، والاثنيْن ، والجمع (كمَنْ) ؛ وما قال الشاعر[٤] : وإنَّ الذي حَانتْ بفَلْجٍ[٥] دماؤُهم هم القومُ كلُّ القومِ يا أمَّ خالدِ

وفي الآية ما يدلُ على أن معناه : الجمع وهو قوله تعالى : ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭽ، وقد يجوز تشبيه فعل الجماعة بفعل الواحد ؛ كما في قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﭽ[٦]؛ إلا أن الفعلَ ها هنا محذوف ؛ لدلالة الحال عليه .

قوله ﻷ: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭽ

معناه _ والله أعلم _ : صُمٌّ لا يَسمعون الحقَّ ، بُكمٌ لا يتكلمون بخيرٍ ، عُميٌّ لا يُبصرون الهدى : أي بقلوبهم ؛ كما قالَ الله تعالى : ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ

(١) القُتَبي هو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، كان فاضلاً ثقة ، سكن بغداد ، ومؤلفاته كثيرة منها : غريب القرآن ، ومشكل القرآن في التفسير ، وغريب الحديث ، ومشكل الحديث . مات سنة ٢٧٦هـ . ينظر: تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠) رقم (٥٣٠٩) ، وينظر : الأنساب (٤٥٢/٤) ، وطبقات المفسرين للأدنه وي (١ /٤٤) رقم (٦٤) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ينظر : تفسير الطبري (١٤١/١) ، وتفسير الرازي (٦٨/٢) وتفسير ابن كثير (٥٤/١) ؛ ولم يُنسب القول فيها عن القُتَبي ولا عن غيره .

(٤) قائل البيت : الأَشْهَب بن رُمَيْلة . ينظر: الحماسة البصرية ؛ لصدر الدين علي بن الحسن البصري ، تحقيق : مختار الدين أحمد ، عالم الكتب / بيروت ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، (٢٦٩/١) ، وينظر : والبيان والتبيين ؛ لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : فوزي عطوي ، دار صعب / بيروت ، (٥٨٤/١) ، وينظر : خزانة الأدب (٨/٦) .

(٥) فَلْجٌ : اسمُ بلد ، ومنه قيل لطريق يؤخذ من طريق البصرة إلى اليمامة ، وقيل غير ذلك . معجم معجم البلدان (٢٧٢/٤) ، ولسان العرب (٣٤٩/٢) مادة (فلج) .

(٦) من الآية : ١٩ من سورة الأحزاب .

ﭽ ﭼ(١) ؛كانوا يبصرون بأعيُنِهم ، وقيل : صمٌّ يتصامَمُونَ ، بُكمٌ يتباكمونَ ، عُمـيٌّ يتعَامُّونَ(٢) ، وإنما أطلقَ لفظ الصَّمم عليهم ونحوه ؛ لأن الله تعالى إنما خلق السّمعَ والبصرَ واللسانَ ؛ لينتفع الناس بها ، فمَنْ لا ينتفعُ بها فكأنَّه فقدَها ، ويقـال : في الآيـة تقـديم وتأخير(٣) تقديرها : وما كانوا مهتدين ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ ، ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ

.

قولـه ﻷ : ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ

مَثلٌ آخر ضربَه اللهُ تعالى يقول : أي مثل المنافقين معَ محمدٍ ـ ﷺ ـ والقرآنِ كصـيِّبٍ ؛ كمطرٍ ينـزل من اللهِ تعالى ليلاً على قومٍ في مَفَازة . ﭽ ﭴ ﭵ ﭼ : أي بيـان الفـتن وابتلاء المؤمنين بالشدائد في الدنيا ، ﭽ ﭶ ﭼ: زجرٌ وتخويفٌ ، ﭽ ﭷ ﭼ : تبيانٌ ، وتبصرةٌ ، ووعدٌ ؛ يجعل أصحاب المطَرِ أصابعهم في آذانِهم من الصواعِق من هول الرَّعـد ، ﭽ ﭿ ﮀ ﭼ : مخافة البوائق والهلاك ؛ وكذلك المنافقون كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم من بيان القرآن وَوَعدِه ووعيدِه ، وما فيه من الدُّعاءِ إلى الجهاد ؛ مخافة أن يُقتَلوا في الجهـاد ، ويقال : مخافة أن تميلَ قلوبُهم إلى ما في القرآن(٤) ؛ وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يقول : في الآية تشبيه الإسلام بالصـيِّبِ ؛ لأنَّ الصـيِّبَ يحيـي الأرض ، والإسـلام يحيـي الكفار(٥)؛كما قال تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ(٦) ، وتشبيه إضمار المنـافقين الكفـر بظلمات المطر ، وتشبيه الزّجر عن الكفر والمعاصي بالرَّعد ، وتشبيه إظهار المنافقين الإيمان بالبرق والصواعِق ؛ هي الدُّعاء إلى الجهاد . ومعنى ﭽ ﮅ ﮆ ﭼ أي : عَالِم بالمنافقين

(١) من الآية : ١٩٨ من سورة الأعراف .
(٢) تفسير الثعلبي (١/١٦١) .
(٣) تفسير الطبري (١/١٤٥) .
(٤) ينظر: تفسير البغوي (١/٥٤) .
(٥) و لم أقف عليه عن الحسن البصري . وينظر: تفسير الرازي (٢/٧٢) ، وتفسير النسفي (١/٢٥) (١/٢٥) غير منسوب عن الحسن ولا عن غيره .
(٦) من الآية : ١٢٢ من سورة الأنعام .

، وجامعهم في النارِ .

وحرف (أو) في أول هذه الآية ليس هو للشكِّ ؛ إذ لا يجوز الشكّ من اللهِ ﷻ / لكنَّه للإباحة والتخيير ، كما يقال : جالس الفقهاء ، أو أصحاب الحديث ، أو أصحاب النحو: أي إن جالستَ واحدًا من الفِرَقِ الثلاثِ فحسَنٌ ، كذلك تمثيل المنافقين ؛ إن مثلتُموهُم بالـمُستَوقِد فذلك مثلهُم ، وإن مثلتُموهُم بالصيِّب فذلك مثلهم ، وإن مثلتموهم بهما فهما مثلاهم[1] ، ويجوز أن يكون (أو) بمعنى الواو ؛ كما قال الشاعِر[2]: [ل ٩/أ]

وقد زعَمتْ ليلَى بأنِّي فاجر   لنفسي تُقَاها أو علَيها فجُورُهَا

معناهُ : وعليها فجورها . وحرف الكاف في قوله : ﭽ ﭬﭼ ؛ يدل على أن المثلَ مضمر ؛ يقال : هذا كزيدٍ وعمرَ ؛ ويراد به الـمِثل ، والأصحاب مضمرٌ أيضًا ؛ بدلالة الحال ؛ كأنه قال : أو كأصحاب الصيِّب ؛ لاستحالة تشبيه الحيوان بالصيِّب وتمثيل العاقل بغير العاقِل ، والصيِّبُ : اسمٌ من صَابَ يَصُوب إذا نزل ، فسمِّيَ المطر الصيِّب ؛ لأنَّه ينزل من السماء[3]؛ قال الشاعر[4]:

فلستَ لإنسيٍ ولكن لملَإٍ كٍ[5]   تنــزَّلَ من جَوِّ السَّماء يَصُوبُ

واختلفوا في تقدير (صيِّب) في اللغة ؛ قال البصريون : هو على (فَيْعِل) ولا يوجد هذا المثال إلا في المعتل نحو : سيّد وميّت ، وقال الكوفيون : هو على وزن (فَعِيل) ،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٩٦) ، وتفسير السمرقندي (١/ ٥٨) ، وزاد المسير (١/ ٤٢) .

(٢) قائل البيت : تَوْبَة بن الـحُمَيِّر . ينظر : ديوان توبة بن الحميِّر ، عنى بتحقيقه وشرحه الدكتور : خليل إبراهيم العطية ، ط١ / ١٩٩٨م ، دار صادر / بيروت ، (ص : ٣٨) ، وينظر: جمهرة خطب العرب ؛ لأحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية / بيروت ، (٢/٤١٠) ، وينظر : خزانة الأدب (١١/٧٣) .

(٣) ينظر: النهاية في غريب الأثر (٣/٦٤) مادة (صيب) ، ولسان العرب (١/ ٥٣٤) مادة (صوب) .

(٤) قائل البيت : علقمة الفحل ؛ و لم أقف عليه في ديوانه ، وينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس الناس (٢/٢٥٥) .

(٥) لملأكٍ : واحد الملائكة . لسان العرب (١٠/٣٩٤) مادة (ألك) .

فقدم الياء وأخَّر الواو ، والدليل على ذلك : أن جمعه أفعلا مثل : هيِّن وأهونا ، على مثال : شديد وأشِدًّا [(١)]. وأما الرَّعد فهو : اسمُ مَلَكٍ يسوق السّحاب ، سُمّيَ صوته باسمه ؛ لأنه سببٌ له[(٢)]. والبرق : ضربُ السّحاب بِمِخْرَاقٍ [(٣)] من حديدٍ تَنْقدحُ منه النار ؛ رُوِيَ هذا المعنى عن عليّ [رضي الله عنه] ، وابن عباس ــ رضي الله عنهم ــ [(٤)].

وچ ڃچ : جمع صاعقة ، وهي : الصوت ، چ ﭭچ : قطعة من النّار ؛ لا يأتي على شيءٍ إلا أحرقه . وانتصاب الحذر ؛ لنــزعِ الحرف الخافض معناه : من حذر الموت ؛ كما

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (٣٥/١) ، وتفسير أبي حيان (٢١٨/١) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥٠/١) عن شهر بن حوشب عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ؛ وهي رواية ضعيفة ، وينظر : تفسير الثعلبي (١٦٣/١) ، وزاد المسير (٤٣/١) .

(٣) الـمِخْرَاق : مفرد مَخَاريق ؛ والِمخْراق منديل أو نحوه يُلوى فيُضرَب به . لسان العرب (٧٦/١٠) مادة (خرق) .

(٤) أخرج (نحوه) الطبري في تفسيره (١٥٢/١) عن حماد عن المغيرة بن سالم عن أبيه عن علي ابن أبي طالب ــ ﷺ ــ ، وعن السّدي عن أبي مالك عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٥/١) رقم (١٩٠) عن ربيعة بن الأبيض عن علي بن أبي طالب ــ ﷺ ــ ، وينظر : تفسير السيوطي (٦١٩/٤) . ومثل هذه الأخبار يُتوقَف في مدى صحة نسبتها ؛ ما دام لم يرد فيها دليل صريح صحيح يُثبِت صحتها ، والله أعلم بحقيقة الحال . قال العلاّمة الشيخ عبد القادر بدران ــ رحمه الله ــ : « قال الحكماء المتأخرين من أن الكهربائية موجودة في كلِّ شيءٍ بلا فرق ، بين السّحاب وغيره ، فإذا تقاربت سحابتان كهربائيتان ؛=

= إحداهما مثبتة والأخرى منفية ، لم يقو الهواء على الفصل بينهما تجاذبتا حتى تصيرَ على بعدٍ محدود ، فتقدم كل واحدةٍ منهما إلى الأخرى بشدة ، فيظهر منهما نور هو البرق ، ويسمع بعده دوي هو الرعد ، فإذا قوي الهواء على الفصل بينهما ، وقاربت السّحب من الأرض انقضت الشرارة الكهربائية أحيانًا منهما ، فتنــزل صاعقة تهلك ما تصيبه ؛ وبالجملة فإن هذا من فعل القادر المختار ومن آثار قدرته الباهرة سبحانه وتعالى » . جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار ، للشيخ عبد القادر بن أحمد بدران ، تحقيق : زهير الشاويش ، ط١ / ١٤٢٠ هـ ــ ١٩٩٩م ، المكتب الإسلامي / بيروت ــ دمشق ــ عمّان ، (ص : ٩٠) .

في قوله تعالى : ﭽﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ[١] أي : من قومه ، ويجوز أن يكونَ مفعولاً له على معنى : يفعلون ذلك ؛ لحذر الموت[٢]. والإحاطة على وجهين : إحاطة علـم ، وإحاطـة قدرة ، وهي: إدراك الشيء بكماله ؛ ومنه سُمِّيَ الحائط حائطًا ؛ لأنه يحوط ما فيه .

قوله ﻷ: ﭽﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﮙ ﮚ ﮛ ﭼ

معنى الآية _ والله أعلم _ : يقرب البرق يَختَلِس أبصار المسافِرين ، ويذهب بهم من شـدةِ ضوئه ونوره ، وكذلك البيان من القرآن يكاد يذهب بأبصار ضلالةِ المنافقين فيأخـذهم إلى الله تعالى ؛ ليقبلوا الدين .

ويقال معناه : إذا تكلم منافق بكلمةِ الإخلاص ، يكاد نورها يَخطف بصـره الـذي في عينه ؛ لاعتقاده خلاف ما تلفَّظ به ، كلما أضاء للمسافرين البرق مشوا في ضوء الـبرق ، وإذا أظلم عليهم بقوا في الظلمة ، كذلك المنافقون لما آمنوا مشوا فيما بين المؤمنين ؛ ليقبل إيمانهم بلسانهم ، فلما ماتوا بقوا في ظلمة القبر ، فكان كلما ظهر للمنافقين دلائـل نبـوّة محمد _ ﷺ _ بإعزاز الله تعالى الإسلام وأهله مالُوا إليه ، وإذا أصابَ أهلُ الإسلام نكبـة من النَّكبات ؛ كيومِ أُحُدٍ [٣] وبئر مَعُونَة [٤] ؛ شَكُّوا في أمرِ محمدٍ _ ﷺ _ ، وثبتوا علـى كفرهم ، ﭽﮎ ﮏ ﮐ ﭼ لذهب بسمع المسافرين بالرَّعد وأبصارهم بالبرق ، كذلك لو شاء لذهب بسمع المنافقين وأبصارهم بزجرِ القرآن ووعيده والبيان الذي فيه ، وجعلـهم صُمًّا عُميًا في الحقيقة ؛ عقوبةً لهم على فعلهم[٥]، ﭽﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﭼ مـن إذهـاب

---

(١) من الآية : ١٥٥ من سورة الأعراف .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٩٧) ، والدّر المصون (١/ ١٧٣) .

(٣) أُحُد : اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أُحُد التي وقعت في السنة الثالثة للهجرة ، وهو جبل أحمر بينه وبين المدينة المنورة قرابة ميل في شماليها . أطلس الحديث : (ص : ٢٣) .

(٤) بئرُ مَعُونَة : تقع بين أرض بني عامر وحرة بني سليم فيما بين مكة والمدينة . وقيل : هـي مـن جهات نجد ، على أربع مراحل من المدينة المنّورة في ديار بني سليم ، و بها قَتَل عامر بن الطفيل القراء ؛ وكانوا سبعين رجلاً بعد أُحُد بنحو أربعة أشهر ، ينظر : معجم البلـدان (٣٠٢/١) ، ولسان العرب (٤١١/١٣) مادة (معن) ، وأطلس الحديث النبوي (ص : ٣٤٧) .

(٥) تفسير السمرقندي (٥٩/١) . وينظر : تفسير الطبري (١/ ١٥٨) .

السمع والبصر ﭼ ﮓ ﭽ قادر.

ولفظ (كاد) يستعمل بغير حرف (أن) [(١)] ، ولفظ المقاربة والمداناة لا يستعمل إلا مقرونًا بحرف (أن) . وفي الخطف لغتان : خَطِفَ يَخْطَفُ ؛ بكسر العين من الفعل الماضي ، ونصبها في المستقبل ، ويستعمل على العكس[(٢)]، والأفصح ما نزل به كتاب الله تعالى ، ويقال : ضَاءَ الشيء يَضُوءُ ، وأَضَاءَ يُضِيءُ ؛ إذا ظهر نوره ، والمختار ما نطق به كتاب الله تعالى ، يقال : ظَلَمَ وأَظْلَم بمعنى واحد ، والمختار بالألف[(٣)] .

ورُوِيَ عن أسباطٍ[(٤)] عن السّديِّ أنه قال : هرَب رجلانِ من المنافقين من المدينة إلى المشركين ، فأَصابهُمَا من المطرِ ما ذكره الله تعالى في هذه الآية ﭼ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭽ فكان كلما لَمَعَ لهما البرق مشيًا في ضوئه ، وإذا لم يَلمَعْ لم يبصرا ، و أقاما مكانهما ، فجعلا يقولان : ياليتنا نُصبحُ فنأتي محمدًا ــ ﷺ ــ ، فنضع أيدينا في يده فنُسْلِمَ ، فلمّا أصبحا أتياهُ وأسْلَمَا وحَسُنَ إسلامهما ، فضرب الله تعالى أمر هذين المنافِقَيْن مثلاً للمُنافِقين / الذين كانوا بالمدينة [(٥)]. ل[٩/ب]

(١) كاد مضارعه يكاد بمعنى يقارب ؛ وتعمل عمل كان إلا أن خبرها لا يكون إلا مضارعًا ؛ لتدل على وقوع الفعل بعدها ؛ ولذلك لم تدخل عليه (أن) . ينظر : التبيان في إعراب القرآن (٣٦/١) ، وتفسير القرطبي (٢٢٢/١) .

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٩٥) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص : ٤٧٦) ، ولسان العرب (٩ /٧٥) مادة (خطف) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/ ٩٦) .

(٤) أسباط هو : أبو يوسف ، ويقال : أبو نصر أسباط بن نصر الهمْداني ــ بسكون الميم ــ ، صاحب السدي ، مات سنة ٢٢١هــ ، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب : « صدوق ، كثير الخطأ ، يغرب » ، (٩٨/١) رقم (٣٢١) ، ذكره محمد بن حبّان بن أحمد في الثقات ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، ط١/ ١٣٩٥هــ - ١٩٧٥م ، دار الفكر ، (٨٥/٦) رقم (٦٨٣٤) .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥٤/١) عن أسباط عن السدي ؛ وهي رواية ضعيفة مرسلة ، وينظر: تفسير السمرقندي (٥٩/١) ، وتفسير ابن عطية (١٠٣/١) ، وتفسير السيوطي (٨١/١) .

قوله ﷻ: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ

فصلٌ رابعٌ من فصول هذه السورة ، يشتمل على أربعة أشياء : الأمر ، والتوحيد ، ونبوّة محمد ـ ﷺ ـ ، والاحتجاج على الناس بصحة نبوّته ـ ﷺ ـ .

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : عنَى بالناس جميع بني آدم من اليهود ، والنصارى ، وعبدة الأوثان ، والمنافقين ، وغيرهم ؛ فهو خطابٌ للكفار بالتوحيد ، والمنافقين بالإخلاص ، والموحدين المخلصين بالطاعة والثبات عليها يعني : وحدوا واخلصوا وأطيعوا ربكم الذي خلقكم من نطفةٍ نسمًا ولم تكونوا شيئًا ، وخلق الذين من قبلكم من القرون الماضية ؛ لكي تتقوا المعاصي فتعبدوه حقَّ عبادته[١].

قال الزجَّاج ـ في إعراب (يا أيّها) ـ : إنَّ (أيّ) اسمٌ مُبهم مبني على الضم ؛ لأنه منادى مفرد ، والناس صفة لازمة (لأيّ) ، تقول : يا أيّها الرجل أقبل ، ولا يجوز يا الرجل ؛ لأن (يا) التمييز بمنزلة التعريف في الرجل ، ولا يجمع بين (يا) ، وبين (الألف) و(اللام) ، فيوصل (يا) إلى الألف واللام (بأيّ) ، و(ها) للتنبيه ، وهي لازمة (لأيّ) عوض من الإضافة في (أيّ) ؛ لأن الأصل في (أيّ) أن تكونَ مضافة إلى الاستفهام والخبر[٢].

وقال محمد بن علي الحكيم ـ رحمه الله ـ[٣]: (يا) نداء القلوب ، و(ها) نداء النفوس ؛ لأنَّ النفسَ قد تستولي على القلب فتأمره بالسوء[٤] ؛ كما قال الله تعالى: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ[٥]. و(أيّ) : اسمٌ مضمرٌ بين النداءين ، و (النّاس) كشف عن الاسمِ المضمر ، وبيان الصنف الذي دعا جلَّ وعلا من خلقِه .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/١٦٠) ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/٩٨) .

(٣) ينظر ترجمته (ص:٧٠) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٤) لم أقف عليه ، وهذا تفسير واضح أنه صوفي ؛ فالحكيم الترميذي له مؤلفات صوفية .

(٥) من الآية : ٥٣ من سورة يوسف

والعبادة هي : الخضوع بأعلى مراتب الخضوع ، مع التعظيم بأعلى مراتب التعظيم[١].

ولهذا لا تحسن عبادة غير الله ﷻ ، ومنه يقال : طريقٌ مُعَبَّد أي : مُذَلَّل ؛ لكثرةِ سـلوكِ الناس ، وبَعِيْرٌ مُعَبَّد ؛ إذا كان مَطْلِيًّا بالقطران مذللاً لا يمتنع على أحد[٢].

والخلق : إيجاد الشيء على التقدير والترتيب لا على مثالٍ سابق[٣] ، وقد قيل : إن الخلق هو: التقدير[٤]؛ قال الشاعر[٥]:

ولأنتَ تَفْري ما خلقتَ وبعضُ　　الناسِ يَخلُقُ ثمَّ لا يَفْري

معناه : لأنت تقطع ما تقدِر . وكلمة (لعلَّ) : للرجاء والطمع ؛ كما قال الله تعـالى في قصة فرعون : ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ[٦]: أي اذهبـا أنتمـا علـى رجائكما وطمعكما ، وأنا عالِـمٌ وراء ذلك بمَ يؤول إليه أمر فرعون [٧]، وقد علِـمَ الله تعالى أنه لا يتذكر ولا يخشى ، ولو أطَّلع موسى ــ عليه السلام ــ على ذلك لكان داعية

---

(١) ينظر : المطلع على أبواب الفقه / المطلع على أبواب المقنع ؛ لمحمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلـي أبو عبد الله ، تحقيق : محمد بشير الأدلبي ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م ، المكتـب الإسـلامي / بيروت ، (٩٣/١) .

(٢) ينظر : غريب القرآن (٣٣٠/١) ، وتهذيب اللغة ؛ لأبي منصور محمد الأزهري ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط١/٢٠٠١م ، دار إحياء التراث العربي / بيروت ، (١٣٨/٢) مادة (عبد).

(٣) ينظر : التبيان في تفسير غريب القرآن (٦٥/١) ، وتفسير أبي حيان (٢٣١/١) .

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١٥٧/١) ، ولسان العرب (٨٥/١٠) مادة (خلق) .

(٥) قائل البيت : زهير ابن أبي سُلمى ، ينظر : ديوان زهير ابن أبي سُلمى ، دار صادر / بيروت ،= =،

= (ص: ٢٩) ؛ وذُكر فيه :

فلأنتَ تَفْري ما خلقتَ وبعضُ　　القومِ يَخْلُقُ ثمَّ لا يَفْري

وانظر: الحماسة المغربية ؛ مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب ؛ لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي ، تحقيق : محمد رضـوان الدايـة ، ط١/ ١٩٩١م ، دار الفكـر المعاصر / بيروت ، (١٣٧/١) .

(٦) الآية : ٤٤ من سورة طه .

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٩٨) .

له إلى الوَهْن ولكنه رجّاه في رشده ؛ ليكون أطمع له في دعوته ، فكـذلك لما كانت عواقب أعمال العباد مغيبة عنهم رجّاهم بالتوقع ؛ ليكونَ ذلك أوكد في اجتهادهم ؛ لأن الإنسانَ وإن يناهي في العبادة لا يعلم أنه اتقى النار ؛ لجواز أن يكونَ أخلَّ بواجب أو أتى بقبيح ، وقال بعضهم : معنى الآية اعبدوا ربكم متعرضين للتقوى[1] ؛ وهذا كما يقـول القائل : إذا جاء إلى باب السلطان إنما جئت هاهنا لعلي أجدُ عمل كـذا : أي متعرضًا لذلك العمل .

قوله ﷻ: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ

في إثباتِ توحيدِ الله ﷻ معناه : هو الذي جَعل ، وقيل : اعبدوا الذي جعل لكم الأرض بساطًا ، ومنامًا ، ووطاءً ، ولم يجعلها حَزْنةً غليظةً لا يمكن الاستقرار عليهـا [2] . ﭽﮥ ﭼ سقفًا ؛ قال ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : كلُّ سماءٍ مُطْبَقة على الأخـرى كالقُبَّـة ، وسماء الدنيا ملتزقةٌ أطرافها بالأرض[3]، ﭽﮦ ﮧ ﮨ ﭼ : أي مـن السـحاب . ﭽﮩ ﭼ يعني : المطر ، وقيل : من نحو السماء[4] ، فأنبت من المطر ألوانَ الثمـراتِ ، ﭽﯓ ﯔ ﭼ : طعامًا لكم . ﭽﯕ ﯖ ﯗﭼ : أمثالاً ونُظَراء . ﭽ ﯘ ﯙ ﭼ أن الله تعالى خالق هذه الأشياء ، وأن غيره لا يستطيع أن يأتيَ شيئًا منها ، وأن ليس للأصنام عليكم نعمة تسـتحق بهـا عبادتكم .

---

(١) ينظر: فتح القدير (١/٥٠) ، والمعنى التام هو المعنى الأول .

(٢) ينظر: تفسير السمعاني (١/٥٧) ، وتفسير البغوي (١/٥٥) .

(٣) تفسير السمرقندي (١ /٦٠) ، وأخرج (نحوه) الطبري في تفسيره (١/١٦٢) عن أسباط عن السدي عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وهي رواية ضعيفة ، وتتنافى مع قولـه تعـالى : ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [من آية : ١٠ من سورة لقمان] ؛ لأن ذلك يعني أن السموات قائمة على أطراف الأرض ؛ بل وتتنافى مع المشاهدة ، فلو كان الأمر كذلك لكانت أطـراف السماء الدنيا كالسور يحيط بالأرض ، ويحوط بين الأرض والمحيطات المائية ، والله أعلم .

(٤) ينظر : تفسير السمعاني (١/٥٧) ، وتفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا مزايا القرآن الكريم) ؛ لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي / بيروت ، (١/٦١) .

وفي هذه الآية ذكر النِّعَم التي يستحق الله تعالى بها العبادةَ من خلقه ، كأنه قال : اعبدوا ربَّكم ؛ لأجل أنه خلقكم ؛ ولأجل أنه جعل لكم الأرض فراشًا ، وقال علي ــ رضي الله عنه ــ : سُمِيَّت الأرض أرضًا ؛ لأنها تتأرض ما في / بطنها [١]: أي تأكل ، وقيل : تُتَأرض بالحوافرِ والأقدامِ[٢] ، والتَّأرض : التَّصَدِّي والتَّعَرُّض [٣]. والسماء من السُّموِّ : وهو العُلوُّ ، وكلُّ ما عَلاك فأظلَّك فهو سماء ، ويقال : سُمِّيَ السّحاب سماء ؛ لكونه قريبًا من السماء[٤] إذ السّحاب أقصى ما يعلو مقدار فرسخٍ أو فرسخين[٥]، ألا ترى أنك ترى الشمسَ في أعالي الجبال ومن دونها سحاب مَطِير .

ل[١٠/أ]

ذهب بعضهم : إلى أن الله تعالى يُنـَزِّلُ المطرَ من السماءِ إلى السّحابِ ، ومن السّحابِ إلى الأرضِ[٦] ، وقال بعضهم : يخلق اللهُ المطرَ في السّحاب ، ثم يُنـَزِّلُ من السّحابِ إلى الأرض[٧] ، وإنما أطلق اسم البناء على السماء دون الأرض ؛ لأنَّ خلقها بعد خلق

(١) تفسير السمرقندي (١/٦٠) عن علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ ، ولم أقف على سنده .

(٢) تفسير السمرقندي (١/٦٠) .

(٣) ينظر : لسان العرب (٧/١١٢) مادة (أرض) ، وتاج العروس (١٨/ ٢٣٠) مادة (أرض) .

(٤) ينظر: تفسير ابن عطية (١/١٠٥) .

(٥) الفرسخ : مقياس قديم من مقاييس الطّول يقدر بثلاثة أميال أو ستة . لسان العرب (٣ /٤٤) مادة (فرسخ) ، والمعجم الوسيط (٢ / ٦٨١) مادة (فرسخ) .

(٦) ينظر: تفسير الرازي (٢/١٠٢) .

(٧) ينظر: تفسير السمرقندي (٢/٢٢٠) ذكر هذا التفسير عند الآية ١٣ــ ١٤ من سورة الرعد عن عن وهب بن منبه ، وينظر : تفسير البغوي (١/١٣٥) وذكر هذا المعنى عند تفسيره لسورة البقرة الآية (١٦٤) غير منسوب لأحد . قال الشيخ عبد القادر بدران في تفسيره : « وقد يشكل قوله تعالى : ﴿ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﴾ ، وغيره من الآيات المشابهة لها على بعض علماء الهيئة من جهة كونه يقتضي نزول المطر من السماء ، فيقول : الأمر ليس كذلك ؛ لأن الأمطار إنما تتولد من أبخرة ترتفع من الأرض ، وتتصاعد إلى الطبقة الباردة من الهواء ، فتجتمع هناك بسبب البرد ، ثم تتقاطر بعد اجتماعها وذلك هو المطر ، فيقال له : قد علمت مما سبق أن العرب تطلق السماء على كل ما سما ؛ أي علا ، وحيث إنه يصح إطلاق السماء على السحاب ، والمطر ينزل

الأرض ؛ قال الله تعالى :ﭽﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ[١] ، و(مِنْ) في قوله تعالى: ﭽﮯﮰﭼ لابتداء الغاية ؛ كما يقال : خرجتُ من الكوفة إلى البصرة ، و(مِنْ) ﭽﯓﭼ للتجنس ؛ كما يقال : ما أتى من أحدٍ ، وكقوله تعالى : ﭽ□□□□ ﭼ[٢] .

والأنداد : جمع النِّد ، والنِّد يَحتمل لوجوهٍ ثلاثة :

أحدها: المثل[٣]. وذلك منفي ؛ لأن المثلَ يوجب المماثلة في القِدم ، وكانوا مُقِرِّين بأنَّ الله تعالى خالق الأشياء كلها ؛ كما قال اللهُ تعالى : ﭽ□ □ □ □ □ □□ﭼ[٤] ، وقال أبو عبيدة : معناه الضِّد[٥]. وذلك منفي ؛ لأن التضادَ إنما يصح بين الأعــراضِ ؛ كالسّــواد والبياض ، والحياة ، والموت ، وقيل معناه : المثل الذي يضادُ في الفعل؛ وذلــك منفــي ؛ لاستحالة استقامة أحوالِهِ مع مضاد لهُ في أفعاله [٦]؛ كما قال الله تعــالى: ﭽﯗﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﭼ[٧] .

و[إطلاق] [٨] اسم الفراش لا يتناول الأرضَ وإنما سُمِّيَ بهذا تقييدًا ؛ كقوله تعــالى : ﭽﭫ ﭬ ﭼ[٩]، وقوله تعالى: ﭽﭿﮀﭼ[١٠]؛ ولذلك قال الفقهاء : إن مَنْ حَلَفَ لا ينــامَ

منه فلا إشكال » إلى أن قال : « وأيًا ما كان ، فقد اتفق كل من علماء فن العلــوم الطبيعيــة والمفسرون على أن المطر ينزل من جهة العلو ، وإذا كان بخارًا ارتفع إلى حيث شاء الله تعالى ، فإذا تكاثف انحط عن مرتبته ، ثم كان مطرًا أو ثلجًا أو بردًا ، ولما كان السحاب جرمًا عظيمًا ، كان كأنه جبل بين السماء والأرض » أ هــ . جواهر الأفكار (ص: ١٠٦) .

(١) من الآية : ١١ من سورة فصلت .

(٢) من الآية : ٣٠ من سورة الحج .

(٣) ينظر : تفسير الطبري (١/١٦٣) ، وتفسير السمعاني (١/٥٧) .

(٤) من الآية : ٨٧ من سورة الزخرف .

(٥) مجاز القرآن (١/٣٤) .

(٦) ينظر: تفسير السمرقندي (١/ ٦١) .

(٧) من الآية : ١١ من سورة الأنبياء .

(٨) كُتِبت في النسخة (ب) : أطلق .

(٩) الآية : ٧ من سورة النبأ .

(١٠) من الآية : ١٦ من سورة نوح .

على فراشٍ ، فنامَ على الأرض ، أو حَلَفَ لا يقعدُ في سراجٍ ، فقعد في الشمس ؛ لا يَحْنَث ؛ لأنَّ الأَيمانَ محمولةٌ على الـمُعْتَاد المتعارف في الأسماء ؛ ونظائر ذلك كثيرة في كثير من الأحكام ، والمطلق على إطلاقه ، والمقيد على تقيده لا يتجاوز به موضعه [1] .

وفي هذه الآية دلالة على التوحيد ، وإثبات الصانع الحكيم الذي لا يشبهه شيء ، والقادر الذي لا يعجزه شيء من ارتفاع السماء ، ووقوفها بغير عَمَد ، ثم دوامها على طول الدهر غير متزائلة ولا متغيرة ؛ كما قال جل ذكره : ﴿ ۋ ۋ ۅ ۅ ﴾[2]؛ وكذلك ثبات الأرض ووقوفها على غير سنَدٍ ؛ فيه أعظم الدلائل على التوحيد ، وعلى قدرة خالقها ؛ لأنَّهُ لا يُعجزه شيء ؛ لأن الخلائقَ كلُّهم لو اجتمعوا على أن يُقيموا جسمًا في الجوِّ من غير أن يكون تحته ما يُقلُّهُ ويَعمِده ، أو فوقه ما يعلقه لم يمكنهم ، فإنه إن كانَ الجسم فيه أدنى ثقلٍ نزل ، وإن لم يكن فيه ثقل تحرك عن مكانه ، إما صُعُدًا أو إلى إحدى الجهات الأربع ؛ وفي الآية دليلٌ على أن الأرضَ بَسيطة ، لا كُرَةٌ مُدَوّرةٌ على ما يقوله المنجِّمون وبعض المتكلمين[3].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٣٢/١) ، وينظر : المبسوط للسرخسي (٨ / ١٦٣) .

(٢) من الآية : ٣٢ من سورة الأنبياء .

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السّعدي : « واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة ، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها ، كما دلَّ على ذلك النقل ، والعقل ، والحس ، والمشاهدة ، كما هو مذكور معروف عند كثير من الناس ، خصوصًا في هذه الأزمنة التي وقف فيها الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة للبعيد ، فإن التسطيح إنما ينافي كرويَّة الجسم الصغير جدًّا ، الذي لو سطح لم يبقَ له استدارة تذكر ، وأما جسم الأرض الذي هو كبيرٌ جدًّا وواسع فيكون كرويًّا مسطحًا ، ولا يتنافى الأمران كما يعرف ذلك أرباب الخبرة » ؛ تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسيركلام المنان ، تحقيق : محمد بن صالح العثيمين ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، (٩٢٣/١) .

ولعلَّ المؤلف ــ رحمه الله ــ ذهب إلى أن الأرض بسيطة غير كرويَّة من ظاهرِ قوله تعالى: ﴿ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﴾ [الآية : ١٩ من سورة نوح] ، وعلى هذا ذهب بعض المفسّرين إلى ما ذهب إليه المؤلف ــ رحمهم الله تعالى ــ ؛ كابن عطية حيث قال في تفسيره المحرَّر الوجيز : « وأما اعتقاد كونها بسيطة ؛ فهو ظاهر كتاب الله تعالى ، وهو الذي لا يلحق عنه فساد البتة » (

قولـــه ﻷ: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ
   ﭼ

في إثباتِ النبوّة ؛ إذ النبوّةُ مرتبةٌ على التوحيد المعنى : إن كنتم في شكٍّ مما نزَّلنا على عبدنا محمد ــ ﷺ ــ أنه ليس بنبيّ ، وأنَّ محمدًا ــ ﷺ ــ يختلقه من تلقاءِ نفسه ، فجيئوا بسورة من مثل ما نزلنَا وهو القرآن ؛ يعني : سورة من التوراة ، والإنجيل ، والزّبور ، فقابلوهـــا بالقرآن ؛ لتعلموا أن محمدًا ــ ﷺ ــ لم يختلقه من تلقاءِ نفسه ، وهذا إذا كـــان خطابًـــا لليهود خاصَّةً على ما ذهب إليه الكلبي[١] ، وعلى هذا معنى قوله: ﭽ ﭼ أي: اســـتعينوا بأحباركم ورهبانكم ، والظّاهر أن هذا خطاب للعربِ كلهم على معنى : فاختلقوا سورةً مثل القرآن ؛ كقوله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ[٢]، وأن قولــه تعـــالى: ﭽ   ﭼ: أي استعينوا بآلهتكم ، قال الزجّاج : معناه ادعوا من استطعتم طاعته ورجوتم معونته في الإتيان بسورة مثله[٣]. وقيل : إن (الهاء) في ﭽ ﭼ عائدٌ إلى النبيّ ــ ﷺ ــ [٤]؛كأنه قال عزَّ من قائلٍ : فأتوا بسورة من بشرٍ مثله ، أومن أميٍّ مثله لا يُحسِن الكتاب ، إن كنتم صادقين أنه ليس من الوحي .

وقوله تعالى: ﭽ ﭼ أمر تعجيز ؛ لأنه تعالى عَلِمَ عَجْزَ العباد عنه ، ولكنَّه / أراهم ذلك ل[١٠/ب] في أنفسهم . والسُّورة : الفضيلة والرِّفعة ؛ ومنه سُور البناء[٥] ؛ قال النَّابِغَة[٦]:

٣٧٥/٥) ، والله أعلم .

(١) تفسير السمرقندي (٦١/١) .

(٢) من الآية : ١٣ من سورة هود .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/ ١٠٠) .

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٦٦/١) ، وتفسير السمرقندي (٦١/١) ، والصحيح أنه عائـــد علـــى القرآن بدليل قوله تعالى : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [من آية : ١٣ من سورة هود] .

(٥) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن (٦٧/١) ، وتاج العروس (١٠٢/١٢) مادة (سور) .

(٦) النَّابغَةُ هو : أبو أمامة النَّابغَة الذُبْيَاني ـــ بضم الذال المعجمة وسكون البـــاء الموحـــدة واليـــاء المفتوحة آخر الحروف بعدها الألف وفي آخرها النون ـــ ، واسمه : زيـــاد بـــن معاويـــة بـــن ضِباب بن جابر ، شاعر جاهلي ، من أصحاب المعلقات السبع ، من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء . ينظر: الأغاني (٥/١١) ، والأنساب (٦/٣) .

ألَمْ ترَ أنّ اللهَ أعطاكَ سورةً   ترى كلَّ مَلْكٍ دونَها يتذَبذَبُ[(١)] [(٢)]

إلا أنَّ جمع سورة البناء (سُوْر) على وزن بُسْرَة ، وبُسْر ، وجمع سورة القرآن (سُــوَر) على وزن ظُلْمَة وظُلَم[(٣)] ، ومَنْ همز السورَة جعلها قطعة ، ولذلك يقال : سُؤْر السّباع ؛ للقطعة الباقية مما شربت[(٤)] ، وقال أبو عبيدة : سُمِّيت السّورة سورة ؛ لانقطاعِهـــا مـــن الأخرى ، كسورة البناء[(٥)].

والشّهيد في الحقيقة ؛ الــمُعِين ، وإلى هذا ذهب ابن عباس [رضـــي الله عنـــهما] ، حيث فسَّر قوله تعالى : ﭽ ﭼ : أعوانكم[(٦)] ، وقيلَ : سَمَّى الله تعالى الأصنام شـــهداء ؛ على زعم المشركين أنها تشهد وتشفع لهم عند الله تعالى[(٧)] .

ودلالة صحة نبوّة محمد ــ ﷺ ــ في الآية ؛ أنه قصد إلى قوم أَلِبَّاء ، عُقَلاء ، فُصَحاء، شُعَراء ، هم الغاية في العلم باللغةِ العربيّة ، فجاءهم بكلام من لغتهم ؛ ليجعل عجزهم عن مثله حجَّةً عليهم ، ودلالةً على إبطالهم وكفرهم ، وتوبخيهم بذلك وقرعهم به ، وأمهلهم المدةَ الطويلة ، وقال لهم : فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين بخبرهم أن عجزَهم إنما هو عن النَّظم ، مع أنه وُلِدَ بين أظهرهم ، ونشأ معهم ، لم يَغِبْ عنهم ، ولم يفارقهم في سفرٍ ولا حضرٍ ، وهو من مَشْهورِيهم ، وأعلامهم في النسب وأهل البيت ، ليس يخفى أحواله ومتصرفاته عليهم ، وهم أهل الحميَّة والأَنَفَة[(٨)]؛ يأتي الرجل منهم القِبلَة بسببِ الكلمـــة ،

---

(١) يتذبذب : أي متردد بين أمرين . العين (١٧٨/٨) مادة (ذب) .

(٢) ديوان النابغة الذبياني (ص: ١٨) ، وينظر: الحماسة المغربيـــة (١٢٧/١) ، وخزانـــة الأدب (٤٦٨/٩) .

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (٣٦/١٣) مادة (سور) ، ولسان العرب (٣٨٦/٤) مادة (سور) .

(٤) ينظر : تهذيب اللغة (٣٤/١٣) مادة (سور) ، ولسان العرب (٣٤٠/٤) مادة (سور) .

(٥) ينظر: مجاز القرآن (١ / ٣٤) .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦٦/١) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، ، وينظر : تفسير ابن كثير (٦٠/١) ، وتفسير السيوطي (٨٩/١) .

(٧) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣٤/١) ، وزاد المسير (٥١/١) .

(٨) الأَنَفَةِ : الغَيْرَةِ والحِشْمَةِ . تاج العروس (٤٦/٢٣) مادة (أنف) .

وبذلوا أموالَهم ، وآباءَهم ، وأبناءَهم ، وأنفسَهم ؛ لإطفاءِ نوره ، ولم يتعاطوا معارضَته بسورةٍ ، ولا خطبةٍ ، ولا أرجوزةٍ[1] أكثر ما اعتقدوا به أنه أساطير الأولين وأنه سحر ، كلٌّ ذلك دليلٌ على أنه من عند الله تعالى الذي لا يُعجزه شيء ، وأنه ليس من مقدور مثله ، وكانت هذه معجزة باقية لنبيّنا محمد ـ ﷺ ـ إلى قيام السّاعة ، وفضيلة على سائر الأنبياء قبله ـ صلوات الله عليهم ـ ؛ لأن معجزاتهم تَقَضَّتْ بانقضائهم ، وإنما يُعْلَم كونها من طريق الأخبار ، وهذه معجزةٌ باقيةٌ كلُّ مَنْ اعترض عليها بعده فرماه بالعجز عنه ، فتبيّن حينئذٍ له لزوم الحجَّة به ، وقيام الدلالة عليه ، كما كان حكم مَنْ كان في عصره .

والوجه الآخر في الدلالة : أنه معلوم عند المؤمنين بالنبيّ ـ ﷺ ـ ، وعند الجاحدين لنبوّته ؛ أنه كان من أتمِّ الناسِ عقلاً ، وأكملهم حِلْمًا ، وأفضلهم رأيًا ، ما طعَن عليه أحدٌ في كمال العقل ، ووفور الحلم ، وصحة الفهم ، وجودة الرأي ، وغير جائز على مَنْ كان هذا وصفه أن يَدَّعِيَ أنه نبيُّ الله تعالى قد أرسله ـ ﷺ ـ إلى خلقه كافَّةً ، ثم يجعل علامةَ نبوّته ـ ﷺ ـ ودلالةَ صدقه كلامًا يظهره ويقرعهم بالعجز عنه ، مع علمه بأن كلَّ واحدٍ منهم يقدرُ على مثله ، فيَظهر حينئذٍ كذبه وبطلان دعواه ، فدلَّ على أنه لم يَتحَدَّهم بذلك ، ولم يقرعهم بالعجز عنه إلاَّ وهو من عند الله تعالى لا يقدر العباد عليه[2] .

قوله ﷻ : ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ

إن لم تأتوا بمثله ولن تأتوا به أبدًا : أي لم تقدروا عليه ؛ فاحذروا واخشوا النار التي حطبها الناس إذا صاروا إليها ، والحجارة قبل أن يصيروا إليها ، خُلِقَت وهُيّأَتْ للكافرين .

قوله ﷻ : ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ شرط دخل على حرف الجحد ، ﭽ ﯯ ﯰ ﭼ نسق عليه ، وجوابه : ﭽ ﯱ ﭼ وهو خبر عن زمانية الوقت القابل ؛ لأنَّ ﭽ ﯯ ﭼ يُنفَى بها ما

(١) الأُرْجُوزَة : مفرد أراجيز ، والرَّجَزُ بحر من بحور الشِّعر معروف ونوع من أنواعه ؛ وله عدة أضرب : مستفعلن ، مفعولن ، مستفعلن (مع الجزء) ، مستفعلن (مع الشطر) . ينظر : الكافي في العروض والقوافي ؛ للخطيب التبريزي ، تحقيق : الحساني حسن عبد الله ، مكتبة = الخانجي / مطبعة المدني – القاهرة ، (ص: ٢١٤) ، وينظر : لسان العرب (٥/٣٥٠) مادة (رجز) .

(٢) أحكام القرآن للجصاص (١/٣٣) .

مضى ، ﭽ ﭼ يُنفَى بها مستقبل .

والوَقُود : اسمٌ لكل ما أوقدت به النار ؛ كالوَضُوء ، والطَّهُور ، والغَسُول[١] ، وقيل : مصدر من وَقَدت النارَ وُقودًا ووَقودًا ؛ كالقُبول والقَبول بالضم والفتح جميعًا [٢].

وذِكْرُ الحجارة هاهنا تعظيم لأمرِ النار ؛ لأنها لا تأكل الحجارة إلاَّ إذا كانت فظيعَةً هائلةً ، ويقال : فائدة الحجارة أن تكوى بها جباههم ، وجنوبهم ، وظهورهم ؛ كما رُوِيَ في الخبر أنه يكون مع كل إنسانٍ في النار حجرٌ معلقٌ في عنقه حتى إذا طفا على وجهِ النار ، رسَبَه الحجرُ إلى أسفل[٣] ، ويقال : إن المراد بالحجارة : حجر الكبريت [٤]؛ لأن لها خمسة أشياء ليست لغيرها :

أحدها : أنه أسرع وقودًا ، والثاني : أبطأ خمودًا ، والثالث : أنتن رائحةً ، والرابع : أشدُّ حرًّا ، والخامس : ألصق بالبدن .

رُويَ أنه لما نزل قوله تعالى/: ﭽ ﯾ ﭼ قال الكفار هذه النار وقودها الناس فما بال الحجارة ؟! ، فنـزلت : ﭽ ﭼ . [٥] ل[١١/أ]

وفي ذكر الوقود ؛ إشارة إلى أنهم لا يَصيرون فحمًا ، ويبقون حَطَبًا ؛ كما قال الله تعالى : ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ[٦] .

وفي هذه الآية دلالةٌ على أن الكفارَ لم يعارضوا النبيّ ـ ﷺ ـ ، ولا يقع ذلك منهم في المستقبل ، وذلك إخبار بالغيب وُجِدَ مخبرَه على ما هو به ، ولا يتعلق هذا بإعجاز النَّظم ،

---

(١) ينظر: لسان العرب (٤٦٦/٣) مادة (وقد) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٦٨/١) .

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/ ١٠١) ، وكتاب سيبويه (٤٢/٤) ، والمقتضب (١٢٨/٢) .

(٣) تفسير السمرقندي (٦٢/١) ، ولم أقف على سنده .

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٦٨/١) عن عبد الله بن مسعود ـ ﷺ ـ ، وتفسير السمرقندي (٦٢/١) غير منسوب لأحد ، وفي تفسير البغوي (١/ ٥٦) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ .

(٥) لم أقف على سنده . وينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٧/١) .

(٦) من الآية : ٥٦ من سورة النساء .

بل هي قائمة بنفسها في تصحيح نبوّته ــ ﷺ ــ ؛ كما لو قال لهم : الدليلُ علـــى صـــحةِ قولي أنَّكم مع صحة أعضائكم وصحة جوارحكم لا يقع من أحدٍ منكم أن يمسَّ رأسَـــه ، أو أنْ يقومَ من موضعه ، فلم يقعْ ذلك منهم مع سلامة أعضائهم وجوارحهم وتقريعهم به مع حرصهم على تكذيبه ؛ كان ذلك دليلاً على صحة نبوّته ــ ﷺ ــ ، وأنه لا يصح كونه إلا من قبل القادر الحكيم ؛ الذي صرفهم عن ذلك إلى تلك الحال .

فإن قيل : كيف قال الله تعالى: ﴿ ﴾ ، واتقاء النار واجب بغير هذا الشرط ؟

قيل له : العقاب لا يَتحَتم على المكذب بالنبيّ ــ ﷺ ــ إلا إذا ظهرت المعجزة ، وقامـــت الحجَّة عليه ، فكأنه قال : فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ؛ فقد قامت الحجَّة عليكم ؛ فـــاتقوا النار .

فإن قيل : كيف خصَّ الله تعالى الكافرين بكون النار معدَّة لهم ، والنار معدَّة لهم ولغيرهم؟

قيل له : اختلف الناس في الجواب عنه :

قال بعضهم : أرادَ به نارًا مخصوصة ، وتلـــك النـــار غـــير مُعـــدَّة لغيرهـــم ؛ إذ النـــار دركات[1]؛كما قال الله تعالى : ﴿ ﴾[2] .

وقال بعضهم : ليس إذا خصَّ الكفار بالذكر في هذه الآية ، ما يدلُ على أن النـــارَ غـــير معدَّة لغيرهم [3]، ألا ترى أن الله تعالى خصَّ الناس والحجارة بالذِّكر في هذه الآيـــة ، وإن

---

(١) ينظر : تفسير ابن عطية (١/ ١٠٨) ، وتفسير القرطبي (٢٣٦/١) ، وسئل فضلية الشيخ ابـــن عثيمين ــ رحمه الله ــ عن نار جهنم ؛ هل هي ناران ؛ نار لأهل الكفر ، ونار لأهل المعاصي ؟ فأجاب بقوله : « زعم بعض العلماء ذلك وقال : إن النار ناران ؛ نار لأهل الكفر ، ونار لأهل المعاصي من المؤمنين ، وبينهما فرق ، ولكـــن هـــذا لا أعلـــمُ لـــه دلـــيلاً لكـــن عـــذابهما يختلف ... » الخ . مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢/ ٥٦) .

(٢) من الآية : ١٤٥ من سورة النساء .

(٣) وهذا ما ذهب إليه الجمهور . تفسير ابن عطيـــة (١٠٨/١) ، وينظـــر : تفســـير الســـمعاني (٥٩/١) ، وتفسير أبي حيان (٢٥١/١) .

كان غيرهم وقودًا للنار ؛ كما قال الله تعالى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ[١] ، ومعلوم أنهم كانوا يعبدون النحاس ، والحديد ، والذهب ، والفضة ، كما كانوا يعبدون الحجر .

قال مقاتل : لما ذكر الله تعالى في هذه الآية الوعيدَ للكفار بالنار والحجارة ، فَرِقَ المؤمنون من وعيد الله تعالى ، فبشرهم الله تعالى بالجنّة ، وما أعدَّ لهم فيه من الثواب[٢]، بقوله ﷻ: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ

معنى الآية ــ والله أعلم ــ: فَرِّح قلوبَ الذين صدَّقوا وعملوا الصالحات ؛ بأنَّ لهم بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها وغُرَفها أنهار الماء ، والخمر ، والعسل ، واللبن ،كلما أتحِفوا وأطعِمُوا من الجنة من ألوانِ الثمر ، على مقدار البُكَرِ والعشيَّات ، قالوا: هذا الذي أطعِمنا من قبل ، إذا أتوا بكرة قالوا : هذا الذي أوتينا عشيةً ، وإذا أتُوا به عشيةً قالوا : هذا الذي أُتينا به بُكرة ، فإذا طعِمُوا وجدوا طعْمَه غير الطَّعْمِ الذي وجدوا من قبل ، ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ في المنظر ، مختلفًا في الطَّعْم وفي النهاية في التعجب ، والدلالة على الحكمة أن ترى تفاحةً فيها طعم كل فاكهة ، فترى الطُّعومَ مختلفة ، والصُّورَ متفقة ، ويقال : معنى قوله تعالى: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ أي : في دار الدنيا ؛ لأن لونه يشبه لون ثمار الدنيا ، فإذا أكلوا وجدوا طعمه غير ذلك[٣].

والأول أصح ؛ لما رُويَ عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أنه قال : « ليس في الجنّة شيء يشبه ما في الدنيا لولا الأسماء » [٤]. وذهب بعضهم إلى معنى قوله تعالى: ﭽ ﭵ ﭼ أي

---

(١) من الآية : ٩٨ من سورة الأنبياء .

(٢) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان (١/٣٧) .

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١/١٧١) ، وتفسير ابن أبي حاتم (١/٦٦) رقم (٢٥٧) ، وتفسير السيوطي (١/٩٦) .

(٤) أخرجه الطبري (١/١٧١) ، وابن أبي حاتم (١/٦٦) رقم (٢٦٠) في تفسيرهما عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، والأعمش قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب : « ثقة ، حافظ ، عارف بالقراءات ، ورع ، لكنه يدلس » (١/ ٢٥٤) رقم (٢٦١٥) ، وأبو ظبيان قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب : « ثقة » (١/ ١٦٩) رقم (١٣٦٦) ، وانظر: تفسير السيوطي (١/٩٦) .

: يتشابها في الاسم[١] ، ويقال : يشبه بعضه بعضًا ؛ في الجودةِ والحُسْنِ[٢]. ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭼ أي : لهم مع نعيم الجنّة نساء وجوار ؛ مهذبة في الخَلْق والخُلُق لا يَحضْنَ ، ولا يَتمخطْنَ ، ولا يَلدْنَ ، ولا يَحْتَجْنَ إلى ما يُتَطهرُ منه ، ولا يَحْسَدْنَ ، ولا يَغرْنَ ، ولا يَنْظُرْنَ إلى غير أزواجهنَّ ، طَهِرْنَ من كلِّ دنسٍ وعيبٍ ، وهم فيها مع هذه الكرامات ؛ دائمون لا يموتون ، ولا يخرجون منها أبدًا [٣].

والبشارة المطلقة هي : الخبر السّار الذي يَحْدُث عنده الاستبشار والسّرور[٤] ، وإن كان قد يُستعمل مقيّدًا فيما يَسُوء ؛ كما قال الله تعالى : ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ[٥] ؛ ولهذا قال علماؤنا فيمن قال : أيُّ عبدٍ بشرني بقدوم فلانٍ فهو حرٌّ ، فبشره جماعةٌ من عبيده واحدًا بعد واحدٍ ، أنَّ الأول يُعتق دون غيره ؛ لأنَّ البشارةَ حصلت بخبره/ ل[١١/ب] خاصّةً ، بخلاف ما إذا قال : أيُّ عبدٍ أخبرني بقدوم فلانٍ ، فأخبروه واحدًا بعد واحدٍ ؛ يعتقون جميعًا[٦]، ألا ترى أن الناسَ يقولون : قد ظهر لنا تباشير هذا الأمر ؛ يعنون أوله الذي يقعُ به السرور والفرح ، ومنه سُمِّيَ الغلام بشيرًا ؛ تفاؤلاً بالخير دون الشرِّ ، ويُسمَّى ما يعطى المبشِّر على الخبر السّار (بُشْرَى) ؛ هذا حكم إطلاق لفظ البشارة ، فأما إذا استعمل مقيّدًا بالشرِّ ، كان عبارة عن الخبر ، فيكون معنى قوله تعالى: ﭽ ﯛ ﯜﭼ: أي أخبرهم[٧] ، ومن الناس الناس مَنْ يقول : إن أصله فيما يَسُرُّ ويَسُوء ؛ لأن معناه ما يَظهر أولاً في بَشَرَة الوجه من سرورٍ أو غمٍّ ، إلا أنه كثر فيما يُسَرّ ، فصار الإطلاق أخصّ بالخير منه بالشر[٨]. وموضع

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٥٦/١) ، وزاد المسير (٥٣/١) .
(٢) ينظر: تفسير السمرقندي (٦٣/١) ، وزاد المسير (٥٣/١) .
(٣) تفسير السمرقندي (١/ ٦٢) .
(٤) ينظر : تفسير الطبري (١٦٩/١) ، وتفسير القرطبي (٢٣٨/١) .
(٥) من الآية : ٢١ من سورة آل عمران .
(٦) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣٦/١) ، والبحر الرائق (٣٧٣/٤) ، وتفسير القرطبي (٢٣٨/١) .
(٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٤٨/١) ، ولسان العرب (٦١/٤) مادة (بشر) .
(٨) ينظر: تفسير الثعلبي (١٦٩/١) ، وتفسير أبي حيان (٢٥١/١) .

ﭼﭙ ﭙﭼ : نصب ؛ معناه : بأن لهم جنّات ، فلما سقطت الباء أفضى الفعــل إلى (أن) فنصب ، ويجوز أن يكون موضعه خفضًا على المعنى ؛ على ما ذهــب إليــه بعــض النحويين[١] ، وموضع ﭼﭽﭼ نصب (بأن) ، إلا أن تاء جماعــة المؤنــث في الخفــض والنصب على حالةٍ واحدةٍ ؛ كياء الجمع في قولهم : رأيتُ الزيدين ، ومررتُ بالزيدين[٢].

وسُمّيت الجنّة جنّة ؛ لأن الشجرَ يغطيها ، أي : يسترها[٣]. ومعنى ﭼﭙ ﭙ ﭼ : من تحت شجرها ؛ إذ لو كانت الأنهار تجري من تحت أرضها لم تكن للرآئين ظاهرة ، ولا في ذكرها فائدة مع ما جاء في الخبر : أن أنهارَ الجنة تجري في غير شقٍّ ولا أخدودٍ[٤] . [٥]
[٥]

والزَّوج : ضدُّ الفرد ، وهو اسمٌ للواحد الذي له قرين يشتمل على الذكر والأنثى ؛ قال الله تعالى : ﭼﮥ ﮦ ﮧ ﮨﭼ[٦]، ولفظ المطهرة يجمع الطَّهارة كلها ، وهو أبلغ في الكــلام من الطّاهر[٧] ؛ لأن التطهير : التكثير ، والطهارة عبارة عن النظافة .

وفي الآية دليل أن العمل غير الإيمان ؛ لأن الشيءَ لا يعطف على نفسه[٨]. رُويَ عــن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه سُئِلَ : ما بالُ أهل الجنّة عملوا في عُمُرٍ قصير بعملِ أهلِ الجنّــة ؛

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٠١) ، والتبيــان في إعــراب القــرآن (٤١/١) ، وتفسير ابن عطية (١٠٨/١) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٠١ ــ ١٠٢) .

(٣) ينظر : تفسير الثعلبي (١٧٠/١) ، وتفسير السمعاني (٦٠/١) .

(٤) الأخدود : الحفرة تحفرها في الأرض مستطيلة . لسان العرب (١٦٠/٣) مادة (خدد) .

(٥) أخرجه (بنحوه) ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣٩٥٩) رقم (٢٨/٧) ، والطــبري في تفســيره (١٧٠/١) عن مسروق ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٩٥/١) لابن المبــارك ، وابــن أبي شيبة ، وهناد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، والبيهقي عن مسروق .

(٦) من الآية : ١٩ من سورة الأعراف .

(٧) ينظر : لسان العرب (٤/ ٥٠٥) مادة (طهر) .

(٨) قال القرطبي في تفسيره : « قوله تعالى ﭼﭛ ﭜ ﭼ ردٌّ على من يقول : إن الإيمان بمجرده يقتضــي الطاعات ؛ لأنه لو كان ذلك ما أعادها ، فالجنة تنال بالإيمان والعمل=

= الصالح ». ينظر: تفسير ابن عطية (١٠٨/١) ، وتفسير القرطبي (٢٣٨/١) .

فخلدوا في الجنّة ؟ وما بالُ أهلِ النار عملوا في عُمُرٍ قصيرٍ بعملِ أهـــلِ النـــار ؛ فخلـــدوا في النار ؟ قال : « كلٌّ واحدٍ من الفريقين يعتقد علـــى أنَّـــه لـــو عـــاش أبـــدًا عَمِـــل ذلك العمل »[1].

قولهﷻ: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ

فصلٌ منفصلٌ عن الأول لفظًا متصل به معنى ؛ ووجه الاتصال على ما قاله ابن عباس وابن مسعود [رضي الله عنهم] : إنّ الله ذكر في قصة المنافقين مثليْن ، فقالوا : إنّ الله أعلـــى وأجل من أنْ يضربَ هذه الأمثال ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

والثاني : أنه جلَّ ذكره ذكر البعوض وعنى به مثلاً آخر للمنافقين ؛ لأن البعوضـــةَ تَحْيـــا مادامت جائعة ، فإذا شبعت هُلِكَتْ ، فكذلك المنافقون يحيون ما افتقروا فـــإذا اســـتغنوا بطـــــــروا وهُلِكـــــــوا[3] ؛ قـــــال الله تعـــــالى : ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭼ[4]؛ فكأنَّ الله تعالى قال :كيف استحيي من ضرب المثل في المنـــافقين ، وأنـــا أضربهم بالبعوض الذي هو مثلهم .

---

(١) لم أقف على سنده ، والله أعلم بصحته .

(٢) ذكرها الواحدي في أسباب النـــزول (ص : ١٦) عن ابن عباس ــ رضي الله عنـــهما ــ في رواية أبي صالح ، وأخرجه الطبري في تفسيره عن السّدي الكبير (١/١٧٧) ، وأخرجه ابـــن أبي حاتم في تفسيره عنه أيضًا (١/ ٦٨) رقم (٢٧٣) ، وذكره ابن كـــثير في تفســـيره (١/٦٥) ، والسيوطي في الدّر المنثور (١/١٠٣) . والرواية المذكورة عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ واهية ؛ من رواية الكلبي عن أبي صالح ؛ والكلبي متروك ، وأبو صالح ضعيف ، ورجَّح الطبري في تفسيره نسبة هذا القول لأهل النفاق (١/ ١٧٨) ؛ قال الحافظ ابن حجر : « والأرجح نسبة القول لأهل النفاق ؛ لأن كتب أهل الكتاب ممتلئة بضرب الأمثال ، فيبعد أن ينكـــروا مـــا في كتبهم مثله » ؛ العجاب في بيان الأسباب (١/٢٤٧) ، ووَرجَّح هذا القول أيضًا السيوطي في كتابه لباب النقول (١/١٩) .

(٣) أخرجه الطبري (بنحوه) في تفسيره (١/١٧٧) عن الربيع بن أنس ، و ينظر: العجاب في = = بيان الأسباب (١/٢٤٧) ، ولباب النقول (١/١٩) ، وتفسير السمعاني (١/٦١) .

(٤) من الآية : ٤٤ من سورة الأنعام .

والثالث : أن الله تعالى نهى في الآية المتقدمة من اتِخاذ الأنداد لله تعالى ، وأنزلَ قوله تعالى: ﭽﭿ ﮀ ﮁ[١] ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﭼ[٢]، وأنزل : ﭽﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓﮔ ﮕ ﮖﭼ[٣] ، فوصف آلهتهم بالعجز عن استردادِ ما يسلبهم الذباب ، وقال المشركون : إنَّ ربَّ محمدٍ ـ ﷺ ـ يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٤] ؛ أنه يقول : لا يستحيي بضرب المثل بالبعوض والذباب ، وإن البعوضَ والذباب مع صغرهما يُعجزان آلهتهم ويقهرانِها ، ومعنى الآية على ما قاله الكلبي : لا يمتنع ، أو لا يترك[٥] .
وقال مقاتل: لا يمنعه الحياء أن يصفَ الحقَّ شبهًا ما بعوضة فما أكبر منها مثل الذباب وغيره[٦]، وقيل: إن معنى ﭽﮐ ﮑﭼ أي : في الصّغر[٧]؛ يقال : فلان صغير ، فيقال : وفوق ذلك إذا بُولغ في الوصف ؛ لأنَّ الغرضَ في الآية تقليل المثل في الأوثان ، إذ البعوضة نهاية في الصّغر والخفاء والخفة وبها يضرب المثل ، فأما المؤمنون فيعلمون أن المثلَ حقٌّ من ربهم ، وأما الكافرون فيقولون : أي شيءٍ أراد الله تعالى بذكر البعوض والذباب مثلاً ، فقال الله تعالى : قل يا محمد يُضِلُّ بالمثل كثيرًا من الناس ؛ أي : يخذلهم ويهلكهم ، ويرشد بالمثل ويوفق لمعرفته كثيرًا ، وما يُضِلُّ به إلا الخارجين من الطاعة .

---

(١) كُتبت في المخطوط (يدعون) وبها قرأ يعقوب بياء الغيب ، والباقون من القراء العشرة بتاء الخطاب . ينظر: إتحاف فضلاء البشر (٤٠١/١) .
(٢) من الآية : ٧٣ من سورة الحج .
(٣) من الآية : ٤١ من سورة العنكبوت .
(٤) ذكره السمرقندي (بلفظه) في تفسيره (٦٣/١) ، وأخرج (نحوه) الواحدي في أسباب النزول (ص : ١٦) من طريق عبد الغني الثقفي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ ؛ وهذا الطريق ضعَّفه الحافظ ابن حجر في كتابه العجاب في بيان الأسباب (٢٤٦/١) ، وأخرج (نحوه) الطبري في تفسيره (١/ ١٧٧، ١٧٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٩) رقم (٢٧٣) عن قتادة وطريق قتادة مرسل .
(٥) ينظر: تفسير السمرقندي (٦٣/١) ، وتفسير البغوي (٥٨/١) ، وتفسير القرطبي (٢٤٢/١) .
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (٣٨/١) ، وتفسير الثعلبي (١٧٢/١) ، وتفسير البغوي (٥٨/١) .
(٧) ينظر: تفسير الطبري (١٨٠/١) ، وتفسير السمرقندي (٦٣/١) ، وتفسير =
= ابن عطية (١١١/١) .

قال الكلبي : هم اليهود في هذه الآية[١]. وقال قَتَادة : فسقوا فأضلَّهُم/ الله على فسقهم[٢]. والاستحياء ضد الوقاحة : وهو الكفُّ عن المساوئ والقبائح بخلقٍ كريم في المستحيي[٣]، وإنما قال في هذه الآية ﭵ ﭶﭷﭸ ؛ لأن الله تعالى لا يضرب المثل إلا بالحقِّ ، والله تعالى لا يستحيي من الحقِّ ؛ لأن الكرمَ لا يقتضي الامتناع عن وصف ما اقتضت الحكمة إيجاده وتدبيره ، ولا يكون وصف مثل ذلك موضع الاستحياء . ل[١٢/أ]

ومَنْ قرأ ﭵ ﭶﭷ بياء واحدة[٤]؛ فلأنَّ اللفظ إذا كَثُر استعماله تطرق عليه التغيير[٥] . وقد يكون الاستحياء بمعنى : إبقاء الحياة ؛ كما قال الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿﭼ[٦] أي : يستبقونهن للخدمة . وقوله تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ قيل : إن (ما) نكرة[٧]؛ معناه : أن الله لا يستحيي أن يضربَ مثلاً شيئًا من الأشياء بعوضة فما فوقها ؛ قال الله تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ[٨] أي شيءٍ لديّ عتيد ، وذهبَ الزجّاج إلى أن الأصح أن تكونَ (ما) زائدة في الكلام مؤكدة ؛ كما في قوله تعالى : ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭼ[٩] قال : ولا إعراب لها ، فيتخطاها الناصب بالخافض إلى ما بعدها[١٠]. ويقال : إنما نُصِبَ ﭽ ﮃ ﭼ على معنى ما بين بعوضةً إلى ما فوقَها ، فإذا أُلقيَ بين وإلى ؛ نُصِبَ ،

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٨/١) ، وتفسير السمرقندي (٦٤/١) .

(٢) أخرجه الطبري (١٨١/١) ، وابن أبي حاتم (١/ ٧٠) رقم (٢٨٥) في تفسيرهما عن قتادة .

(٣) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن (٧٠/١) .

(٤) قرىء في الشاذ (يستحي) بياء واحدة ، قرأ بها : ابن محيصن ، واتفق القراء العشرة على قراءتها بياءين . ينظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه (ص : ١٢) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢٠٣/١) ، والتبيان في إعراب القرآن (٤٣/١) ، وهمع الهوامع (٤٦٥/٣) .

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٣٢٣/٣) ، وتاج العروس (٣٧ /٥١٣) مادة (حيى) .

(٦) من الآية : ٤٩ من سورة البقرة .

(٧) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (٤٣/١) ، وتفسير ابن عطية (١١١/١) .

(٨) من الآية : ٢٣ من سورة ق .

(٩) من الآية : ١٥٩من سورة آل عمران .

(١٠) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١٠٣/١ ــ ١٠٤) .

كقولهم : مطرنا ما زُبَالةَ[١] فالثعلبيَّةَ[٢]؛ أي : ما بين زُبالَة إلى الثعلبيَّة ، ويقال : هي أحسن الناس ما قَرْنًا فقَدَمًا ؛ يريد : ما بين قَرْنٍ إلى قَدَمٍ [٣]، وقوله تعالى : ﭽ ﮇ ﭼ يقرب معناه من (مهما) ، ولذلك يقتضي الجواب بالفاء كان معناه : مهما يكن المؤمنون فيعلمون ، وكذلك قوله تعالى : ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ[٤] أي : مهما كان سائلٌ فلا يكن منك نَهْرُه . والحقُّ : وضع الشيء في موضعه . وأما ﭽ ﮕ ﭼ في قوله تعالى : ﭽ ﮔ ﮕ ﭼ نصب على القطع عند الكوفيين ، عنوا به قطع الإضافة ؛ أي : بهذا المثل ، فلما قطعت الألف واللام ؛ انتصب على القطع [٥]. وقال البصريّون : منصوبٌ على الحال أي : ما أراد الله تعالى بالمثل في هذه الحالة [٦].

وأصل الضَّلالة ؛ الهلاك ، يقال : ضلَّ الماءُ في اللبن[٧]؛ أي : صار مستهلكًا ، وأكثر ما يستعمل الضَّلال في سلوك الطريق ، فمَنْ سلك الطريق المستقيم فهو مهتدٍ ، ومَنْ عدلَ عنه إلى غيره عدولاً يُهلَك به فهو ضالّ[٨]. وأصل الفسق : الخروج ؛ يقال : فَسَقَتْ الرُّطبة من

---

(١) زُبالَة : منزل بطريق مكة من الكوفة . ينظر: معجم البلدان (١٢٩/٣) ، ولسان العرب (٣٠٠/١١) مادة (زبل) ، و لم أقف على موقعها الحالي في المعاجم الحديثة .

(٢) الثعلبيَّة : هي ماء لبني أسد من أعمال المدينة منسوبة إلى ثعلبة بن مالك ، هو أول مَنْ احتفرها. احتفرها.

ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، تحقيق : مصطفى السقا ، ط٣/ ١٤٠٣هـ ، عالم الكتب / بيروت ، (٣٤١/١) ، وينظر : تاج العروس (٩٤/٢) مادة (ثعلب) ، و لم أقف على موقعها الحالي في المعاجم الحديثة .

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٨٠/١) ، وتفسير أبي حيان (٢٦٧/١) ، وسر صناعة الإعراب (٢٥١/١) .

(٤) الآية : ١٠ من سورة الضحى .

(٥) إعراب القرآن للنحاس (٢٠٤/١) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٠٥/١) . وينظر : إعراب القرآن للنحاس (٢٠٤/١) ، وتفسير وتفسير أبي حيان (٢٦٩/١) .

(٧) مجمع الأمثال (٤١٢/٢) ، ومقاييس اللغة (٣٥٦/٣) مادة (ضل) .

(٨) ينظر: جمهرة اللغة ؛ لأبي بكر محمد بن الحسن بن دُريْد ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، الطبعة :

من قشرها إذا خَرَجَت [١]. وقد اختلفوا في إضافة الضَّلال إلى الله تعالى ابتداء :

قال بعضهم : يجوز ؛ لأنه هو المالك للهدى ولا يستحقه أحد عليه ؛ يُعطي مَنْ يشاء فضلاً منه ، ويَخذل مَنْ يشاء عدلاً منه [٢].

وقال بعضهم : لا يجوز إضافة الإضلال إلى الله تعالى ابتداء ، وإنما يُضلُّ مجازاة للكفر[٣]؛ كما قال الله تعالى: ﭽ □ □ □ □ □ □ ﭼ[٤] ، وقال عزَّ من قائل : ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ[٥]، وقال في هذه الآية ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ ، وهذا قول اختاره جماعة من الأئمة .

وقال الزجّاج : معنى قوله : ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ أي : يدعو به الخلق الكثير إلى التصديق ، فيكذب به الكفار فيُضَلُّون به ، ويزداد المؤمنون به هداية بالتصديق[٦] ، وذهبَ بعض الناس إلى معنى قوله تعالى: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ أي: يسميهم ضُلاّلاً [٧]؛ كما يقال : فَسَّقَت فلانًا ، قال الله ﻷ :ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ[٨] أي : سماه ضـآلاً ؛ قـال

: الأولى (١ / ١٤٧) مادة (ضلل) ، وينظر : لسان العرب (١١/ ٣٩٥) مادة (ضلل) .

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١/٣٨٠) ، ولسان العرب (١٠ / ٣٠٨) (فسق) .

(٢) وإلى هذا ذهب المعتزلة . ينظر : الكشاف (١/١٤٧) ، وتفسير الرازي (٢/١٣٠) ، وينظر: المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف (١/ ٢٠٢) .

(٣) وهذا مذهب أهل السنة والجماعة في أن الإضلال لا يأتي من الله ابتداء ، وإنما يأتي على سبيل العقوبة والجزاء بعد أن صدرت الذنوب من العبد مقدمًا ، وهذا عين العدل منه سبحانه وتعالى . ينظر : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (١٤/٢٧٠) ، وينظر : الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ؛ لعلي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبي الحسن ، تحقيق : د. فوقية حسين محمود ، ط١/ ١٣٩٧ هـ ، دار الأنصار / القاهرة ، (١/١٩٠- ١٩٧) ، وينظر : تفسير القرآن الكريم للشيخ محمد بن صالح العثيمين (١/١٠١) .

(٤) من الآية : ٥ من سورة الصف .

(٥) من الآية : ١٢٧من سورة التوبة .

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/ ١٠٥) .

(٧) وهذا طريق المعتزلة . تفسير السمرقندي (١/٦٤) ، وتفسير الرازي (٢/١٣٠) ، وشرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٤٨) .

(٨) من الآية : ٢٣ من سورة الجاثية .

الكُمَيْتُ [١]:

فطائفةٌ قد أكْفَرُوني بحُبِّكم   وطائفةٌ قالوا : مسيءٌ ومذْنبٌ[٢].

قوله ﻷ: چ ہ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ چ

نعتٌ للفاسقين عند أهل التفسير[٣]، ومَنْ جعله كلامٌ مبتدأٌ وقــف علــى الفاســقين ثم استأنف[٤]. چ ہ ۀ ۀ ہ چ أي يتركوا أمره ووصيته من بعــد تغليظــه وتوكيــده ، والعهد : ما أخذه الله تعالى على النبيين ـ صلوات الله عليهم ـ ومَنْ اتَّبعهم ؛ أن لا يكفروا بالنبيّ ـ ﷺ ـ وبيّنوا نعته وصفته ؛ كما قال الله تعالى : چ گ گ گ ں ں چ[٥]، وقيل : أراد به العهد الذي أخذه من بني آدم من ظهورهم[٦] ؛ حين قال: چ چ چ چ چ چ[٧] ، وقيل : عهد الله تعالى هو الاستدلال على توحيده ، فإن كلَّ ذي تَمْييز إذا تفكر في نفسه ؛ علم أن الله تعالى خالقه ، فكان عليه الإيمان ، فإذا امتنع من الاستدلال بالعقــل فكأنــه نقض العهد[٨] ، ومعنى قوله تعــالى : چ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ چ: أي : يقطعون الرَّحم الذي أمرهم الله تعالى بصلته ،

(١) الكُمَيْت هو : هو الكُمَيْت بن زيد بن خُنَيْس بن مجالد ، كان في أيام بني أميّــة ، ولم يــدرك الدولة العباسية ومات قبلها ، شاعر مقدّم عالم بلغات العرب ، خبير بأيامها من شعراء مُضَــر وألسنتها ، يقال : ما جمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ما جمع الكُمَيْت ، مات سنة ١٢٦ هـ . ينظر : الأغاني (٣/١٧) ، وخزانة الأدب (١٥٣/١) .

(٢) الكُمَيْت بن زيد شاعر العصر المرواني ، وقصائده الهاشميات ؛ تأليف : عبد المتعال الصــعيدي ، دار الفكر العربي / القاهرة ، (ص:١٢٠) ، وينظر : خزانة الأدب (٢٩٠/٤) .

(٣) ينظر : تفسير الطبري (١ / ١٨٢) ، وتفسير السمرقندي (٦٤/١) .

(٤) التبيان في إعراب القرآن (١ / ٤٤) ، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١ / ٢٦) .

(٥) من الآية : ٨١ من سورة آل عمران .

(٦) تفسير الطبري (١ / ١٨٣) ، وتفسير السمرقندي (١ / ٦٤) .

(٧) من الآية : ١٧٢ من سورة الأعراف .

(٨) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٠٦) ، وتفسير ابن عطية (١ / ١١٣) ، وتفســير القرطــبي (١ / ٢٤٦) ، وتفسير الرازي (٢ / ١١٣) .

قتلوا أنفسَهم ، وأخرجوا فريقًا من ديارهم ، وقال مُقاتل ـ رحمه الله ـ : الـرَّحم الـذي بينهم/ وبين النبيّ ـ ﷺ ـ ، فإن العرب كانت من ولد إسماعيل ـ عليه السلام ـ ، واليهود من ولد إسحاق ـ عليه السلام ـ [1] . وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : أنهم أمروا أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فآمنوا ببعضٍ ، ولم يؤمنوا ببعضٍ ، وقد أمر الله تعالى بالوصل[2]، ويقال : يقطعون حبلهم من حبل المسلمين ، ويصلون حبلهم بحبل الكفار[3]. ﭼ ﭽ : يعصون ، ويأمرون غيرهم بالمعصية والكفر ، أهل هذه الصفة هم المغبونون في الآخرة ؛ غبنوا أنفسَهم ، وأموالَهم ، وأهليَهم ، وخدمَهم ، ومنازلَهم في الجنة ؛ وورثهم المؤمنون ، قال ابن عباس [رضي الله عنهما] : وذلك أنه ليس من مؤمنٍ ولا كافرٍ إلا وله أهلٌ ومنزلٌ وخدمٌ في الجنة ، فإن أطاعَ الله تعالى ؛ أتى أهلَه ومنزلَه وخدمَه ، وإن عصى الله تعالى ؛ غَبَنَ أهلَه ومنزلَه وخدمَه ؛ وورثهم المؤمنون[4]؛ قال الله تعالى: ﭼﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄﭼ[5] ، وقال في صفات أهل الجنة : ﭼﮱ ﯓ ﭼ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙﭼ[6].

ل[١٢/ب]

---

(١) لم أقف عليه في تفسيره ، وينظر: تفسير السمرقندي (١ / ٦٥) .

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١/٣٩) ، وتفسير السمرقندي (١/ ٦٥) ، وتفسير زاد المسير (١ / ٥٧) .

(٣) ينظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ؛ لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، تحقيق : الشيخ زكريا عميران ، ط١/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان ، (١ / ٢٠٧) .

(٤) وهذا القول عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من رواية الكلبي عن أبي صالح . تفسير السمرقندي (١/ ٦٥) ، وأخرج ابن جرير الطبري عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا وله منزلان ؛ منزل في الجنة ، ومنزل في النار ، وإن مات ودخل النار ، ورث أهل الجنة منزله ؛ فذلك قوله تعالى : ﭼﮱ ﯓ ﭼ » (١٨/ ٦) وهي رواية ضعيفة . وينظر : الدر المنثور (٦/٩٠) وعزاه إلى سعيد بن منصور ، وابن ماجه ، وابن المنذر ، وابن جرير ، وابن مردويه ، والبيهقي .

(٥) من الآية : ١٥ من سورة الزمر .

(٦) الآيتان : ١٠- ١١ من سورة المؤمنون .

والنقض : إفساد ما أبرمته من غزلٍ ، أو بناءٍ ، أو غيرِ ذلك[(١)]. والعهــد : التقــدم إلى الإنسان في أمرٍ والوصية إليه ، ومنه عهد الأمر إلى الولاة [(٢)]. والميثاق : هو الذي يُوثَق به الشيء[(٣)]؛ كما أن الميقاتَ : اسمٌ للذي يُؤَقت به . والمصداق : ما يُصَدَّق به القــول[(٤)]. والخاسر : الذي ذهب رأس ماله ، والخسران : ذهاب رأس المال [(٥)].

قوله ﷻ : ﭼ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ □ □ □ □ □ ﭼ

فراجعٌ إلى قوله تعالى : ﭼ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ[(٦)] . ومعنى الآية : كيف تجحدون وحدانية الله تعالى بعد قيامِ الحجَّةِ عليكم بوجوب طاعته ، وكثرة إنعامه عليكم ، وإحسانه إلــيكم ، وقد كنتم نطفًا في أصلاب آبائكم ، فأحياكم في أرحام أمهاتكم ، وأخــرجكم نســمًا صغارًا ، ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ، ثم يحييكم للبعث ، ثم إليه ترجعون في الآخــرة ، فيجزيكم بإعمالكم .

قال الزجّاج : ﭼ ﯙ ﭼ استفهام في معنى التعجب والإنكار[(٧)]، كأنه جلَّ وعــلا يقــول للخلق وللمؤمنين : ألا تتعجبون أنهم يكفرون بالله تعالى ، وقد ثبتت حجَّــة الله تعــالى عليهم ؛ بإقرارهم أن الله تعالى خلقهم و لم يكونوا شيئًا ؛ كما قال الله تعالى: ﭼ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ[(٨)] ،والعرب تُسمِّي كلَّ أمرٍ خاملٍ : ميْتًا ، وكلَّ أمرٍ مشهورٍ مشهورٍ : حيًّا ، والإحياء أول نعمة أنعم الله تعالى بها على العباد ، وقيل: إنمــا سَــمَّى الله تعالى النطف في الأرحام أمواتًا ؛ لأنها لا تكون ميتة إلا بعد مفارقتها الحيّ[(٩)] على تأويــل

---

(١) ينظر: العين (٥ /٥٠) مادة (نقض) ، ولسان العرب (٧ / ٢٤٢) مادة (نقض) .

(٢) ينظر: العين (١/ ١٠٢) مادة (عهد) ، ولسان العرب (٣ /٣١١) مادة (عهد) .

(٣) ينظر: مختار الصحاح (١/ ٢٩٥) مادة (وثق) .

(٤) ينظر: لسان العرب (١٠ / ١٩٥) مادة (صدق) .

(٥) ينظر: العين (٤ /١٩٥) مادة (خسر) ، ولسان العـــــرب (٤/ ٢٣٨) مادة (خسر) .

(٦) من الآية : ٢١ من سورة البقرة .

(٧) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٠٧) .

(٨) الآية : ١ من سورة الإنسان .

(٩) و لم أقف على مصدر هذا التأويل ، والله أعلم . وينظر : تفسير الطبري (١٨٨/١) .

قوله ــ ﷺ ــ : « ما أُبِينَ من الحيِّ فهو ميِّتٌ »[١]. وقيل : ﭽﯣ ﯤﭼ أي : ترابًا[٢]؛كما [٢]؛كما قال الله تعالى : ﭽﭖ ﭗ ﭘ ﭙﭼ[٣] أي : ابتدأ خلقكم من طينٍ ، وقد تُسَمَّى تُسَمَّى الأرض ميْتة .

والواو في قوله تعالى : ﭽﯣ ﭼ للحال ، ويجوز إضمار (قد) إذا كان في الكلام دلــيلاً عليه[٤]؛ كما في قوله تعالى : ﭽﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ[٥] أي : قد حَصِرت صدورهم ، وعن أبي أبي صالح [٦] في قوله تعالى : ﭽﯦ ﯧﭼ قال : في القبر ، ﭽ ﭼ للبعث[٧] ؛ وهذا وهذا أحمَدُ التأويلات ؛ لما فيه من إثبات المساءلة في القبر [٨]، وفي الآية ما يدل على ذلك ؛ ؛ لأن قوله تعالى: ﭽ   ﭼ يقتضي التراخي عن قوله تعالى: ﭽﯦ ﯧﭼ ، فأمّا

---

(١) أخرج (نحوه) أبو داود في سننه (١١١/٣) رقم (٢٨٥٨) ، كتاب الصيد ، بَاب في صَيْدٍ قُطِعَ قُطِعَ منه قِطْعَةٌ ، وأخرجه (بنحوه) أيضاً الترمذي في سننه كتاب الأطعمة ، بَاب ما قُطِعَ مــن الْحَيِّ فَهُوَ مَيِّتٌ ، وقال : « وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ » (٧٤/٤) رقم (١٤٨٠) ، وأخرج (نحوه) الحاكم في مستدركه ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه » . ووافقه عليه الذهبي ؛ (٢٦٦/٤) رقم (٧٥٩٧) كتاب الذبائح ؛ وجميعهم أخرجوه عــن أبي واقد الليثي ــ رضي الله عنه ــ .

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١/ ١٨٧) ، وتفسير ابن أبي حاتم (٧٣/١) رقم (٣٠١) ، وتفسير ابــن كثير (١ /٦٨) .

(٣) من الآية : ٢ من سورة الأنعام .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٠٧) .

(٥) من الآية : ٩٠ من سورة النساء .

(٦) ينظر ترجمته (ص: ٥٥) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٨٧) عن السّدي عن أبي صالح ، وينظر : تفسير ابن عطيــة (١ / ١١٤) ، وتفسير ابن كثير (١ /٦٨) .

(٨) وافق المصنِّف ــ رحمه الله ــ في هذه المسألة سلفَ هذه الأمة وأئمتها في إثبات الــــمُساءلة في القبر ، وأن الميت يُسأل فيُنعم أو يُعذَّب ، وأن سؤال الملَكيْن ثابت يجب الإيمان به ؛ للأدلة الثابتة على ذلك من الكتاب والسنة . ينظر : شرح العقيدة الطحاويــة (ص :٣٩٩) ، والمســائل الاعتزالية في تفسير الكشاف (١/ ٣٠٠-٣٠١) .

على التأويليْن الأوليْن فغير مستنكرٍ أن يكونَ إحدى الحالات مسكوتًا عنها ، ألا ترى أنّه عام في مَنْ أُميت في الدنيا ثم أُحيي ، وفي مَنْ مات و لم يَحيَ في الدنيا ؛ قال الله تعـــالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ
ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ[١] الآية ، وقال في قوم موسى ــ عليه السلام ــ : ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ
ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ[٢] .

فإن قيل : كيف يجوز أن يكونَ الخطاب في هذه الآية لليهود على ما قال الكلبي ــ رحمه الله ــ وهم لم يكفروا بالله تعالى [٣] ؟

قيل: لــمّا أنكروا نبوّة محمد ــ ﷺ ــ ، وزعموا أن القرآنَ الذي لا يأتي به إلا الله تعـــالى أنه من عند غير الله فقد كفروا باللهِ تعالى .

قوله ﻷ: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ ﭼ

يَذكرُ نعمة أخرى ذكرها الله تعالى ؛ ليعبدوه بها ، ومعنى الآية : قدَّر خلقهـــا لكـــم إذ الأشياءِ كلها لم تُخلق في ذلك الوقت ؛ لأن الأشجارَ ، والثمارَ ، والدَّوابَ ونحوها تخلـــق وقتًا بعد وقتٍ ، ثم عَمد وقصَد إلى خلق السماء ؛ كما يقال : قد فرغ الأمير مـــن بلـــدِ كذا ، ثم استوى إلى بلدِ كذا ، والاستواء إذا عُدِّي بإلى كان معناه : القصد[٤]. وعن ابن عباس / ــ رضي الله عنهما ـــ أن معناه : صعّد أَمرَه[٥] ، فأما الاستواء على الشيء ؛ كما في قوله تعالى : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ[٦] فمعناه : الاستيلاء وهو استواء مُلكٍ وقدرةٍ لا

ل[١٣/أ]

---

(١) من الآية : ٢٤٣ من سورة البقرة .

(٢) من الآيتين : ٥٥ ، ٥٦ من سورة البقرة .

(٣) تفسير السمرقندي (١/ ٦٦) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١ / ١٠٧) ، وتفسير السمرقندي (١ / ٥٣٧) ، ولسان العرب العرب (١٤/ ٤١٤) مادة (سوا) .

(٥) وتفسير ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ من رواية الكلــبي . ينظــر: تفســير الســمرقندي (١ / ٥٣٧) ، وتفسير القرطبي (١/ ٢٥٤) .

(٦) جزء من عدة آيات : الآية : ٥٤ من سورة الأعراف ، والآية : ٣ من سورة يونس ، والآية : ٢ من سورة الرعد ، و الآية : ٥٩ من سورة الفرقان ، والآية : ٤ من سورة السجدة ، والآية:

الاستواء الذي هو من هجوعٍ وقعودٍ[١].

قال الشاعر[٢] :

قد استوى بِشْرٌ[٣] على العِراق   من غيرِ سيفٍ ودمٍ مُهراق

وقال الكلبي : في هذه الآية معنى استوى إلى السماء : صَعِدَ [٤] ؛ وهو قول أهل التشـــبيه

٤ من سورة الحديد .

(١) وهذا قول المعتزلة ، والجهمية ، والحرورية ، والأشاعرة . ينظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٤٠٣/١٦) ، و شرح قصيدة ابن القيم (١/ ٤٤١_ ٤٤٢) ، ومختصر الصـــواعق المرسلة (١٢٧/٢- ١٤٦) ، ومعارج القبول (٢٠٢/١) .
وأما أهل السّنة فيقولون : الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف يجب الإيمان به ، ويوكل العلم فيه إلى الله ، وسُئل مالك بن أنس عن قوله : ﴿ک ک ک گ﴾ [من الآية : ٥٤ من سورة =

= الأعراف] كيف استوى ؟ قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، و الإيمان بـــه واجب ، و السؤال عنه بدعة ، و ما أراك إلا ضالاًّ ، ثم أَمَرَ به فأُخْرِج . ينظر: كتب ورســـائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٤٠٠/١٦) ، وشرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٨٠) ، وتيســـير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، مكتبة الرياض الحديثة / الرياض (٦٧٤/١) .

(٢) قائل البيت : الأخطل التغلبي . و لم أقف عليه في ديوانه ، وذُكِـــر في : تفســـير ابـــن عطيـــة (١١٥/١) ، ولسان العرب (١٤/ ٤١٤) مادة (سوا) ، وتفسير أبي حيان (٢٨٠/١) .

(٣) بِشْر بن مروان هو : بِشْر بن مروان الأموي بن الحكم ابـــن أبي العـــاص ابـــن أميّـــة أخـــو عبد الملك بن مروان ، ولِيَ إمرة العراقين لأخيه عبد الملك ، وكان سمحًـــا ، جـــوادًا ، طليـــق الوجه ، مات سنة ٧٥هـــ . ينظر: البداية والنهاية (٧/٩) ، وتاريخ مدينة دمشق (١٠ /٢٥٣) رقم (٩٠١) .

(٤) ينظر: تفسير السمرقندي (١ / ٥٣٧) ، وتفسير القرطبي (١/ ٢٥٤) ، وفتح القدير (٦٢/١) .

[١]. ﭼ ﭼ : خلقهن سبعَ سموات . ﭼ ﯨ   ﯨ ﯿ ﯿ ﭼ من خلقهن ، وغير ذلك من مصالح العباد ، وما يؤول إليه من عواقب أمورهم . ﭼﯿ ﭼ أي : عالم .

والغرض من الآية _ والله أعلم _ أن الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ، وخلق السموات قادر على أن يحييكم بعد الموت ، فإن خلق السموات والأرض أعظم من خلقكم . رُويَ أن الله لما ذكر البعثَ في الآية المتقدمة عَرَفَ اليهود ذلك فسكتوا، [وأنكر][٢] المشركون وقالوا : ومَنْ يستطيع أن يحيينا بعد الموت ، فأنزلَ الله تعالى هذه الآية[٣].

ولفظ السماء في الآية واحد ، ومعناه معنى الجمع ، فجمع ما بعده على المعنى ، ويجوز أن يكون واحدًا يراد به الجمع ؛ كما يقال : كثرُ الدِّرهم والدِّينار في أيدي الناس ، ويجوز أن يكون السماء جمعًا واحدها سماوة ؛ كما يقال : جرادة وجرادات وجراد[٤].

فإن قيل : هذه الآية تقتضي أن خلق السماء بعد خلق الأرض ، وقد قال الله تعالى في آية أخرى ما يدل على أن خلق السماء قبل خلق الأرض حيث قال جلَّ ذكره: ﭼﮋ ﮋ ﮌ ﮌ ﮍﮍ ﮎ ﭼ ، ﭼﮒ ﮒ ﭼ[٥] إلى قوله: ﭼﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ[٦] ؟

قيل : مجموع الآيتين يقتضي أن خلقَ الأرض كان قبل خلق السماء ، إلا أن بسطَ الأرض كان بعد خلق السماء ؛ لأن معنى ﭼﮖ ﭼ : بسطها بعد ما كانت ربوة مجتمعةَ الأجزاء ، وذلك أن الله تعالى كان ولا مكان ، ثم خلق الهواء وهو المكان ، ثم خلق العرش ؛ كما

---

(١) وهذا قول مَنْ يدعي أنّ مَنْ أثبت صفة من صفات الله تعالى على ما يليق به سبحانه ؛ فإنّ ذلك يستلزم عندهم في دعواهم وزعمهم الباطل ؛ التجسيم والتشبيه ؛ ولا شكَّ أنّ زعمهم هذا مردود وباطل . ينظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم ، ط١/١٣٩٨هـ ، (١٧٧/٣) .

(٢) كُتِبت في النسخة (ب) : وأنكروا .

(٣) وهذا الرواية ضعيفة من رواية محمد بن السائب الكلبي . تفسير السمرقندي (١/ ٦٦) .

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجّاج (١ / ١٠٧) ، ولسان العرب (١٤/ ٣٩٨) مادة (سما) .

(٥) الآية : ٢٧ ــ ومن الآية ٢٨ من سورة النازعات .

(٦) الآية : ٣٠ من سورة النازعات .

قال تعالى : ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ[١] .

سُئِل ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ على أيِّ شيءٍ كان الماء قال : على متنِ الريح[٢].

رُويَ في الخبر : أن الله تعالى خلق تحت الريح جوهرًا كيف شاء ، ثم جعل فيه ماء ، ثم جرت النار على الماء ، فثخن الماء ، فظهر على الماء زبد ، وارتفع منه دخان ، فجعل الله تعالى الزبد أرضًا والدخان سماء ؛ كما قال الله تعالى : ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﭼ[٣]، خلق الله تعالى الأرض في يومين ، وقضى السماء سبع سموات في يومين ، وبارك في الأرض ودحاها في يومين ، فكان خلق الأرض وبسطها في أربعة أيام سواءً للسّائلين[٤]، والله أعلم .

قوله ﻷ: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭦ ﭧﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭰ ﭼ

عطفٌ على معنى الآيات المتقدمة ؛ لأن فيما سبق تعريضًا بذكر النَّعم نحو قوله تعالى : ﭽ ﮀ ﮁ ﭼ، وفي قوله : ﭽ   ﭼ ، وهذه الآية في ذكر نعمة ابتداء خلق أبينا آدم ــ عليه السلام ــ كأنه قال جلَّ ذكره : واذكر يا محمد إذ قال ربُّك للملائكة حين أراد ابتداء خلق آدم ــ عليه السلام ــ ﭽ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭙ ﭼ أي : خالق في الأرض آدم ــ عليه السلام ــ وذريته . قالوا : أتجعل فيها مَنْ يَعصيك ويَصبُّ الدماء ، ونحن نبرئك من السّوء ، ونصلي لك ، ونطهر أنفسنا لك ، ويقال معنى ﭽ ﭦ ﭧ ﭼ أي : ننسبُك إلى القدُس وهو الطهارة[٥] ، واللام زائدة[١]؛ كما في قوله تعالى : ﭽ ﯞ ﯟ

(١) من الآية : ٧ من سورة هود .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري (١٢ / ٥) ، وابن أبي حاتم (٦ / ٢٠٠٥) رقم (١٠٦٩٧) في تفسيرهما عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وينظر : تفسير السمرقندي (١٣٩/٢) ؛ والأعمش يدلس ؛ قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة ، حافظ ، عارف بالقراءات ، لكنه يدلس » (١/ ٢٥٤) رقم (٢٦١٥) .

(٣) من الآية : ١١ من سورة فصلت .

(٤) تفسير السمرقندي (٣ / ٢١٠) ، ولم أقف على سنده .

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢١١/١) ، وتفسير السمرقندي (١/ ٦٧) ، وتفسير البغوي (١/ ٦١) .

ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[٢]. قال الله تعالى : ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ أي : أعلم أنه سيكون فيهم أنبياء ، ـ صلوات الله عليهم ـ ، وقوم صالحون ـ يرحمهم الله ـ ؛ يسبحون بحمدي ، ويقَدِسون لي ، ويطيعون أمري .

والقصد في هذا ـ والله أعلم ـ ما رُويَ أن الله تعالى لما خلق الأرضَ ، جعل سكانها الجنّ بني الجان على ما قال الله تعالى : ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ ، ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ[٣]، وجعل سكان السّموات الملائكة ؛ لكل سماء ملائكة على حِدة ؛ لأهل كلِّ سماءٍ عبادة أهون من التي فوقها ، فالتي هي فوق أشد عبادةً وأكثر تسبيحًا وصلاةً من الذين تحتهم ، ما فيها موضع قدمٍ إلا وفيه مَلَك لله تعالى ساجد ، أو قائم ، أو راكع ، وكان إبليس مع جندٍ من الملائكة في سماء الدنيا من أهون أهل السموات عملاً ، وكان رئيسهم ، وكان اسمه (عزازيل)[٤]، وكانوا خزان الجنان معهم مقاليد الجنان ،

---

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١ / ٤٧) ، وإملاء ما منَّ به الرحمن (٢٨/١) ؛ الأصل أن لكل حرف من كتاب الله فائدة ومعنى ، ووصفها بكونها (زائدة) يتنافى مع أصلها .

(٢) من الآية : ٧٢ من سورة النمل .

(٣) الآيتان : ٢٦ ـ ٢٧ من سورة الحجر .

(٤) قال الشنقيطي في أضواء البيان : « وما يذكره المفسرون عن جماعة من السلف كابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وغيره من أنه كان من أشراف الملائكة ، ومن خزان الجنّة ، وأنه كان يدبر أمر السماء الدنيا ، وأنه كان اسمه (عزازيل) ؛ كلُّه من الإسرائيليات التي لا معوّل عليها ، وأظهر الحجج في المسألة حجة مَنْ قال : إنه غير ملك ؛ لأن قوله تعالى : : ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ [من الآية : ٥٠ من سورة الكهف] ، وهو أظهر شيء في الموضوع من نصوص الوحي والعلم عند الله تعالى » أ هـ (٢٩١/٣) . وقال ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ ﮌ ﮍ ﮎ ﴾ : « وقد رُويَ في هذا آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل ؛ لينظر فيها ، والله أعلم بحالِ كثير منها ، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحقِّ الذي بأيدينا ، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفاظ المتقنين ؛ الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة

وكان يقال لهم: الجنُّ ؛ اُشتقَّ لهم اسمٌ من الجنَّة ، فلما أفسدت الجنُّ بنو الجانِّ فيما بينهم ، وسفكوا / الدماء ، وعملوا بالمعاصي ، بعث الله تعالى إبليس مع ل[١٣/ب]
جنده ، فهبطوا إلى الأرض ، وأجلُّوا منها الجنَّ بني الجانِّ ، وألحقوهم بجزائر البحور، وسكن إبليس مع الجند الذين معه في الأرض ، وخُفِّفَت العبادة عنهم ، وأَمِنُوا المقتَ فيها ، فلمّا أراد الله تعالى أن يخلقَ آدم ــ عليه السلام ــ وذريته ، قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس في الأرض : ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭼ أي : إني رافعكم منها ، فوجدوا من ذلك وجْدًا [١] شديدًا ، فقالوا : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ كما فعلت الجنُّ بنو الجانِّ ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ إلى آخر الآية[٢]. وذهب بعض أهل العلم إلى أن قول من يقول خُفِفَت العبادة عن الملائكة ؛ واهٍ ضعيف[٣]؛ لأن الله تعالى وصف الملائكة بخلاف ذلك حيث قال جلَّ ذكره : ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ[٤] ، وقال عزَّ من قائلٍ: ﭽ □ □ □ □ ﭼ[٥] . و(إِذْ) : اسمٌ معناه الوقت يؤذن بوقوع الفعل في ما مضى من الزمان [٦]، ومحله

والعلماء ، والسّادة ، والأتقياء ، والبررة ، والنجباء من الجهابذة النقاد ، والحفاظ الجياد ؛ الذين دونوا الحديث وحرروه وبينوا حسنه من ضعيفه ، ومنكره من موضوعه ، ومتروكه ، ومكذوبه ... الخ » (٩٠/٣) .

(١) وَجْدًا شديدًا : أي حُزْنًا شديدًا . ينظر : لسان العرب (٤٤٦/٣) مادة (وجد) .

(٢) تفسير السمرقندي (١/ ٦٧) ، وأخرج ابن جرير الطبري في تفسيره (بنحوه) (١ /٢٠١) عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ وهي رواية ضعيفة ؛ قال السيوطي في الإتقان (٤ / ٤٩٨) : « وطريق الضَّحاك بن مزاحم عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ منقطعة ؛ فإن الضَّحاك لم يلقه ... » الخ ، وينظر : ، تفسير الثعلبي (١٧٥/١) ، وتفسير البغوي (١/ ٦٠) ، وتفسير ابن كثير (٧٨/١) .

(٣) لم أقف عليه في كتب التفسير ، وينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ؛ لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، مكتبة الخانجي / القاهرة ، (١٤٥/٣) ، ومعارج القبول (٦٥٦/٢) .

(٤) الآية : ٢٠ من سورة الأنبياء .

(٥) من الآية : ٣٨ من سورة فصلت .

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٠٨) ، وتفسير أبي حيان (١ / ٢٨٤) ، وتفسير الرازي (١٤٧/٢) .

نصب بإضمار الفعل قبله ، وأما (إذا) اسم يُستعمل للوقت في المستقبل . والملائكة جمع مَلأَكٍ ؛ كما قال الشاعر :

فليست لأنسي ولكن لملأك..

ثم طُرِحَت حركة الهمزة على الساكن قبلها فصار ملَك ، ويقال : إن ملَكًا كان في الأصل ؛ مألُكًا من الأَلُوكِ ؛ وهي الرِّسَالة [١]؛ كما قال الشاعر[٢]:

وغُلامٍ أرسلَتْهُ أمَّهُ بألُوكٍ فَبَذَلْنا ما سَأل

وقال آخر[٣] :

أبلغ النّعمانَ عني مَأْلُكاً أنَّه قد طالَ حبسي وانتظاري

فقُدِّمت اللام وأُخِّرت الهمزة . ومعنى المَلَك : الرسول ، يقال : أَلِكْني إلى فلان : أي أرسلني إليه ، وقيل: إن الملائكة جمع على مفاعِلة ؛ كالمهالِبَة والمسامِعَة[٤].

والخليفة : اسمٌ لـمَنْ يَحكم في الأرض بالعدلِ [٥]؛ كما قال الله تعالى: ﴿ □ □ □ □ □ □ ی ﴾[٦] ، ويقال معنى الخليفة : الخلفاء ، وهو فعيل بمعنى فاعل ؛ لأن بني آدم خلفوا الملائكة في الأرض[٧] ، ويقال : إنما سُمِّيَ آدم ــ عليه السلام ــ وذريته خلفاء ؛ لأنه إذا انقرض منهم أمُّة خلفهم أخرى[٨] ، ودخول الهاء في الخليفة ؛ للمبالغة

(١) ينظر: لسان العرب (١٠ /٤٨١) مادة (لأك) ، وتاج العروس (٤٨/٢٧) مادة (ألك) .

(٢) قائل البيت : لَبيد بن ربيعة . وهو في ديوانه ، دار صادر / بيروت ، (ص : ١٤٠) ، وينظر: خزانة الأدب (٣٠٠/٩) .

(٣) قائل البيت : عدي بن زيد . ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (٢٥٥/٢) ، والعقد الفريد (٢٢٤/٥) ، وخزانة الأدب (٥١٥/٨) .

(٤) ينظر: لسان العرب (١٠ / ٣٩٤) مادة (ألك) ، وتاج العروس (٥١/٢٧) مادة (ألك) .

(٥) ينظر : لسان العرب (٩/ ٨٤) مادة (خلف) .

(٦) من الآية : ٢٦ من سورة ص .

(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٧٠) ، وأضواء البيان (١/ ٢٠) .

(٨) ينظر: تفسير الطبري (١ /٢٠٠) ، وتفسير ابن عطية (١/ ١١٧) .

والتأكيد ، وهو اسمٌ إذا أُطلِق تناول مَنْ يخلف الغير ، ويتبع مقامَه في جميع ما أُسنِد إليه ، فإن كان قائمًا مقام الغير في بعض الأمور ، قيل : إنه خليفته في كذا ؛ فيقيد الخلافة في الأمر الذي هو قائم فيه مقامه . والسّفك والسّفح واحد وهو : الصبُّ ؛ إلا أنَّ السّفكَ أكثر ما يستعمل في صبِّ الدِّماء[١]. والتّسبيح : التفعيل من السباحة[٢]؛ وذلك أن يَفيضَ الإنسانُ في ذكر الله تعالى كإفاضة السابح بجوارحه في لجة البحر ، ويقال : أصل التّسبيح التبعيد ؛ لأنَّ الذي يسبح يباعد بين طرفيه ، والمسبح يبعِّد اسم الله عن الشريك والولد[٣]. ورُوِيَ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : « سبحانَ الله بـراءةُ الله مـن السُّـوء » [٤] ، وتُسمَّى الصلاة سُبحة ، يقال : فرغتُ من سُبحتي أي : من صلاتي[٥] ، وتسبيح الملائكة قولهم : سبحانَ ذي الملك والملكوت ، سبحانَ ذي العزَّة والجبروت ، سبحانَ الحيِّ الذي لا يموت[٦]. والتقديس : التطهير ، ويقال : للسطل[٧] : القدَس ؛ لأنه يتطهر منه ، ومنه بيت المقدس أي : المكان الذي يُتطَهر فيه من الذُّنوب ، ويُسمَّى الأسقُف : المقدس ؛

---

(١) ينظر: العين (٥ /٣١٥) مادة (سفك) ، ولسان العرب (١٠/ ٤٣٩) مادة (سفك) .

(٢) ينظر: لسان العرب (٢ / ٤٧٢) مادة (سبح) .

(٣) ينظر : الكشاف (١/١٥٤) ، وتفسير البيضاوي (١/ ٢٤) ، وفتح القدير (١/ ٦٣) .

(٤) أخرجه (بنحوه) الحاكم في مستدركه (١/٦٨٠) (١٨٤٨) كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وقال الذهبي في التلخيص معلقاً (١/ ٥٠٢) : « بل لم يصح » ، وأخرجه (بنحوه) أيضًا سليمان بن أحمد الطبراني في كتابه الدعاء ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ١٤١٣هـ - دار الكتب العلمية / بيروت ، (١/٤٩٨) رقم (١٧٥١) باب تفسير التسبيح ؛ وكلاهما أخرجاه عن طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ .

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/ ١١٠) ، ولسان العرب (٢/٤٧٣) مادة (سبح) .

(٦) ينظر: تفسير الطبري (١/٢١٠) ، وتفسير الرازي (٢/١٦٠) ، وتفسير السيوطي (١/١١٤) .

(٧) جاء في حاشية الأصل ، وفي حاشية النسخة (ب) : (السّطل : طست صغير على هيئة التَّوْر التَّوْر لها عروة ، والقدَس : السطل بلغة أهل الحجاز . ص لفظاً) . ينظر : الصحاح (١٩٨/٢) مادة (سطل) ، ولسان العرب (١١ / ٣٣٥) مادة (سطل) .

كأهم يقولون : هو مطهرٌ ؛ تيمُّنًا به وتبرُّكًا [١]. والألف في قوله تعالى : ﭽ ﭙ ﭼ ألف إيجاب[٢]؛ كما قال الله تعالى : ﭽ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ[٣] ؛ قال جرير[٤]:

ألستم خيرَ مَنْ رَكِبَ المطايَا وأندى العالمينَ بطونِ راحٍ[٥]

أي : أنتم خيرُ مَنْ رَكِبَ المطايَا . ويقال : إن قول الملائكة ﭽ ﭙ ﭼ ؛ استفهام بمعنى الاستعلام ، والتعرف عن الحكمة ، لا على وجه التعجب والإنكار ، لكن على التّألم والتوجّع[٦]. وقال الله تعالى : ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ أي : أعلم من وجه المصلحة في خلقي ، وما يكون فيه من الخيرِ والرُّشدِ وحُسْنِ التدبير والحفظِ ما لا تعلمون أنتم ، ويقال معناه : أعلم أنَّ فيكم أشرارًا أيضًا مثل إبليس ومَنْ تابعه ، كما أنَّ في بني آدم أشرارًا [٧]، ويقال معناه : إني ابتَلي من تظنون أنَّه مطيع فيؤدي الابتلاء إلى المعصية ، نحو ما اُبتليَ به إبليس فعصى ، وابتَلي مَنْ تظنون به المعصية فيطيع[٨] ، والله أعلم . وقد رُوِيَ في بعض الروايات أن الملائكة لما قالوا : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ خرجت نارٌ من الحجب ، فأحرقت عشرةَ آلاف منهم ، وأعرض الربُّ ﻷ عن مَنْ بقيَ منهم حتى طافوا حول

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٣٠٣/٨) مادة (قدس) ، ولسان العرب (٦ /١٦٩) مادة (قدس) .

(٢) ينظر: تفسير الماوردي (١/ ٩٦) ، وتفسير الرازي (٢ /١٥٥) .

(٣) من الآية : ٣٦ من سورة الزمر .

(٤) جَرِير هو : أبا حَزْرَة ــ بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة ــ جَرِير بن الـخَطَفَي ، كان شاعرًا خيّرًا يُفضَّل على الفرزدق والأخطل ، من شعراء= = الإسلام الذين لم يدركوا الجاهلية ، مات سنة ١١٠ هـ . ينظر: طبقات فحول الشعراء ؛ لمحمد ابن سلام الجمحي ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني / جدة ، (٢٩٧/٢) (٣٨٨) ، وينظر : البداية والنهاية (٢٦٠/٩) .

(٥) ديوان جرير ؛ شرح : محمد بن حبيب ، تحقيق : د. نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف بمصر ، ، (٨٥/١) ، وينظر: جمهرة أشعار العرب (٧١/١) ، وخزانة الأدب (٢٨٦/١١) .

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/ ١٠٩) ، وزاد المسير (١ / ٦) .

(٧) لم أقف عليه ؛ وهذا القول مردودٌ باطلٌ فهو خلاف ما أخبر الله تبارك وتعالى في وصفهم بقوله : ﭽ ﭼ [من الآية : ٦ من سورة التحريم] .

(٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٠٩) ، وزاد المسير (١ / ٦٢) .

الكرسي سبع سنين يقولون : لبيك اللهم لبيك ؛ اعتذارًا إليك[١].

قوله ﷻ: ﭽﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﭼ[٢] ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ/ المعنى ــ والله أعلم ــ: أَلْهَم الله تعالى آدم ــ عليه السلام ــ أسماء الأجناس كلها من الدَّوابِ ، والطيورِ ، والأمتعةِ ، حتى البقرَ ، والبعيرَ ، والشاةَ ، حتى القَصعةَ [٣]، والسُّكُرُّجةَ [٤]. قال قال ابن عباس [رضي الله عنهما] ومجاهد : ل[١٤/أ]

علّمه الله تعالى جميع اللغات على اختلافها[٥]، ويقال : علّمه أسماء معاني كل جنس هذا

(١) أخرج (بنحوه) ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٧٨) رقم (٣٢٨) عن عبد الله بن أبي يحيى بن أبي كثير ، وقال ابن كثير في تفسيره معقبًا على هذا الكلام (١/ ٧٢) : « هذا إسرائيلي منكر » .

(٢) جاء في حاشية الأصل ، وفي حاشية النسخة (ب) : (أسماء الملائكة ، عن الربيع بن زيد : أسماء ذريته) . ينظر: تفسير الثعلبي (١/١٧٥) ، وتفسير البغوي (١/٦١) ، وتفسير القرطبي (١/٢٨٢) ، ونسب ابن كثير هذا القول في تفسيره عن عبد الرحمن بن زيد (١/٧٤) ، وجاء أيضًا في الحاشية : (الحكيم الترمذي : أسماء الله ﷻ) ، ولم أقف عليه .
وذُكر أيضًا في الحاشية : (ابن عباس [رضي الله عنهما] : أسماء ما قضى من خلقه ، ثم عرض الأشخاص المخلوقة عين) ؛ ولعله ــ والله أعلم ــ يقصد بكلمة (عين) : أي ذات الأشخاص المخلوقة ، وذكر ابن عطية في تفسيره نحوه فقال : « واختلف المتأولون : هل عرض على الملائكة أشخاص الأسماء ، أو الأسماء دون الأشخاص ؟ فقال ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ وغيره : عرض الأشخاص ، وقال ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وغيره : عرض الأسماء » (١ /١٢٠) .

(٣) القَصْعَة :كالصَّحفة إلا أن القصعة تشبع العشرة ، والصحفة تشبع الخمسة . ينظر: لسان العرب العرب (٨ /٢٧٤) مادة (قصع) ، ومختار الصحاح (١/١٥٠) مادة (صحف) .

(٤) سُكُرُّجَة ــ بضم السين والكاف والراء والتشديد ــ: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم . ينظر : لسان العرب (٢ / ٢٩٩) مادة (سكرج) ، والمعجم الوسيط (١/٤٣٩) مادة (سكر) .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي روق عن الضَّحاك عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ

يصلح لكذا ، وهذا يصلح لكذا ؛ لأن الفائدة في المعاني دون مجرد الأسماء[١]. وقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ يعني : أصحاب الأسماء ، فقال : أخبروني بأسماء هؤلاء الأجنـاس ، ﭽﭽﭼ ﮃﭼ في مقالتكم ودعواكم ؛ علمًا بالخليفة أنها تُفسِد في الأرض ، أو تغيّر وجهَهَا . والأُدْمَةُ هي : كلُّ لونٍ مشبه بلون التراب[٢]. وذكر الخليل : أنَّ الأُدْمَةَ في الناس بشـرةٌ من سوادٍ[٣] ، وإنما قال : ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ لأنه كان فيهم مَنْ يعقل ؛ لأن الله تعالى علَّمه أسماء الملائكة ، وأسماء مَنْ يكون في ذريته من الأنبياء _ صلوات الله عليهم _ ، وأسماء الجـنِّ ، فغلب في الآية اسم العقلاء ؛ كما قال الله تعالى: ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭼ[٤] الآيـة . وفي حرف أبيّ بن كعب [رضي الله عنه] (ثم عرضها) ، وفي [حرف][٥] ابن مسعود [رضي الله عنه] (ثم عرضهن)[٦].

فإن قال قائل قوله ﷻ: ﭽ ﭾﭿ ﭼ أمرُ تكليفٍ أم لا ، وهل يجوز تكليفُ مالا يُطاق ؟

قلنا : من الناس مَنْ استدل بهذه الآية على جواز تكليف مالا يُطاق ، والصحيح أن هـذا

قال : « علَّم الله آدم الأسماء كلها ؛ وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ، ودابَّة ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وجبل ، وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرهـا » (١ /٢١٥) ؛ وطريق الضحاك عن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ منقطع ، وأخرجه أيضًا الطبري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله : ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹﭼ قال : « علَّمه اسم كـل شـيء » (١ /٢١٥) ، وينظر: تفسير البغوي (١ / ٦١) ، وتفسير ابن عطية (١/ ١٢٠) ،=

= وتفسير الرازي (٢ / ١٦٢) .

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/ ١١١) ، وتفسير القرطبي (١ /٢٨٢) .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/ ١١٢) ، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٥١) مادة (أدم) ، ولسان العرب (١٢/١٢) مادة (أدم) .

(٣) ينظر : العين (٨٨/٨) مادة (أدم) .

(٤) من الآية : ٤٥ من سورة النور .

(٥) ليست في النسخة (ب) .

(٦) وهاتان القراءتان من القراءات الشاذة ، واتفـق القـراء العشـرة علـى قراءتها بـالجمع : ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ . مختصر شواذ القرآن لابن خالويه (ص : ١٢) ، وينظـر: تفسـير السـمرقندي (١ /٦٨) ، وتفسير ابن عطيـة (١ /١٢٠) .

ليس بتكليف ؛ لكنه تنبيه للملائكة على أهم لما عجزوا عن معرفة باطن ما شاهدوه ، كانوا عن معرفة باطن ما غاب عنهم ؛ وهو أمر الخليفة أبعَد وأعجَز ، وهذا كمَنْ يُلقي المسألة على مَنْ يتعلَّم العلمَ منه ، فيقول : أخبرني بجواب هذه المسألة ؟ ولا يريد بذلك أن يأمره بجواب المسألة ؛ لأنه يعلم أن الذي ألقى عليه المسألة لا يَعْلَم جوابها ، ولكن يقصد بذلك أن يقرِّر عند مَنْ ألقى المسألة عليه أنه لا يعرف جوابها ؛ ليكون أشدُّ حرصًا على تَعَلُّم تلك المسألة .

قوله ﷻ: ﭽ ﭼ ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ

أي : قالت الملائكة تنـزيهًا لك ربّنا من أن يكونَ أحدٌ يعلم الغيبَ سواك ، ﭽﮊﮋﮌﭼ بمعلوماتك ، ﭽ ﮍ ﮎ ﮏﭼ ، ﭽﮐ ﮑ ﮒ ﭼ بخلقك ، ﭽﮓﭼ في أمرك إذ حكمت أن تجعلَ في الأرض خليفة سوانا ؛ ولو اقتصروا على قولهم : ﭽﮉ ﮊ ﮋﭼ لكان كافيًا في الجواب ، إلا أنهم قالوا : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﭼ ؛ ليتضمن هذا الجواب الاعتراف بالتعليم ، وقوله تعالى : ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ أي : إنك أنت العليم من غير تعليم ، فأما ﭽﮓﭼ فهو الذي يدرك الأشياء بحقائِقها ، ويضعُها في مواضعها فيُحكِمُها .

قولـــه ﷻ: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ

أي : قال الله تعالى يا آدم أخبر الملائكة بأسماء هذه الأجناس ، فلما أخبرهم آدمُ ــ عليه السلام ــ قال الله تعالى للملائكة : ألم أقل لكم : إني أعلم سرَّ أهلِ السموات والأرض ، وأعلم ما أظهرتم من الطاعة لله تعالى ، وما أضمر إبليس من المعصية لله تعالى في الأمر بالطاعة لآدمَ ــ عليه السلام ــ [1]؛ وذلك أن الله تعالى لما صوّر آدم ــ عليه السلام ــ ، ورآه إبليس قال للملائكة الذين معه : أرأيتم هذا الذي لم تروا من الخلائق مثله ، إن أمركم الله بطاعته ماذا تصنعون ؟ قالوا : نطيع أمر ربّنا ، ونفعل ما يأمرنا ، فأضمر الخبث في نفسه ؛ لأن فُضِّلتُ عليه لأهلكنَّه ، ولئن فُضِّل عليّ لأطْغيَنَّه ؛ فذلك قوله تعالى: ﭽﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﭼ .

وفي هذه الآيةِ دلالة على ثبوت العِلم وفضيلته ؛ لأن الله تعالى لما أراد إعلامَ الملائكة

(١) ينظر : تفسير السمرقندي (٦٩/١) .

فضيلَة آدم ــ عليه السلام ــ ؛ علَّمه الأسماء بمعانيها حتى أخبرَ الملائكة بها ، و لم تكن الملائكة علمت منها شيئًا مما علمه آدمُ ــ عليه السلام ــ ، فاعترفوا له بالفضل ، فأمرهم الله تعالى بالسجود لآدمَ ــ عليه السلام ــ ؛ تعظيمًا لعلمه واحترامًا له ؛ كما قال جلَّ ذكره في الآية التي بعد هذه الآيات وهي : قوله ﷻ: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ عطفٌ على ما تقدم ، والمعنى: واذكروا إذ قلنا للملائكة الذين كانوا في الأرض اسجدوا لآدم ؛ قال قَتادة : سجدة تحية وتكرمة له ، وعبادة لله تعالى لا لأجل آدمَ ــ عليه السلام ــ ، قال : كسجود أخوة يوسف له ــ عليه السلام ــ [1] ؛ كما قال الله تعالى : ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ[2] ؛ وذلك أن التحية بالسجود كانت جائزةً لـمَنْ يستحق ضربًا من التعظيم ؛ كالمصافحةِ والمعانقةِ فيما بيننا ، فأمّا العبادة فلا تكون إلا لله تعالى[3].

والحكمة في أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدمَ ــ عليه السلام ــ ؛ إظهار فضيلته لفضل علمه ، وإظهار ما في نفس إبليس من المعصية لله تعالى ، ثم نُسِخَ السجود على وجه التحية لغير الله تعالى لما رُويَ عن رسول الله ــ ﷺ ــ / أنه قال : « لو جازَ لأحدٍ أنْ يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أنْ تسجُدَ لزوجها »[4]. ل[١٤/ب]

(١) تفسير ابن عطية (١٢٤/١) وذكر هذا القول عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس ــ ﭫ ــ و لم أقف على سندٍ عنهم ، وأخرج (بنحوه) الطبري في تفسيره عن قتادة : « فكانت الطاعة لله والسجدة لآدمَ ، أكرم اللهُ آدمَ أن أسجدَ لـه ملائكته » (١ /٢٢٩) ، وينظر : تفسير السمعاني (٦٧/١) ، وتفسير الرازي (١٩٤/٢) ، وتفسير أبي حيان (٣٠٢/١) .

(٢) من الآية : ١٠٠ من سورة يوسف .

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٣٨/١) .

(٤) أخرجه (بنحوه) الترمذي في سننه عن يحي ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة ــ ﭬ ــ (٤٦٥/٣) رقم (١١٥٩) كتاب الرضاع ، بَاب ما جاء في حَقِّ الزَّوْجِ على الْمَرْأَةِ ، وقال : « حَدِيثُ أبي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ » ، وأخرجه (بنحوه) النسائي في سننه الكبرى عن أنس بن مالك ــ ﭬ ــ (٣٦٣/٥) رقم (٩١٤٧) كتاب عشرة النساء ، باب حقِّ الرجل على المرأة ، وأخرجه (بنحوه) أيضًا ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن أبي أوفى ــ ﭬ ــ=

= (٥٩٥/١) رقم (١٨٥٣) كتاب النكاح ، بَاب حَقِّ الزَّوْجِ على الْمَرْأَةِ ، وأخرج الحاكم في

وذهب بعض الناس إلى أن السجودَ كان لله تعالى ، وكان آدم بمنـــزلة القبلة لهـــم[١] .
وليس ذلك بشيء ؛ لأنه يوجبُ أن لا يكون لآدم ــ عليه السلام ــ بذلك حـــظٌّ مـــن التفضيل والتكرمة ، وهذا خلاف ظاهر القرآن ؛ قال الله تعالى حكايةً عن إبليس: چڑک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گچ[٢] ، وأما قوله تعالى: چه ه ه چ يقول : سجدت الملائكة كلُّهم إلا الذي صار إبليس ، وكان إبليس في السماء اسمه (عزازيل) ، فلما غضب الله عليه قال : يا إبليسُ ؛ كما يقال : يا خبيثُ[٣]. وقوله : چ ے چ : امتنع عن السجود ، چ ے چ أي : تعظَّم في نفسه . چ ۓ ۓ ڭ چ في علم الله تعالى ؛ علم الله في الأزل أنه يُختَم له بالكفر ، وقيل معناه : صار من الكافرين[٤]؛ كما في قوله تعـــالى : چ ۆ ۆ چ[٥]. والسجود في اللغة : عبارة عن الانحناء والميلان ؛ يقال : سجدت النخلـــة إذا مالت[٦]. وقد اُختُصَّ في الشّريعة بفعلٍ مخصوصٍ يتضمن التعظيم لله تعالى ؛ وهـــو وضـــع الجبين على الأرض في الصلاة ، وعند قراءة آيات السجود[٧].
والاستكبار : رفع النفس فوق منـــزلتها . واسمُ إبليس أعجميٌّ معرب لذلك لا ينصرف

المستدرك على الصحيحين (بنحوه) عن يحي ابن أبي كثير عن أبي سلمة عـــن أبي هريـــرة ــ رضي الله عنه ــ (٤ /١٩٠) رقم (٧٣٢٤) كتاب البر والصلة ، وقال : « حديث صحيح على شـــرط الشيخين و لم يخرجاه » ، ووافقه عليه الذهبي .

(١) تفسير ابن عطية ، وذكر هذا القول عن الشعبي (١٢٤/١) ، وينظر: تفسير البغوي (٦٣/١) ، وتفسير الرازي (١٩٤/٢) لم يُنسب لأحد .
(٢) من الآيتين : ٦١ – ٦٢ من سورة الإسراء .
(٣) تفسير الثعلبي (١٨١/١) .
(٤) تفسير السمرقندي (٧٠/١) ، وتفسير الرازي (٢١٧/٢) ، وتفسير البيضاوي (٢٥/١) .
(٥) من الآية : ٤٣ من سورة هود .
(٦) ينظر: ومشارق الأنوار (٢٠٧/٢) مادة (سجد) ، وينظر : لسان العرب (١/ ٢٠٦) مـــادة (سجد) .
(٧) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ؛ لعلاء الدين الكاساني ، ط٢/ ١٩٨٢م ، دار الكتاب=
= العربي / بيروت ، (١٦٢/١) ، وينظر : الذخيرة ؛ لشهاب الدين أحمد بن إدريـــس القـــرافي ، تحقيق : محمد حجي ، ١٩٩٤م – دار الغرب / بيروت ، (١٩١/٢) .

عند نحاة البصرة [١] ، وقال الكوفيون : هو إفعيل من أبلس ؛ أي : يئس من رحمـــة الله ؛ كإدريس من درس يدرس ؛ فللتعريف ، والهمزة الداخلة في الأفعال لم تنصـــرف بخـــلاف الإكليل[٢] ، وظاهر الآية يقتضي أن إبليسَ كان من الملائكة ، لأن الله تعالى استثناه منهم ، وإلى هذا ذهب بعض أهل العلم[٣] ، وقال : إنما قـــال جـــلَّ ذكـــره في آيـــة أخـــرى : ﭼﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ[٤]؛ لأنه كان من خزان الجنان اشتق لهم اسمٌ من الجنّة ، وقيل : سُمُّوا جنًّا ؛ لاستتارهم عن أبصار الناس[٥]، ويقال : معنى قوله تعالى: ﭼ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ أي : كان ضالاً كما أن الجنَّ كانوا ضالّين فجعله منهم[٦]؛ كما قال في قصته : ﭼﯓ ﭼﯓ ﯔ ﯕ ﭼ ، وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن إبليس كان من الجنِّ بني الجـــانِّ ، ومن الحجَّة لهم أنه كان مخلوقًـــا مـــن النـــار[٧]؛ كمـــا قـــال تعـــالى حكايـــةً عنـــه : ﭼﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭼ[٨]، وله نسل وذرية ، والملائكة مخلوقون من النور لانسل لهم ولا ذرية ، وإنما قال : ﭼﮃ ﮄ ﭼ ؛ لأنه أُمِرَ مع الملائكة في الســـجود لآدم ــ عليه السلام ــ ، فسجد المأمورون كلُّهم إلا هو ، ويجوز أن يكون هذا الاستثناء منقطعًا ؛

---

(١) ينظر: مجاز القرآن (١/ ٣٨) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/١١٤) .

(٢) ينظر : تفسير ابـــن عطيـــة (١/١٢٥) ، وتفســـير أبي حيـــان (١ / ٣٠١) ، وروح المعـــاني (١/٢٢٩) .

(٣) تفسير الطبري (١/٢٢٤) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/ ١١٤) ، وتفسير الســـمعاني (١/٦٧) ، وينظر: تفسير الرازي (٢/١٩٥) ، وتفسير القرطبي (١/٢٩٤) .

(٤) من الآية : ٥٠ من سورة الكهف .

(٥) تفسير الطبري (١/ ٢٢٦) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/ ١١٤) .

(٧) أخرج الطبري في تفسيره (١/٢٢٦) عن الحسن البصري ــ رحمه الله ــ قال : « ما كان إبليس إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجنّ كما أن آدم أصل الإنس » ، وقال ابن كثير في تفسيره (١/٧٨) معلقًا على رواية الحسن : « وهذا إسناد صحيح عن الحسن ». وينظـــر: تفسير البغوي (١ /٦٣) ، وتفسير الرازي (٢/١٩٥) ، وتفسير النسفي (١/٤٢) ، وأضـــواء البيان (٣/٢٩٠) .

(٨) من الآية : ١٢ من سورة الأعراف .

كقوله تعالى : ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﭼ[١]؛ قال الشاعر[٢]:

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليَعَافِيرُ[٣] وإلا العِيسُ[٤]

وقيل : سبب كونه مع الملائكة ؛ أن الملائكة لما حاربت الجنَّ سُبِيَ إبليس صغيرًا ، فنشأ مع الملائكة ، فلما خلق الله تعالى آدم ــ عليه السلام ــ ، وأُمِرِ إبليس بالسجود له ؛ امتَنعَ وكفر وعاد إلى أصله[٥] ؛ وقد رجَّح القاضي أبو عاصم[٦] هذا القول الأخير ؛ بأن قالَ : إن الملائكةَ رسلُ الله تعالى ، ولا يجوز عليهم الفسوق والكبائر فكيف الكفر ! .[٧]

---

(١) من الآية : ١٥٧ من سورة النساء .

(٢) قائل البيت : جران العود . انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (٣٩٢/٢) ، وخزانة الأدب (١٨/١٠) .

(٣) اليَعَافِيرُ : تيوس الظباء . لسان العرب (٤/ ٥٨٥) مادة (عفر) ، وتاج العروس (٨٥/١٣) مادة مادة (عفر) .

(٤) العِيسُ : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . لسان العرب (٦ /١٥٢) مادة (عيس) ، والقاموس المحيط (٧٢٢/١) مادة (عيس) .

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٢٦/١) ، وتفسير القرطبي (٢٩٤/١) ، وتفسير ابن كثير (٧٨/١) ، وتفسير السيوطي (١/ ٤٠٣) .

(٦) القاضي أبو عاصم هو : محمد بن أحمد العامري المروزي ؛ من كبار أصحاب أبي حنيفة ــ رحمه الله ــ في الفقه والتفسير والفُتيا ، وكان من الأفاضل الكبار ، له تصانيف وشروح للفقه مقبولة ، مات سنة ٤١٥هـ . ينظر : الأنساب (٤ / ١١٨) ، وطبقات الحنفية (٢ /٢٥٦) رقم (١١٤) .

(٧) قال الشنقيطي في أضواء البيان : « وأظهر الحجج في المسألة حجَّة مَنْ قال : إنه غير ملك ؛ لأن لأن قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ ﴾ [من الآية : ٥٠ من سورة الكهف] ، وهو أظهر شيءٍ في الموضوع من نصوصِ الوحي عند الله تعالى » (٢٩١/٣) ، وسُئِل العلامة الشيخ=

= محمد بن صالح العثيمين ــ رحمه الله ــ هل إبليس من الملائكة ؟

فأجاب بقوله : إبليس ليس من الملائكة ؛ لأن إبليس خُلِق من نار ، والملائكة خُلِقت من نور ؛ ولأن طبيعة إبليس غير طبيعة الملائكة ؛ فالملائكة وصفهم الله تعالى بأنهم :

ﭽ ﭼ[من آية : ٦ من سورة التحريم] ، ووصفهم الله تعالى بقوله : ﭽ ﮥ

قوله ﴿ﻷ: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ

معناه ــ والله أعلم ــ قلنا : يا آدم اجعل الجنّة مأوى نفسك وزوجك ، وكُلا من الجنّة موسّعًا عليكما حيث شئتما بلا عَناء ، ﭽ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ بالأكل منها ، ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ لأنفسكما لأكْلِكما من الشجرة .

قال ابن عباس [رضي الله عنهما] : بعث الله ﷻ ملائكة من السماء إلى آدمَ ، ومعهم سرير من ذهبٍ ، فحملوه على السّرير حتى صعدوا به إلى السماء[1] ضحوةً يوم الجمعة ، فأنزلوه وسط الفردوس ، ولباسُه النور ، وعليه إكليلٌ[2] من ذهبٍ ؛ مكَللٌ بالدُّر والياقوت ، وخلخالان مكَللان بالدُّر والياقوت ، ومنطقةٌ مكَللة ، وسواران مكَللان[3] .

قال الضّحاك : دخل آدم ــ عليه السلام ــ الجنّة عند الضحوة ، وأُخرِج منها ما بين الصّلاتين ، ومكث فيها نصف يوم من أيام الآخرة وهو : خمسمائة عام[4] .

والزَّوج في اللغة : القرين ، كان الأَصْمَعيّ[5] يؤثر ترك الهاء في الزوجة ، ويرى أن

ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ [من الآية ١٩من سورة الأنبياء] ، أما الشيطان فإنه على العكس من ذلك ؛ فإنه كان مستكبرًا ؛ كما قال تعالى : ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ [من آية : ٣٤ من سورة البقرة] ، ولكن لما وجَّه الخطاب إلى الملائكة بالسجود لآدم ، وكان إبليس من بينهم ــ أي مشاركًا معهم في العبادة ، وإنْ كان قلبه ــ والعياذ بالله ــ منطويًا على الكفر والاستكبار صار الخطاب متوجهًا إلى الجميع ، فلهذا صح استثناؤه منهم ، فقال تعالى : ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ ، وإلا فأصله ليس منهم بلا شك ؛ كما قال تعالى : ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ [من الآية : ٥٠ من سورة الكهف] ، والله أعلم . مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢٨٦/١) .

(١) تفسير السمرقندي (١/ ٧٠) ، ولم أقف على سنده .

(٢) الإكليل : شبه عصابة مزينة بالجواهر . لسان العرب (١١ / ٥٩٥) مادة (كلل) .

(٣) القصة من الإسرائيليات كما يظهر ، ولا يُقبَل في تفسير كتاب الله إلا ما جاء فيه رواية صحيحة ثابتة ، وإلا فالأولى أن نضرب عنها صفحًا لاسيما فيما يتعلق بعلم الغيب الذي لا يعلم به إلا=
= الله ﷻ .

(٤) وهو قول منسوب لابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ؛ ولم أقف على سنده . ينظر: زاد المسير (١/ ٦٩) ، وتفسير أبي حيان (٣١٥/١) .

(٥) الأَصْمَعيّ هو : أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، صاحب اللغة ، والنحو ،

أكثر كلام العرب عليه[١]. والرَّغد : العيش الواسع الكثير الذي لايَعْيِيك طلبه[٢].

والظلم : وضع الشيء في غير موضعهِ[٣]؛ من ذلك قولهم : مَنْ أَشْبه أباه فما ظَلَم : أي ما وُضِعَ الشَّبهُ في غير موضعه[٤] ، ويقال : الظلم إدخال الضّرر على مَنْ لا يستحقه من غير عوض .

وقد اختلفوا في الشجرة المذكورة في الآية : قال الكلبي : كانت الشجرة أحسنِ أشجار الجنّة ؛ عليها كلُّ نوع من الأطعمة ، ابتلاه الله/ بها ، ونهاه عن أكلها[٥]. وعن ابن عباس [رضي الله عنهما] : أنها كانت شجرة الحِنطة ؛ أي : السُّنبلة[٦] ؛ رُوِيَ في بعض الروايات : أنَّ الحبَّةَ منها كانت ككُلْيةِ البقرة ؛ ألينُ من الزّبد ، وأحلى من الشَّهد ، وأشدُّ بياضًا من الثلج[٧] ، وعن عليّ ـ [رضي الله عنه] ـ : أنها كانت شجرة الكَرْم [٨]، وهي رواية أخرى عن ابن عباس [رضي الله عنهما] ، وعن قَتادة أنه قال :

ل[١٥/أ]

والغريب والأخبار ، له مؤلفات ومصنفات عديدة منها : غريب القرآن ، وخَلق الإنسان ، والهمز المقصور والممدود ، وغيرها كثير مات سنة : ٢١٦هـ . ينظر: تاريخ بغداد (١٠ / ٤١٠) ، وبغية الوعاة (١١٢/٢) رقم (١٥٧٣) .

(١) لسان العرب (٢/ ٢٩٢) مادة (زوج) ، وتاج العروس (٢٠/٦) مادة (زوج) .

(٢) ينظر: لسان العرب (٣ /١٨٠) مادة (رغد) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٧٦/١) .

(٣) ينظر: لسان العرب (١٢ /٣٧٣) مادة (ظلم) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٧٦/١) .

(٤) جمهرة الأمثال (٢٤٤/٢) ، ومجمع الأمثال (٣٠٠/٢) .

(٥) لم أقف على مصدره .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١ /٢٣١) عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ، وينظر : تفسير القرطبي (١ /٣٠٥) ، وتفسير السيوطي (١٢٩/١) .

(٧) أخرج (نحوه) الطبري في تفسيره (٢٣١/١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره أيضًا (١ /٨٦) رقم (٣٧٨) عن وهب بن منبه ، وينظر: تفسير ابن عطية (١٢٧/١) ، وتفسير السيوطي (١٢٩/١) .

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٢/١) من طريق السّدي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ، وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ ، وناس من الصحابة ، وأخرجه أيضًا عن السّدي ، وجعدة بن هبيرة ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦/١) رقم (٣٧٦) من طريق السّدي عن

هي شجرة التين[١] ، ومنهم مَنْ قال : شجرة العِلْم ، أو شجرة الخلد ، على أن إبليس قال لهما : مَنْ أكل منها عَلِمَ الخير والشرِّ ، أو عَلِمَ عِلْمَ الملائكة ، وقال : مَنْ أكل منها لم يَمُت[٢].

واختلفوا في كيفية أكل آدم ـ عليه السلام ـ من تلك الشجرة وأصح الأقاويل ـ والله أعلم ـ ؛ أن آدمَ ـ عليه السلام ـ أخطأ في الاستدلال والتأويل ، ولم يتعمَّد ارتكاب المنهي عنه ؛ لأنه لا يجوز على الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ أن يقصدوا إلى فعل المنهي مع العلم بالنهي ، فيخرجون به عن ولاية الله تعالى ، ويستحقون الغضب منه ؛ لأنهم لا يأمنون أن يكونَ ذلك الفعل كبيرة ، وإذا استحقوا الغضب من الله لم يجب على الناس متابعتهم ، ولا النظر في معجزاتهم ، بل وَجبَ عليهم التبري منهم ، فظهر أن آدم ـ عليه السلام ـ لم يرتكب النّهي مع العلم بالنّهي ، ولكن أخطأ في التأويل، ووجه خطائه في التأويل : أن الله تعالى قد كان نهاه عن أكل جنس تلك الشجرة ، إلا أن الإشارة بالنهي إلى شجرةٍ معينة ، فحَسِبَ آدم ـ عليه السلام ـ أنه لم يُنهَ عن جنس تلك الشجرة ، وإنما نُهيَ عن الشجرة التي وقعت الإشارة إليها ، وكانت الإشارة بالنهي إلى

ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ، وينظر: تفسير السمرقندي (١/ ٧١) ، وتفسير ابن كثير (١/٨٠) .

(١) تفسير السمرقندي (١/ ٧١) عن قتادة ، وينظر : تفسير البغوي (١/٦٣) ، وتفسير ابن عطية (١/١٢٧) ، وتفسير القرطبي (١/٣٠٥) ؛ منسوب عن ابن جريج .

(٢) قال الطبري معقبًا على هذه الأقوال : « والصواب في ذلك أن يقال : إن الله جلَّ ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها ، فأكلا منها ، ولا علم عندنا بأيِّ شجرة كانت على التعيين ؛ لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ولا من السنة الصحيحة ، وقد قيل : كانت شجرة البر ، وقيل : كانت شجرة العنب ، وقيل : كانت شجرة التين ، وجائز أن تكون واحدةً منها ، وذلك علمٌ إذا عُلِم لم ينفع العالم به علمه ، وإن جهله جاهلٌ لم يضره جهله به » (١ /٢٣٣) . وقال البيضاوي في تفسيره : « والأولى أن لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية ؛ لعدم توقف ما عليه » (١/٤) ، وينظر: زاد المسير (١ / ٦٦) ، وتفسير ابن عطية (١/١٢٧) ، وتفسير ابن كثير (١/٨٠) .

شيءٍ بعينه ، ويكون المراد به تعميم ذلك الجنس بالنهي ؛ كما رُويَ أن النبيَّ ـ ﷺ ـ أخذ الذهبَ بإحدى يديه ، والحريرَ بالأخرى ، وقال : « هذان محرمان على ذكورِ أمّتي حِلٌّ لإناثها »[1] ؛ لم يرد بهذا تحريم عين ما كان وضعه على كفه فقط ؛ إنما أراد تحريم ذلك الجنس .

فإن قال قائل : كيف صحَّ هذا التأويل ، وقد ذكَّر إبليسُ آدمَ النهي حيث قال له: چوۋ ۋ ې ې ۉ ۉ □ □ □ □ چ[2]، ولا يكون في التذكير أبلغ من هذا ؟

قيل له : لا يجوز أن يقال : إن آدم ـ عليه السلام ـ وَاقَعَ الذّنب حين قال له إبليس هذا القول ، إذ لو أكل في تلك الحالة للغرض الذي ذكره إبليس ؛ لكان الله تعالى يُعَاتبه على الأكل لهذا الغرض أكثر مما يُعَاتبه على نفس الأكل ، فلما عاتبَه الله تعالى على نفس الأكل و لم يُعاتبه على ذلك ، بل إنه لم يأكل من الشجرة حين قال له إبليس ذلك ، ولكن لما امتنع من الأكل من تلك الشجرة المشار بالنهي إليها ، قال إبليس لآدمَ ـ عليه السلام ـ وحواء : إن لم تَأْكُلا من هذه الشّجرة بعينها فكُلا من جنسها ، فإن الله تعالى إنما نهاكما عن عينِ تلك الشّجرة ، فأكلا من جنس تلك الشّجرة ، و لم يأكلا من عينها ، ويَحتمل

---

(١) أخرجه (بنحوه) أبو داود في سننه عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ (٤/٥٠) رقم (٤٠٥٧) كتاب اللباس ، بَاب فِي الْحَرِير لِلنِّسَاءِ ، وأخرجه الترمذي في سننه (بنحوه) عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ كِتَاب اللِّبَاسِ ، بَاب ما جاء فِي الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ ، وقال : « وحديث أبي موسى حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ » (٤/٢١٧) رقم (١٧٢٠) ، وأخرجه النسائي في سننه الكبرى (بنحوه) عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ (٥/٤٣٦) رقم (٩٤٤٥) كتاب الزينة ، باب تحريم الذهب على الرجال ، وأخرجه ابن ماجه في سننه (بنحوه) أيضاً عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ (٢/١١٨٩) رقم (٣٥٩٥) كتاب اللباس ، بَاب لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ لِلنِّسَاءِ .

وعلَّق أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي على الرواية التي رويت عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ أخذ حريرًا في يمينه ، وأخذ ذهبًا في شماله ، ثم قال ﷺ : « هذان حرام على ذكور أمتي حلال لإناثها » ؛ فقال ـ رحمه الله ـ : « وهو فاسد الإسناد » ؛ كتاب معتصر المختصر من مشكل الآثار ، عالم الكتب / مكتبة المتنبي / مكتبة سعد الدين – بيروت / القاهرة / دمشق ، (٢/٢١٤) .

(٢) من الآية : ٢٠ من سورة الأعراف .

أنه لما وافق غرور إبليس ووسوسته في نفسه حين اغترّ بقوله ، فأغفـل النـهي [و][(١)] نسيه ، أو تأوَّل أنه نَهي كراهية أو نحو ذلك ، وهذا الضّرب من السهو والإغفـال غـير موضوع عن الأنبياء ــ صلوات الله عليهم ــ ؛ لعظم أخطارهم ، وارتفاع أقدارهم ، ولمـا شاهدوا من الآيات والبيّنات ، ولأنهم القدوة والأئمة ، وقد قال الله تعالى: ﴿ ﴾ إلى أن قال : ﴿ ﴾[(٢)] ؛ وذلك لعظمِ أخطارهن ، وقال ــ عليه السلام ــ :« إني أُوعَكُ [(٣)] كما يُوعَكُ رَجُلانِ منكم »[(٤)] ، ومثل هذا السهو والغفلة لا يمكن التحفظ منه ، وليس يخرج عن قدرة العباد ، إلا أن الله تعالى وضعه بلطفه ورحمته عن المؤمنين ، كما وضع سائر الصغائر ، ولو أخذهم به لكان ذلك عدلاً .

فإن قيل : كيف يصح قولكم أن ما فعله آدم كان صغيرة و لم يكن كبيرة ، وقد عاقبه الله تعالى بنـزعِ اللباس منه ، وبالإخراج من الجنّة ، وبالإهباط إلى الأرض ؟

قيل عنه جوابان : أحدهما : ما ذكرنا أن الأنبياء ــ صلوات الله عليهم ــ يُؤاخَذون بمـا لا يُؤاخَذ به سائر المؤمنين ، والثاني : أن ذلك لم يكن عقوبة ؛ لكن كان محنة وابتلاء ، إذ الله تعالى لا يعاقب أنبياءه ــ عليهم السلام ـــ وإن كان قد يمتحنهم كما يمتحنهم بـالأمراض والأسقام ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ﴾[(٥)] إلى أن قال: ﴿

---

(١) كُتِبت في النسخة (ب) : (أو) بدلاً من (و) .

(٢) من الآيتين : ٣٠ – ٣٢ من سورة الأحزاب .

(٣) الوَعْك : الحُمَّى . لسان العرب (١٠ /٥١٤) مادة (وعك) .

(٤) الحديث (بلفظه) في الصحيحين ؛ أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٣٩/٥) رقـم (٥٣٢٤) كتاب المرضى ، بَاب أَشَدُّ الناس بَلاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأول فالأول ، وباب وضع اليد على المريض . رقم (٥٣٣٦) ، وأخرجه مسلم في صحيحه (١٩٩١/٤) رقم (٢٥٧١) كتاب البر والصـلة والآداب ، بَاب ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ من مَرَضٍ أو حُزْنٍ ؛ وكلاهما عـن عبـد الله بـن مسعود ــ رضي الله عنه ــ .

(٥) من الآية : ٣٧ من سورة البقرة .

ٻ ٻٻچ[١]، فأخبر أنه أمره بالهبوط بعد التوبة ، والتّائب لا يجوز أن يعاقبه الله تعالى .

فإن قيل : إن كان ما فعله صغيرة لا يجب به العقوبة ؛ فلماذا تاب عنه ــ عليه السلام ــ ؟

قيل : إن الصغيرة يجب التّوبة عنها وإن وقعت مغفورة ؛ لأنه إذا ترك التّوبة منها مع العلم بأنها معصية كان مصرًّا عليها ، والإصرار على المعصية نوع إدمان على المعصية ./ ل[١٥/ب]

فإن قيل : إذا وقعت الصغيرة مغفورة فما معنى : تاب الله عليه ، وكيف غفر له ؟

قلنا : إن الله تعالى يفعل الغفران ؛ كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم ــ عليه السلام ــ : چ ی ی ی ی چ[٢]، وإن كانت خطيئة إبراهيم ــ عليه السلام ــ مغفورة .

قوله ﻷ: چ ی ی چ

المعنى ــ والله أعلم ــ استزلّهما الشيطان عن الجنّة ، ويقال : زلاّ بإغواء الشيطان إياهما [٣]؛ فكأنه أزلّهما ، فأخرجهما مما كانا فيه من رغدِ العيش وراحةِ النفس ، وجوارِ الرَّب ﻷ ، چ چ لآدم وحواء ــ عليهما السلام ــ ، وإبليس ، والحية ، والطاؤوس ؛ انزلوا من السماء إلى الأرض بعضكم لبعضٍ عدوّ ، فإبليس عدوٌّ لآدمَ ــ عليه السلام ــ وذريته ، وعداواته لهم كفر ، وهم أعداء إبليس ، وعداواتهم له إيمان ، والحيّة تَلدغ عقبِ ابن آدم ، وابن آدم يَشْدخ رأسَها ؛ لأن إبليسَ كان في رأسِها ، قال النبيُّ ــ ﷺ ــ : « الودُّ يُتَوَارثُ ، والبغضُ يُتوارث »[٤] .

---

(١) من الآية : ٣٨ من سورة البقرة .

(٢) الآية : ٨٢ من سورة الشعراء .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/ ١١٥) ، وينظر: تفسير الطبري (١/٢٣٥) ، وتفسير السمعاني (١/٦٩) .

(٤) أخرجه (بنحوه) الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في التاريخ الكبير ، تحقيق : السيد هاشم الندوي ، دار الفكر ، (٨١/٧) رقم (٣٧٠) باب عفير ــ ﭬ ــ ، وأخرجه سليمان بن أحمد الطبراني في المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط٢/ ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م ، مكتبة الزهراء / الموصل ، (١٨٩/١٧) رقم (٥٠٧) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب البر والصلة ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ،

ويجوز أن يكون المراد بالعداوة : العداوة التي بين بني آدم[١]. ﭽ ﭽ : مقام ، وثبوت ، ومنفعة إلى منتهى الآجال .

وأما قراءة حمزة[٢]؛ (فأزالهما) : أي من الزّوال ؛ أي : نحّاهُمَـا ، والإزلال في معـنى الإيقاع في الزلل ، يقال : أزللتُ فلاناً فزلَّ ، وأزلتُه فزالَ[٣].

والهبوط : الانحطاط من الرتبة الشريفة . والمتاع : اسمُ لما يستمتع به[٤]. والحين والزمان في اللغة واحد . فإن قيل : كيف وسوس إبليس لآدم ــ عليه السلام ــ ، وكـان آدم في الجنة ، وإبليس أُخرِج منها حين امتنع من السجود ، وكان لا يُمَكَّن من دخول الجنة بعد ذلك ؟

قيل : اختلفوا في هذا : قال بعضهم : لم يدخل إبليس الجنة خوفًا من رضوان ، لكن أتـى باب الجنة فناداهما ، و لم يكن محجوبًا من السموات[٥] ، وقيل : كان آدم وحواء يخرجـان إلى باب الجنة فغَرَّهما[٦] ، وقال عامّةُ المفسّرين : إنَّه دخلَ في رأس الحية[٧].

(١٩٤/٤) رقم (٧٣٤٣) ، وجميعهم أخرجوه عن عفير ــ ﷺ ــ ، قال الذهبي في التلخيص معلقاً على سند الحاكم : « المليكي واهٍ ، وفي خبره انقطاع » (٤/ ١٧٦) ، وقال ابن حبّان في الثقات عن سنده أيضًا : « إسناد خبره ليس بشيء » ، (٣٢٢/٣) رقم (١٠٥٤) .

(١) ينظر: تفسير البغوي (٦٤/١) ، وزاد المسير (١/ ٦٩) .

(٢) حمزة هو : أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي التيمي مولاهم ، أحـد القـراء السّبعة المشهورين ، كان إمامًا ، حجةً ، قيّمًا بكتاب الله تعالى ، عابدًا خاشـعًا لله تعـالى ، مـات ١٥٨هـ . ينظر: معرفة القراء الكبار (١ / ١١١، ١١٢) ، وطبقات الحنفية (٤٢٣/٢) .

(٣) وقرأ الباقون من القراء العشرة (فأزلَّهما) أي : أوقعهما في الزلل . ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة (ص: ٩٤) ، ومعاني القراءات ؛ لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، حققه : أحمـد فريد المزيدي ، ط١/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، دار الكتب العلمية ، (ص: ٤٨) ، وينظـر : التيسير في القراءات السبع (١ / ٧٣) .

(٤) ينظر: العين (٨٣/٢) مادة (متع) ، ولسان العرب (٣٢٩/٨) مادة (متع) .

(٥) ينظر: زاد المسير (٦٧/١) .

(٦) ينظر: تفسير الرازي (٣ /١٥) ، وتفسير ابن كثير (٨٢/١) .

(٧) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٢٣٧) ، وتفسير السمرقندي (٧١/١) ، وتفسير البغوي (٦٤/١) ،

وذكر الكلبي كيفية هذه القصة قال : لما نظر إبليس إلى ما أكرمَ اللهُ آدمَ ــ عليه السلام ــ حسده ، فاحتال أن يفتنه ، فعرض نفسَه على كلِّ دآبةٍ تدخل الجنة أن يدخل في صورها ، فأبت عليه حتى أتى الحيّة ، وكانت أحسن دآبة في الجنة خَلْقًا ، وكانت كهيئة البعير؛ تمشي على أربع قوائم ، فيها من كلِّ لونٍ ، فلم يزلْ بها يستدرجها حتى أطاعته ، فدخل بين لحييها ، فقام في رأسها ، فنادى : يا آدم ، ويا حواء ، فأجاباه ، قال : ماذا أمركما ربّكما ، وماذا نهاكما عنه ؟ ، قالا : أمرنا أن نأكلَ من شجرِ الفردوس كلها غير الشّجرة الواحدة التي في وسط الجنّة ؛ كي لا نموت . فقال لهما : إن الله تعالى قد علم أنكما لستما تموتان موتًا ، ولكن علم أنكما متى أكلتما من هذه الشجرة كنتما ملَكين تعلمان الخيرَ والشرَّ ، أو كنتما من الخالدين ، وقاسمهما بالله إني لكما لـمَنْ النّاصحين ، فقال لهما: أيّكما أكلَ قبل صاحبه كان هو المسَلَّط على صاحبه ، فابتدرا إلى الشجرة ، فسبقت حواء آدم ــ عليه السلام ــ ، فقال لها آدم ــ عليه السلام ــ : ويحك أما تعلمي أن الله تعالى قد نهانا عنها ! ، فقالت : أما تعلم سعة رحمةِ الله تعالى ، فأكلت منها ، وأطعمت آدمَ ، فلمّا وصل إلى بطونهما تهافت عنهما لباسهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة [١] .

قيل : إنما لم تتهافت ثياب حواء أولاً ؛ لأنها كانت تبعًا لآدمَ ــ عليه السلام ــ ، ثم أهبط الله تعالى آدم ــ عليه السلام ــ بالهند ، وحواء بجُدَّة بساحل مكة ، وإبليس بساحل بحر أَيْلَة[٢]، والحيّة بأَصْفَهان[١] ، وردَّ الله تعالى قوائم الحية إلى بطنها ، وجعل رزقها الترابَ .

وتفسير القرطبي (١ /٣١٣) .

(١) ينظر : تفسير السمرقندي (١/٧١) ؛ وهذا الأثر ظاهر أنه من الإسرائيليات ، لا سيما أنه من رواية الكلبي ؛ وروايات الكلبي ضعيفة ، وقصة الحية وإبليس ودخوله فيها ؛ من الأخبار الإسرائيلية حتى وإنْ ذكرها المفسّرون من السلف كالسّدي ، وأبي العالية ، ووهب بن منبه على ما ذكره ابن كثير ــ رحمه الله ــ في تفسيره (١/ ٨١) ، وينظر : موسوعة الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، تأليف : محمد أحمد عيسى ، ط١/ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ، دار الغد الجديد / القاهرة ، (١/ ٢٥٧) .

(٢) أَيْلَة : ــ بالفتح ــ ، مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام ، على رأس خليج العقبة المتفرع من البحر الأحمر (بحر القلزم) ومن تبوك . ينظر:

ورُوِيَ في بعض الأخبار أن إبليسَ دخل الجنّة ؛ وهو في الجنّة ، فسأل الطاؤوس عن الشّجرة التي نهى الله آدم ــ عليه السلام ــ عنها فدلَّه عليها ، ثم أتى آدم ــ عليه السلام ــ ، وأقسم أنها شجرة الخلد ، القصة ... إلى أن قال : غَضِبَ اللهُ تعالى على الطاؤوس ، واهبطه بمَيْسانَ[٢] ، ومسح منه صوته ورجليه . ومثل هذه الأشياء لا تُعْلَم إلا من طريق الخبر فما صحت الرواية فيه قيل به ، وما لم تَصح ردَّ ، والله أعلم[٣] .

قوله ﷻ: ﭽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ ﭼ

معناه تلقَّف وأخذ ، ويقال : أُلْهِم[٤] ؛ وهو المراد من الأخذ .

والكلمات : اعترافهما بالذَّنب واستغفارهما ؛ كما قال الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭼ[٥] الآية ، ﭽ □ □ ﭼ أي : قبل الله تعالى توبته ، وقد تاب الله ﷻ

معجم البلدان (٢٩٢/١) ، ولسان العرب (٤٠/١١) مادة (إيل) ، وأطلس الحديث النبوي (ص : ٥٧) .

(١) أَصْفَهان : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان (عربستان) بلد سلمان الفارسي ــ رضي الله عنه ــ ، ومنها بدأت رحلته التي انتهت بالمدينة المنورة . أطلس الحديث (ص : ٤٤) . ل[١٦/أ]

(٢) مَيْسان ــ بالفتح ثم السكون وسين مهملة وآخره نون ــ: اسمُ كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط ، وهي اليوم مدينة عامرة على نهر دجلة شمال شرقي البصرة عرفت باسم الكوت ، ينظر: معجم البلدان (٢٤٢/٥) ، ومعجم ما استعجم (١٢٨٣/٤) ، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، لعاتق بن غيث البلادي ، ط١ / ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م ، دار مكة ، (ص: ٣٠٧) .

(٣) ولم أقف على سنده . ينظر: تفسير السمرقندي (٧١/١) ، وتفسير الثعلبي (١٨٣/١) . قال الطبري في تفسيره معلقًا بعد هذه القصة: « وأولى ذلك بالحقِّ عندنا ما كان لكتاب الله موافقًا » (٢٣٨/١) ، وقال ابن كثير في تفسيره : « وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم ؛ يعني : آدم ، وحواء ، والحية ، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات ، والله أعلم بصحتها ، ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود إلى المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم؛ لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله ــ ﷺ ــ » (٢٠٧/٢) .

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤٢/١) ، وتفسير السمرقندي (٧٢/١) .

(٥) من الآية : ٢٣ من سورة الأعراف .

عليهما ؛ لكن الاختصار على ذكر آدم ــ عليه السلام ــ في الآية على طريــق الإيجــاز والتغليب المذكور . ﭼ   ﭼ أي : القابل للتوبة ، المتجاوز عن ذنوب العباد ، ﭼ ﭼ بمَنْ مات على التوبة .

ومَنْ قرأ/ (فتلقى آدمَ) بنصب آدمَ ، ورفع كلماتٌ[١]، جعــل الفعــل للكلمــات ، والتلقي : هو الاستقبال ، وكل مَنْ تلقاك فقد تلقيته ، ومَنْ تلقيته فقد تلقاك[٢].

والتوبة في اللغة : هو العَوْد والرجوع[٣]. يقال : تاب وآب بمعنى واحد ، فالعبد يتــوب إلى الله تعالى في مقام العبيد ذلةً ، وطاعةً ، وتسليمًا ، والله تعالى يتوب على العبــد يعــود عليه بالعطف ، والرحمة ، والستر ، والمدد .

رُويَ عن عليّ ـ [رضي الله عنه] ـ عن النبيّ ــ ﷺ ــ أنه قال : « إن الكلمات الــتي نزل بها جبريل ــ عليه السلام ــ إلى آدم ــ عليه السلام ــ وهي : سبحانَك لا إله إلا أنتَ وبحمدك عَمِلتُ سوءًا وظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وأنت خير الراحمين ، سبحانَك لا إله إلا أنتَ وبحمدك عَمِلتُ سوءًا وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفــور الــرحيم ، سبحانَك لا إله إلا أنت وبحمدك عملت سوءًا وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنتَ التواب الرحيم »[٤] ؛[وهي] [١] رواية ابن عباس ، رضي الله عنهما .

---

(١) وهي قراءة ابن كثير المكي ، وباقي القراء العشرة يقرؤن برفع (آدمُ) ، ونصب (كلماتٍ) . ينظر: التيسير في القراءات السبع (١ / ٧٣) ، وإبراز المعاني (٣٢٣/١) .

(٢) ينظر: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (٧٥/١) ، ومعاني القراءات (ص:٤٩) ، والتبيان في تفسيــر غريب القرآن (٧٩/١) .

(٣) ينظر : لسان العرب (٢٣٣/١) مادة (توب) ، ومختار الصحاح (١/ ٣٣) مادة (توب) .

(٤) لم أقف على سنده ، وذكره (بنحوه) السمرقندي في تفسيره عن الضحاك عن ابن عبــاس ــ رضي الله عنهما ــ موقوفًا (١ /٧٢) ، وذكره (بنحوه) الثعلبي في تفسيره عن محمد بن كعب القرظي موقوفًا (١٨٤/١) ، وذكره البغوي أيضًا (بنحوه) عن مجاهد ومحمد بن كعب القرظي موقوفًا (٦٥/١) ، وذكره ابن الجوزي (بنحوه) في تفسيره زاد المسير عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ (٧٠/١) ، وذكر القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (بنحوه) عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، ووهب بن منبِّه ومحمد بن كعب موقوفًا (٣٢٤/١) ، وذكر (بنحــوه) أيضًا ابن كثير في تفسيره عن مجاهد (٨٢/١) .

قوله ﷻ: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭼ

خطابٌ لآدم وحواء ـ عليهما السلام ـ خاصةً بالهبوط من الجنّة إلى السّماء ؛ لأنه يَعقبُه قوله تعالى: ﭽ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭼ وهو خطاب لهما ولولدهما خاصَّة ؛ فأما الهبوط الأول : فهو من السّماء إلى الأرض وقد بيّناه ، ويجوز أن يكون تكرار الأمر بالهبوط ؛ للتأكيد ؛ أو لإتصال الثاني بألفاظ أخر ليست من ألفاظ الأول ؛ كما يقال : اذهب اذهب ، وعَجِّل عَجِّل ، ويقال : اذهب سالـمًا ، واذهب مُعَافًا مصاحبًا ونحو ذلك ، وقوله تعالى : ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭼ يقول : إنْ يأتكم منّي بيان ؛ وهو الكتب والرسُل ، فمَنْ تبع كتابي ورسولي ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭼ فيما يستقبلهم من أهوال يوم القيامة ، ﭽ ﭠ ﭡ ﭢﭼ على ما خلفوا من أمر الدنيا في الآخرة .

والأصل في (إمَّا) : (إن ما) على طريق الشرط والجزاء إلا أنَّ النونَ أُدغِمت في الميم ، و(ما) صلة في الكلام معناه التأكيد ، والنون المؤكدة في قوله تعالى : ﭽﭘﭼ لا تدخل في الفعل إلا أن يكونَ فيه مؤكد قبله تقول : (ليأتينَّك) ، ولا يقال : زيد يأتينَّك بغير اللام[٢]. والاتّباع : هو أنْ يتلو الشيءُ الشيءَ[٣]؛ ومنه قول الناس : دِينُ الله الاتّباع دون الابتداع ؛ أي : دين الله الأخذ بما جاء به النبي ـ ﷺ ـ وجميع الأنبياء دون الابتداع . والنصبُ في قوله تعالى : ﭽ ﭜﭼ ؛ لأن الأصل في ياء الإضافة الحركة ؛ لأنها حرفٌ في موضعِ اسمٍ مضمرٍ إلا أنها حُذِفت في قوله : هذا غلامي ونحو ذلك للتخفيف ؛ لأن الياءَ من حروف المد واللين ، وقد سكن ما قبل الياء في قوله : ﭽ ﭜﭼ فلم يكن بُدٌّ من تحريك ياء الإضافة ، فجعل حظَّها من الحركة ما كان لها في الأصل وهو الفتح[٤]. والحُزْن : هو غِلَظُ الهمِّ ؛ من قولهم للأرض الخشنة الغليظة : أرضٌ حَزْنَة [٥]. وفي الآية

---

(١) كتبت في الأصل ، وفي النسخة (ب) : (وهو) والصواب ما أثبته ؛ لضرورة السياق .

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن (١/٨٨) ، والتبيان في إعراب القرآن (١/٥٤) .

(٣) ينظر: لسان العرب (٨ /٢٧) مادة (تبع) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (١ / ٧٩) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/ ١١٨) .

(٥) ينظر: لسان العرب (١٣/ ١١٣) مادة (حزن) ، والقاموس المحيط (١/١٥٣٥) مادة (حزن) .

تحذير من صغير المعاصي وكبيرها ؛ لأن الله تعالى أهبط نبيَّهُ ــ عليه السلام ــ من جنّةٍ كان أنعَمَ الله عليه بها ، فأهبطَه منها من أجل صغيرة من الصغائر ، فكيف بمَنْ اجترأ على الله تعالى وارتكب كبائر ما نُهيَ عنه [(١)]، وفيها أحسن وعدٍ لـمَنْ اتّبع هدى الله تعالى ، فأطاعه ولزم تقواه ؛ لأن الله تعالى جمع في قوله تعالى: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ مع قلة الحروف صنوف النّعم كلِّها ، لا أحد أسعَد ممَنْ لا يَخاف ولا يحزَن ، ومَنْ دخل الجنّة فقد سَلِم من جميعِ الآفات ؛ فليس يخاف ، ووصل إلى جميع اللذات ؛ فليس يحزن على شيءٍ ، نسأل الله تعالى رحمتَه ونعوذ به من عقابه .

قوله ﷻ: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ﴾

معناه والذين جحدوا بدلائلنا ، وكذبوا برسلنا وكتبنا ﴿ ڈ ڈ ڤ ڤ ﴾ : هم فيها مقيمون دائمون ، وللآيات معنيان : أحدهما : ما ذكرناه ، والثاني : الدلائل العقلية التي هدى الله تعالى العقل إلى معرفتها .

والأصحاب : جمع الصّاحب ، والصّحبة هي: المقارنة ، إلا أن اسمَ الصاحب لا يقع على الإطلاق إلا إذا طالت صحبته ، فأما إذا قلت : صحبته معه ، فإنه يقال : صَحِب فلان فلانًا يومًا أو كذا [(٢)]. والكفر وحده يُوجِب خلودًا في النار ، وكذا التكذيب وحده ، لكن ذكرهما الله تعالى في الآية ؛ للتعظيم والتهويل إذ لا يكون أحدهما في إنسان إلا ومعه صاحبه .

وفي هذه الآيات من أول ما ذكر الله تعالى خلق آدم ــ عليه السلام ــ / إلى هذه الآية ل[١٦/ب] زيادةُ دليلٍ على نبوّة رسول الله ــ ﷺ ــ ؛ إذ كان ــ ﷺ ــ من قبيلةٍ وبلدةٍ لا يَعرف أهلها شيئًا من هذه القصة على حقِّها وصدقِها ، بل كان بين ظهراني قوم ليسوا من أهل الكتاب ، ولا من شأنهم الفحص عن هذه الأمور ، نشأ بحضرتهم وهو أميّ لم يقرأ الكتب ، ثم أخبر علماء أهل الكتاب بهذه القصص على وجهها ، ولم يقدروا على تكذيبه في شيءٍ منها . وفي الآية دليلٌ على أنَّ الجنّة والنّار لا تفنيان[(٣)] خلافَ قول الجَهْمِيَّة [(١)]؛

---

(١) وفي هذا الموضع موعظة بليغة من المؤلف ووقفة إيمانية ، نأخذ منها العظة والعبرة في حياتنا .

(٢) المفردات في غريب القرآن (٢٧٥/١) ، ولسان العرب (٥١٩/١) مادة (صحب) .

(٣) وافق المصنف ــ رحمه الله ــ أهل السُّنة والجماعة في هذه المسألة ؛ فالجنة والنار مخلوقتان

لأن الخلودَ مصرحٌ به في هذه الآية ، والآية التي قبل هذه تقتضي أن لا يخافوا التّبعــةَ ، ولا يحزنوا على فوتِ النّعم .

قوله ﷻ: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿ

ابتدأ فصل من ذِكْر النِّعَم ، وهو أطولُ الفصُول التي تقدمت ؛ لأنه ينتهي إلى قوله تعالى: ﭽﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ[٢]، وهذه الآية خطابٌ لليهود والنَّصارى كلهم ؛ لأن الله تعالى نسبهم إلى أبيهم الأعلى ؛ كما قال في آية أخرى : ﭽﭼﭽﭾ[٣] ، وأما إسرائيل فقد قال ابن عباس [رضي الله عنهما] : إنه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، ـ صلوات الله عليهم ـ . وإسرائيل لغة عَبرانية ؛ (فإِسْرَا) في لغة العَبرانية : هو العبد ، (وإيل) : هو الله ﷻ[٤] ، ويقال : (الإِسْرَا) : هو الخالصُ من كلِّ شيءٍ ، و(إيل) : هو الله تعالى ، فكأنّه سُــمِّيَ صفوة الله تعالى[٥] ، ومعنى الآية : يا أولاد يعقوب ؛ احفظوا مِنَّتِيَ التي مَنَنْتُ بها علــيكم ، بأن أنجيتُكُم من آل فرعون ، وظَلَّلْتُ عليكم الغمام ، وأنزلت عليكم المــنَّ والســلوى ،

موجودتان الآن ، ولم يزلْ أهل السنة والجماعة على ذلك ، بخلاف قول الجهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية والذي يقول : إن الجنة والنار فانيتان غير أبديتان ؛ بل كما هما حادثتان فهمـا فانيتان ؛ وهذا القول أنكره عامَّة أهل السُّنة وكفّروه به . ينظر : شــرح العقيــدة الطحاويــة (ص : ٤٢٠) ، والمسائل الاعتزالية على تفسير الكشاف (١/ ٤٤١) .

(١) الجهميّة هم : أصحاب جهم بن صفوان السمرقندي ، وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمذ ، وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية ، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء . ينظر: الملل والنحل ؛ لمحمد بن عبد الكريم بــن أبي بكــر أحمــد الشهرستاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، ١٤٠٤هـ – دار المعرفة / بيروت ، (١ / ٨٦) ، =

= وينظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ؛ لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحــراني ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، ط١/ ١٣٩٢هـ ، مطبعة الحكومة / مكة المكرمــة ، (٦١٨/١) .

(٢) من الآية : ١٠٤ من سورة البقرة .

(٣) من الآية : ٢٦ من سورة الأعراف .

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١ /٢٤٨) ، وتفسير ابن عطية (١٣٣/١) ، وتفسير الرازي (٢٨/٣) .

(٥) ينظر: تفسير الثعلبي (١٨٥/١) ، وتفسير البغوي (١/ ٦٦) .

وجعلت فيكم أنبياء ـصلوات الله عليهم ـــ ومُلوكًا ، وغير ذلك من الـــنّعم الـــتي لا تحصى ، وأكثر هذه النّعم كانت لآبائهم ؛ لكن العرب تذكر مثل هذا وتريد به الآبـــاء ، يقولون : هزمناكم يوم كذا ؛ يعنون به آباءهم . وقيل : إن النعمةَ إرسال محمد ـ ﷺ ـ إليهم وقت اختلافهم في الدِّين ؛ ليدلَّهم على الحقِّ المبين[١] .

والأمر بذكر النّعمة أمر بعرفانها بالقلب ، والإقرار بها باللسان ، إذ لا سبيل لأحـــدٍ إلى ذكر كل ما أنعَم الله تعالى عليه سوى الاعتراف بالعجز عن أداء شكره .

فأما العهد المذكور في الآية قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كان الله تعالى عهد إلى بني إسرائيل في التوراة : إني باعث من بني إسماعيل نبيًّا أُميًّا ، فاتّبعوه فمَنْ اتّبعَه ، وصـــدّق بالنّور الذي يأتي به غفرت له ذنوبه ، وأدخلته الجنّة ، وجعلت له أجرين : أجرًا له باتّباعِه ما جاء به موسى ـ عليه السلام ـ ، والأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ من بني إســـرائيل ، وأجرًا باتّباعه ما جاء به محمد ـ ﷺ ـ[٢]. ويجوز أن يكون المراد بالعهد قولـــه: **چگـگگ ں ں چ**[٣] ، وقوله تعالى: **چ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞچ**[٤] إلى آخر الآية . وأما معنى قوله : **چﭽ ﭾچ** أي: فاخشوني في كتمان بعث محمد ـ ﷺ ـ وصفته ، وترك اتّباعـــه . **وچ ﭠ ﭡ چ** موضع نصب ؛ لأنه نداء مضاف ، والمنادى في موضع النصب ؛ لأن معناه : ناديت ، **وچ ﭡ چ** في موضع خفض بالإضافة إلا أنه فُتِح آخره ؛ لأنه لا ينصرف لمعـــنى العجمـــة والمعرفة[٥]، وفتح الياء في **چﭣ چ** ؛ لالتقاء الساكنين ؛ لأن الذي بعدَها ساكن وهو لام المعرفة في (التي) ، ويجوز حذف الياء في اللفظ عند التلاوة[٦].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (١/ ١٣٣) ، وتفسير النسفي (١/٤٤) ، وتفسير أبي السعود (١/٩٤) .

(٢) وهذا القول من رواية أبي صالح عن ابن عباس ـ رضـــي الله عنـــهما ـ . ينظـــر : تفســـير السمرقندي (١ /٧٤) ، وتفسير الثعلبي (١/١٨٦) ، وتفسير البغوي (١/ ٦٦) .

(٣) من الآية : ٨١ من سورة آل عمران .

(٤) من الآية : ١٢ من سورة المائدة .

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/ ١١٩) .

(٦) المصدر السابق (١/ ١٢٠) .

والوفاء : إتمام العاقد بإيفاءِ المعقود عليه ؛ يقال : درهم وافٍ : أي تام[١]. وفيه لغتان : أوفى ووفَّى ، وبالألف أفصح وبها ورد القرآن[٢].

ونصب (إيايَ) بالأمر ؛ كأنه في المعنى [فارهبوني][٣]، وحذفت الياء من آخرِ الأمر ؛ لأنها فاصِلة إلى آخر الآية . والرّهبةُ والخوفُ نظيران [٤]؛ إلا أنّ ضدَّ الرغبـــة : الرّهبـــة ، وضدَّ الخوف : الأمن ؛ فكأنَّ الرّهبةَ خوفٌ على شريطةٍ ، كما أنَّ الرّغبةَ رجاءٌ بأمل .

قوله ﷻ : ﭽﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ

وصيةٌ من الله تعالى لهم بعد أن ذكَّرهم نعمته يقول : صدِّقوا بهذا القرآن الـــذي أَنزَلْـــتُ موافقًا لما معكم من التوراة ، والإنجيل ، وسائر الكتب ، ولا تكونوا أولَ فريقٍ يكفر به ، ولا تختاروا بآياتي عرضًا يسيرًا ؛ يعني : الدنيا ، ﭽﮑ ﭼ فاخشون في محمد ــ ﷺ ــ ل[١٧/أ] /.

وسبب هذا الخطاب ؛ ما رُويَ أنه كان لعلماء اليهود رئاسة ، ومآكلة ، ووظائف من سَفلة اليهود ، وكانوا يخافون إن أسلموا ذهَبت رئاستهم ، فقيل لهم : لا تكونوا أوَّلَ كافرٍ به فيتّبعكم العوام[٥] ، والهاء في قوله تعالى: ﭽ ﮆ ﮇﭽﮈ عائد إلى (ما أنزلتُ) ، ويجوز ويجوز أن تكون عائدةً إلى قوله تعالى : ﭽ ﮃ ﮄﭽ ؛ لأنهم كتموا بعثَ محمـــدٍ ــ ﷺ ــ

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٥٢٨/١) ، ولسان العـــرب (١٥/ ٣٩٨) مـــادة (وفى)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (١٧٦/١) .

(٢) قال محقق كتاب الزجاج معاني القرآن وإعرابه الدكتور عبد الجليل عبده : « وربمـــا عارضـــه ﭽ ﭼ [الآية : ٣٧ من سورة الـنجم] في بعض أوجهه ...ثم نقل كلامًا عن ابن خالويـــه في شرح الدردِيرية مفاده ؛ أن سبب اختيار (أوفي) ؛ لأنه لا يحتمل إلا معنى واحدًا ، وأما (وفى) فيحتمل الوفاء بمعنى الكثرة والنماء ، والوفاء بالعهد ؛ فأوثر (أوفى) لهذا » . ينظـــر: معـــاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/ ١٢١) ، والدّر المصون (١/ ٣١٢) .

(٣) جاء في الأصل ، وفي النسخة (ب) : (فارهبون) ، والصواب ما أثبته . ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٢١) ، وتفسير السمرقندي (١ /٧٤) .

(٤) ينظر : لسان العرب (٤٣٦/١) مادة (رهب) ، وتاج العروس (٢/ ٥٣٧) مادة (رهب) .

(٥) ولم أقف على سنده . وينظر: تفسير مقاتل بن ســـليمان (٤٥/١) ، وتفســـير الســـمرقندي (٧٥/١) ، وتفسير الثعلبي (١٨٧/١) ، وتفسير البغوي (٦٧/١) .

وصفته في التوراة ، فإذا كفروا بالقرآن ؛ فقد كفروا بالتوراة [(١)].

والثَّمنُ : كلُّ ما يُعْطَى مكان الشيء من بَدَلٍ أو مُبْدلٍ ؛ إلا أن من شأنِ الثمن والمبيع إذا ذُكرا ؛ فالمبيع عُروض ، والثمن دراهم ؛ إلا أن يُقيّد الثمن بالباء ، وإذا كان كلاهما عروضًا يُقيد أحدهما بالباء أيهما كان ، وكذلك إذا كان كلاهما ثمنًا من الصرف والفائدة[(٢)] ، في قوله تعالى : ﭽ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ ﭼ : وإنْ كان الكفر قبحًا في الأول والآخر ؛ أن السّابقَ إلى الكفرِ يَقتدِي به غيره فيكون أعظم لمأثمِهِ وجرمِهِ ؛ كقوله: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﭼ[(٣)] ، وقوله تعالى : ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ[(٤)] ، وقوله تعالى : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ

ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ[(٥)]. ورُوِيَ عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه قال : « إنَّ إنَّ على قابيل ابن آدم ــ عليه السلام ــ القاتِلَ كِفلاً من الإثم في كلِّ قتيل ظلمًا ؛ لأنه أولُ مَنْ سنَّ القتل »[(٦)]. وقال ــ ﷺ ــ : « مَنْ سنَّ سنّةً حسنةً ؛ فله أجرها وأجر مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة لا تنقص من أجورِهم شيء ، ومَنْ سنَّ سنّةً سيئةً ؛ فعليه وزرها ووزرُ مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارِهم شيء »[(٧)].

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٢٢) ، والدّر المصون (١/ ٣١٨) .

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٠) ، ولسان العرب (١٣ /٨٢) مادة (ثمن) .

(٣) من الآية : ١٣ من سورة العنكبوت .

(٤) من الآية : ٢٥ من سورة النحل .

(٥) من الآية : ٣٢ من سورة المائدة .

(٦) الحديث (بنحوه) في الصحيحين ؛ أخرجه البخاري (٢٦٦٩/٦) رقم (٦٨٩٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب إِثْمِ من دَعا إِلى ضَلالَة أو سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً ، ومسلم (١٢٩١/٣) رقم (١٦٧٧) ، كتاب الْقسَامَة وَالْمُحَارِبين وَالقصاص والدّيات ، بَاب بَيَانِ إِثْمِ مَنْ سنّ القَتل ؛ وكلاهما عن عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ .

(٧) أخرجه (بنحوه) مسلم في صحيحه عن المنذر بن جرير عن أبيه ــ رضي الله عنهما ــ (٧٠٥/٢) رقم (١٠١٧) كتاب الزكاة ، بَاب الْحَثّ على الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقّ تَمْرة أو كلمة طيِّبَة ، وَأَنَّهَا حجَابٌ من النَّار.

قوله ﷻ: ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﭼ.

قال ابن عباس [رضي الله عنهما] : معناه لا تخلطوا الصِّدق بالكذب[١] ، ويقال : خلط الحقّ بالباطل : هو إيمانهم ببعض ما جاء به محمد ـ ﷺ ـ ، وكفرهم ببعضهِ[٢] ، ويقال : الحقُّ ما تركوه على حاله ، والباطل ما حرّفوه من التــوراة ، ﭽﮙ ﮚﭼ : يَحتمــل أن يكونَ جزمًا على النهي على معنى (ولا تكتموا الحقَّ) ؛ وهو بعثُ النبيِّ ـ ﷺ ـ وصفته في التوراة ، ويَحتمل أن يكون قوله تعالى : ﭽﮙﭼ نصبًا على معنى : (وأن تكتموا) أي : ولا تجمعوا بين اللبس والكِتمان[٣]؛ كما قال الشاعر[٤]:

لا تَنْهَ عن خُلقٍ وتأتي مثلَهَ   عارٌ عليك إذا فَعلتَ عظيم

أي : لا تجمع بين النهي عن خلق وإتيان مثله . وقوله تعالى : ﭽﮜ ﮝ ﭼ أي : تفعلــون ذلك على علمٍ منكم وبصيرةٍ ، وهذا أبلغ في الوعيد ؛ لأنَّ مَنِ ارتكبَ المعصية مع العلــم بأنها معصية ؛ كان ذلك أقبح منه ممَنِ ارتكبه وهو لا يعلم بقبحه وكونه معصية [٥].

وأصل اللبس : الستر والتغطية ؛ يقال في الأمر : لَبَست الأمر على فلان ألبِسه : (بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل) ؛ إذا أُعميت عليه ، ويقال في الثــوب : لبِســت

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٢٥٤) عن أبي روح عن الضحاك عن ابن عباس ـ رضــي الله عنهما ـ ، وينظر: تفسير ابن كثير (١ /٨٥) ، وتفسير السيوطي (١/١٥٥) .

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي (١/٧٥) .

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٢٤) ، وتفسير النسفي (١ / ٤٥) ، والدّر المصون المصون (١/ ٣٢١) .

(٤) قائل البيت : الأخطل التغلبي . ولم أقف عليه في ديوانه ، وينظر: خزانــة الأدب (٨/٥٦٨) ، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا ؛ للقلقشندي أحمد بن علي بن أحمــد الفــزاري ، تحقيــق : عبد القادر زكار ، ١٩٨١م – وزارة الثقافة / دمشق ، (٢/٣٤٠) ، وقيل : البيت من قــول المتوكل الكنانى . ينظر : العقد الفريد (٢/٢١٥) ، وفي الحماسة البصرية (٢/١٥) ، منسوب إلى غيرهما .

(٥) وفي هذا الموضع وقفة دعوية بليغة ذكرها المؤلف ؛ فيها تحذير لطالب العلــم مــن ارتكــاب المعصية ؛ بعد العلم والمعرفة بحكمها ، وأن العلم حجّة على صاحبه .

الثوب ألبَسه : (بكسر العين في الماضي ، وفتحها في المستقبل)[١].

قوله ﻷ: ﭽﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ

أمرٌ معطوفٌ على النهي لفظًا يَحتمل وجهين[٢] :

أحدهما : أن الصلاة كانت معهودةً للمسلمين يومئذٍ ، وكذلك الزكاة كانت معلومة عندهم ، فأَمَرَ اليهودَ بإقامة الصلاة المعهودة في شريعتنا ، وإيتاء الزكاة المعلومة .

والثاني : يجوز أن يكون الصلاة مجملةً يومئذٍ في شريعة النبيِّ ـ ﷺ ـ ، وكان فعل النبيّ ـ ﷺ ـ بيانًا لذلك الإجمال ، وهكذا حال سائر ما ورد في القرآن مجملاً ، فإنه يكون بيانه مُوكولاً إلى النبيِّ ـ ﷺ ـ ؛ إذ لولا ذلك لكان الله يتولى بيانه في القرآن .

ومعنى ﭽﮗ ﮘ ﮙ ﭼ أي : صلوا مع المصلين من أصحابِ محمد ـ ﷺ ـ في الجماعات إلى الكعبة ، ولا تصلوا وُحدانا ، وقد تُسمَّى الصلاة ركعة ؛ يقال : ركعت ركعة : أي صليت ، وفرغت من ركعتي : أي من صلاتي [٣].

والفائدة في تكرار ذكر الصلاة ـ والله أعلم ـ لئلا يَتوهم متوهمٌ أن الصلاةَ لا تجب إلا على مَنْ تجب عليه الزَّكاة ، ويقال : إن اليهودَ كانوا يصلون بغير ركوع ، فأمروا بالرُّكوع في الصلاة[٤].

وحقيقة الزَّكاة ما يجب إخراجه من المال على التوظيف الذي توجبه الشريعة ، وهو في اللغة : عبارة عن النماء والزيادة ، يقال : نمى الزرع ؛ إذا كثر رَيْعُه ، وزكت النفقة ؛ إذا بُورك فيها[٥] ، والتزكية : التطهير ؛ ومنه نفس زاكية[٦]، فإخراج الزَّكاة سببٌ للطهارة

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٢٤) ، ولسان العرب (٦ /٢٠٢) مادة (لبس) .
(٢) ينظر : أحكام القرآن للجصاص (٣٩/١) .
(٣) ينظر : معجم مقاييس اللغة (٤٣٥/٢) مادة (ركع) ، ولسان العرب (١٣٣/٨) مادة (ركع) .
(٤) ينظر: تفسير السمعاني (٧٣/١) ، وتفسير البغوي (١/ ٦٧) ، وتفسير ابن عطية (١٣٦/١) ، وتفسير الرازي (٤٢/٣) .
(٥) ينظر: مقاييس اللغة (١٧/٣) مادة (زكى) ، ولسان العرب (١٤ / ٣٥٨) مادة (زكى) .
(٦) ينظر: غريب القرآن (٢٥٢/١) ، وتاج العروس (٢٢١/٣٨) مادة (زكو) .

والزيادة ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﴾[1] . والرُّكوع في اللغة : عبارة عن الانحناء والميلان ، يقال : ركعت النخلة إذا مالت[2]./ ل[١٧/ب]

قوله ﷻ : ﴿ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﴾

خطابٌ لعلماء اليهود ، قال ابن عباس [رضي الله عنهما] : كان الرجلُ من اليهود يقول لصهرهِ وقرابتهِ وأخوتهِ من الرَّضاعة من المسلمين : أثبت على ما أنت عليه مما يأمرك به محمد ـ ﷺ ـ ، فإن أمرَه حقٌّ ، فأنزل الله تعالى هذه الآية [3].

ورُويَ أن جماعةً من اليهود كانوا يخبرون مشركي العرب قبل مبعث النبيّ ـ ﷺ ـ بإن رسولاً سيَظهَر يدعو إلى الله تعالى وإلى الحقِّ ، وكانوا يحثونهم على اتّباعه وإجابة دعوته ، فلما بعث الله تعالى محمدًا ـ ﷺ ـ حسدوه وكفروا به ، فأنزل الله تعالى هذه الآية مُذكِّرًا لهم ماكان منهم[4]. يقول : أتأمرون الناس باتباع محمد ـ ﷺ ـ ، وتتركون أنفسكم فلا تتبعوه ، و[وأنتم][5] تقرؤون الكتاب : التوراة ، وتعلمون ما فيها من البشارة به ، ووجوب اتّباعه ، أفلا تعقلون أن ذلك حجّة عليكم ! ، وألف الاستفهام في أول هذه

---

(١) من الآية : ٣٩ من سورة الروم .

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٢٠٢/١) ، ومختار الصحاح (١ /١٠٧) مادة (ركع) .

(٣) وهذه الرواية ضعيفة ؛ من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ، أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٦) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من رواية الكلبي ، وينظر: العجاب في بيان الأسباب (١/ ٢٥٢) ، ولباب النقول (١ / ١٩) .

(٤) لم أقف على سنده ، وينظر: تفسير السمرقندي (١ /٧٥) ، وأخرج الطبري في تفسيره عن أسباط عن السّدي قال : «كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وهم يعصونه » (٢٥٨/١) ؛ وهي رواية ضعيفة ، وأخرج أيضًا الطبري في تفسيره من طريق عبد الرزاق الصنعاني عن مَعْمر عن قتادة قال : « كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون ؛ فعيّرهم الله » ؛ وهي رواية صحيحة ؛ ومَعْمر بن راشد الأزدي قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة ثبت فاضل » ؛ تقريب التهذيب (٥٤١/١) رقم (٦٨٠٩) .

(٥) جاء في الأصل ، وفي النسخة (ب) : (وإنهم) ، والصواب ما أثبته ، ولعله تصحيفٌ من الناسخ ، والله أعلم .

الآية تقتضي التوبيخ والإنكار[١] ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ﴾[٢]، وقوله تعالى : ﴿ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ﴾[٣] .

والبِرُّ : هو اتساع الخير ، يقال لما باينَ البحر : بَر ؛ لأنه أشدُّ اتّسَاعًا من البحر ، وتُسَمَّى المفازة بريّة ؛ لإتساعها[٤]. والنسيان : السَّهو ضد الذِّكْر [٥] ، إلا أن بين النسيان والسَّهو فرقًا ؛ وهو أن النسيان : عزوبُ الشيءِ عن النفس النفس بعد حضوره ، والسَّهو : قد يكون عمّا كان الإنسان عالـمًا به ، وعمّا لم يكن عالـمًا به ، وقد يكون النسيان بمعنى : الترك[٦]؛ كما قال الله تعالى : ﴿ ۇ ۆ ۆ ﴾[٧] أي : تركوا ذكر الله فخذلهم .

والتلاوة : هي القراءة ، وأصلها الاتباع ؛ لأن الحروفَ يتلو بعضها بعضًا [٨]. والعَقلُ قد يكون بمعنى : الشَّد ، يقال : عَقَلْتُ البعير أَعْقِلُه ؛ إذا شددت ركبتَه ، وما يُعقَلُ به عِقَال ، ويُسمَّى العَقل عَقْلاً ؛ لأنه يَعقلُ صاحبه عن القبائح[٩]. وقيل : إنَّ العقلَ علومٌ مخصوصة من جملتها العلم بالحسنات والسيئات ، فسُمِّيَ العقل عَقْلاً ؛ لأنه يعقل العلوم المكتسبة ، ولا يجوز أن يقال في أسماء الله تعالى : عاقل ؛ لأنه لا يكتسب علمًا بشيء ،

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٢٥) ، والدّر المصون (١/ ٣٢٧) .
(٢) الآية : ١٦٥ من سورة الشعراء .
(٣) الآية : ١٤٦ من سورة الشعراء .
(٤) ينظر: تاج العروس (١٠ /١٥١) مادة (برر) . وينظر: تفسير البغوي (٧٠/١) ، وفتح القدير (٨٣/١) .
(٥) لسان العرب (١٥/ ٣٢٢) مادة (نسا) .
(٦) لسان العرب (١٥/ ٣٢٢) مادة (نسا) . وينظر : التبيان في تفسير غريب القرآن (٨٢/١) ، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، تأليف سليمان بن صالح القرعاوي ، ط١ / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م ، مكتبة الرشد ، / الرياض ، (ص : ٦١٤) .
(٧) من الآية : ٦٧ من سورة التوبة .
(٨) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٧٥/١) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (١ / ٨٢) .
(٩) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن (١ / ٨٢) ، ولسان العرب (١١ /٤٥٨) مادة (عقل) .

فتثبت بعض علومه ببعض ، ولأنه لا يعقله شيء عن فعل القبيح ، ولكن لا يختار القبيح مع استغنائه عن فعله لعلمه بأنه قبيح [١].

قوله ﷻ: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ

يقول : استعينوا بالصبر على طاعة الله تعالى ، وفعل الصلاة على ما يذهب عنكم من الرئاسة ، ويفوتكم من المآكلة باتّباع محمد ــ ﷺ ــ .

و لم يُذكر في الآية مُستَعانًا عليه ، وإنما ذكر المستعان به ؛ لأن الاستعانةَ بالشيء تقتضي مُستعانًا عليه لا محالة ، فالمستعان عليه ذهاب العزِّ والرئاسة ، وفوت المآكلة ، والرَّشى[٢]، والمرافق ، ويقال : هو الشِّدةُ والمشقةُ التي تلحق المسلمين في الطاعة [٣].

وقال مُجاهد : الصبر في الآية هو: الصوم [٤] ، وسُمِّيَ الصومُ صبرًا ؛ لأن صاحبَه يحبسُ يحبسُ نفسه عن الطعام والشراب ، ويُسمَّى شهر رمضان شهر الصبر [٥].

---

(١) فاللائق في حقِّه سبحانه أن يقال : (العليم) : اسمٌ من أسمائه الحسنى ؛ الذي أحاط بكل شيءٍ شيءٍ علمًا ؛ ظاهره وباطنه ، دقيقه وجليله ، أوله وآخره ، عاقبته وفاتحته ؛ وهذا من حيث كثرة المعلومات وهي لا نهاية لها ، ثم يكون العلم في ذاته سبحانه من حيث الوضوح والكشف على أتم ما يمكن فيه بحيث لا يتصور مشاهدة وكشف أظهر منه ، ثم لا يكون مستفادًا من المعلومات بل تكون المعلومات مستفادة منه تبارك وتعالى . المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ؛ لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي ، ط١/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، الجفان والجابي / قبرص ، (١/ ٨٦) .

(٢) الرَّشى والرَّشْوة الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة ، وأصله من الرشاء الذي يتوصل به إلى الماء ، فالراشي مَنْ يعطي الذي يعينه على الباطل ، والمرتشي الآخذ ، والرائش الذي يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا . لسان العرب (١٤/ ٣٢٣) مادة (رشا) .

(٣) تفسير السمرقندي (١ / ٧٦) .

(٤) ينظر : تفسير الطبري (١/ ٢٥٩) لم يُنسب فيه لأحد ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٠٢) (٤٨٠) عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وانظر: تفسير السمرقندي (١/٧٦) ، وتفسير ابن عطية ، (١/ ١٣٧) ، وتفسير القرطبي (١/ ٣٧٢) .

(٥) المعهود مقدم على غير المعهود ، فالصبر إذا أطلق أريد به المعهود في الاستعمال القرآني الذي = = هو نقيض الجزع .

وقيل : حمل هذه الآية على الصوم أولى من حملها على الصبر الذي هو نقيض الجزع ؛ لأن الذي يليق بالصلاة والزكاة ؛ الصومُ دون الصبر الذي هو نقيض الجزع .

فأما قوله تعالى: ﭽ ﯖ ﯗﭼ يَحتمل أن الهاء كناية عن الصلاة ؛ لأنها أشرفُ الطاعات ، ويَحتمل أن تكون كناية عن الاستعانة ، ويَحتمل أن يكون المراد بها الصبر والصلاة جميعًا ؛ كما قال الله تعالى : ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ[١]، فاكتفى بذكر أحدهما دلالة عن الآخر[٢] ؛ قال الشاعر[٣] :

ومَنْ يَكُ أَمْسَى بالمدينةِ رَحْلُهُ فإني وقيّارُ[٤] بها لَغَريب

أي : غريبان . والكبيرة : الثقيلة الشديدة ؛ لأن ما يكبر يَثقُل ، وما يَثقُل يشقُّ حمله[٥].

والخاشِعُون : المتواضعُون الذليلة قلوبهم ، قالَ الخليل ـ رحمه الله تعالى ـ : يقال: خشَعَ إذا رمَى ببصره إلى الأرض ، وأَخْشَعَ إذا طأطأ رأسه للسجود[٦]. والخشوع والخضوع نظيران[٧]؛ إلا أن الخضوعَ يكون بالبدن ، والخشوع يكون بالبصر والصوت والقلب ؛ كما قال الله تعالى : ﭽ ﮱ ﯓ ﭼ[٨]، ﭽ ﮬ ﮭ ﮮﭼ[٩]، ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ[١] .

---

(١) من الآية : ٦٢ من سورة التوبة .

(٢) ينظر: زاد المسير (٧٦/١) ، وتفسير ابن عطية (١٣٧/١) ، وتفسير الرازي (٤٧/٣) .

(٣) قائل البيت : ضابيء بن الحارث . ينظر: الحماسة البصرية (٥٦/٢) ، وخزانة الأدب (٣٢٩/٩) .

(٤) جاء في حاشية الأصل ، وفي النسخة (ب) : (قَيَّار : جمل ضابيء بن الحارث) . وينظر : لسان العرب (١٢٥/٥) مادة (قير) ، وخزانة الأدب (٣٤٢/١٠) .

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٤٢١/١) ، وتفسير الطبري (١ /٢٦١) ، وتفسير السمرقندي (١/ ٧٦) .

(٦) ينظر: العين (١ / ١١٢) مادة (خشع) .

(٧) لسان العرب (٧١/٨) مادة (خشع) ، وينظر : الوجوه والنظائر لألفاظ القرآن العزيز ومعانيها ؛ لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني ، دراسة وتحقيق : فاطمة يوسف الخيمي ، ط١/ ١٤١٩هـ /١٩٩٨م ، مكتبة الفارابي / دمشق ، (ص : ٣٠٢) .

(٨) من الآية : ٤٣ من سورة القلم .

(٩) من الآية : ١٠٨ من سورة طه .

والصبر : حبس النفس عما يُنازع إليه[٢]. والاستعانة : طلب المعونة . والصلاة بما فيها من تلاوة الكتاب ، والوقوف بذلك على الوعد والوعيد والمواعظ البليغة تُسَهِل على النفس ترك الرئاسة ، وتُسَهِل الانقياد للطاعة .

قوله ﷻ /: ﭽﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ ل[١٨/أ]

معناه _ والله أعلم _ : الذين يستيقنون أنهم ملاقوا ربهم في الآخرة ، ﭽﯟ ﯠ ﯡ ﭼ فيجزيهم بما عملوا ؛ لأنهم لو كانوا شاكِّين كانوا ضلاّلاً كافرين . وقد يذكر الظّن بمعنى العلم ؛ كما قال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة[٣]:

فقلتُ لهم ظُنُّوا بألفَيْ مُدَجَّجٍ[٤] سراتُهُمُ في الفارسِ الـمُسَرَّد[٥]

أي : أيقنوا . والظنُّ في اللغة : هو الشكّ الذي يقوى أحد طرفيه على الآخر[٦]، إلا أن عِلْمَ غير العيان يجوز ذكره بلفظ الظّنِ ، وإن قامَ في النفس حقيقته ؛ لأنه يبدو في النفس كالظنّ ، ثم يقوى حتى يصيرَ يقينًا .

وملاقاة الله : رؤيتُه[٧] ، ويقال معناه : ملاقوا جزاء ربهم ؛ فحذف المضاف ، وأُقيم

---

(١) من الآية : ١٦ من سورة الحديد .

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١/٢٧٣) ، ولسان العرب (٤/٤٣٨) مادة (صبر) .

(٣) دُرَيْدُ بن الصِّمَّة هو : دُرَيْدُ بن الصِّمَّة بن بكر بن علقمة الـجُشَمي _ بضم الجيم وفتح الشين وفي آخرها الميم- شاعر وفارس من فرسان قيس المعدودين ، كان أعمى ، شهد حُنينًا مع المشركين ، وقُتل كافرًا . ينظر: الأنساب (٤/١٨٥) ، وتاريخ مدينة دمشق (١٧ /٢٣١) رقم (٢٠٨١) .

(٤) مدجج : أي دخل في سلاحه كأنه تغطى به . لسان العرب (٢ / ٢٦٥) مادة (دجج) .

(٥) ديوان دُرَيْدُ بن الصِّمَّة ، قدم له الدكتور : شاكر الفحام ، جمع وتحقيق : محمد خير البقاعي ، ١٤٠١هـ _ ١٩٨١م / دار قتيبة ، (ص : ٤٧) ، وينظر: جمهرة أشعار العرب (١/١٨٠) ، والحماسة المغربية (٢/٨٢٤) ، وديوان الحماسة ؛ ليحيى بن علي بن محمد التبريزي ، دار القلم / بيروت ، (١/٣٣٧) .

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٢٦) ، والمفردات في غريب القرآن (١/٣١٧) ، ولسان العرب (١٣/ ٢٧٢) مادة (ظنن) .

(٧) ينظر: تفسير البغوي (١/ ٦٩) ، وتفسير ابن عطية (١/١٣٨) ، وتفسير الرازي (٣/٤٨) .

المضاف إليه مقامه[١].

قوله ﷻ: ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ

أمرٌ من الله تعالى لهم بتذكير النّعمة ، وأما تكرار خطاب بني إسرائيل في القــرآن بــذِكر النّعمة ، فعلى طريق التوكيد ؛ كما قلنا في قوله تعالى: ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ[٢].

ويَحتمل أن يكون المراد باللفظ الأول : القوم الذين كـانوا في بـني إسـرائيل في زمـن النبيّ ــ ﷺ ــ [٣] ، والمراد بالثاني : آباء هؤلاء القوم وأسلافهم[٤]؛ لأن الله تعالى عطـف على هذه الآية قوله تعالى : ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ[٥] وأراد به آباءهم .

وقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ أي : بالكتب والرسُل على عالمي زمانكم قبل مبعث عيسى ــ عليه السلام ــ ، ومحمد ــ ﷺ ــ . والتفضيل : زيادة أحد الشيئين على الآخر بالخير[٦].

بالخير[٦].

قوله ﷻ: ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ[٧] ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ

اخشوا عذاب يوم لا تغني نفسٍ مؤمنة عن نفسٍ كافرة ، ولا يُقبَل منها شـفاعة لـنفس كافرة ولا يؤخذ منها عدل : فدية ، ولا هم يمنعون من ما يراد بهم من العذاب .

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٣٧٦/١) ، وفتح القدير (١ /٧٩) .

(٢) من الآية : ٣٨ من سورة البقرة .

(٣) تفسير السمرقندي (٧٦/١) .

(٤) تفسير الطبري (٢٦٤/١) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٢٧) .

(٥) من الآية : ٤٩ من سورة البقرة .

(٦) ينظر : معجم العين (٤٤/٧) مادة (فضل) ، ولسان العرب (٥٢٤/١١) مادة (فضل) .

(٧) كُتبت في المخطوط (ولا تُقْبَلُ) بتاء التأنيث ، وبها قرأ ابن كثير ، وأبو عمـرو ، ويعقـوب ، وباقي العشرة بياء التذكير. ينظر: السبعة في القراءات (١٥٥/١) ، وإتحـاف فضـلاء البشـر (١٧٧/١) .

والجزاء ، والمكافأة [١]، والمقابلة ؛ نظائر ، يقال : جزى عني ؛ أي : قضى عني ، وناب عني، ومنه قولهم : جزيتُ دينَ فلان ، أي: قضيتُ دينَه ، والمتجازي: المتقاضي ، فأما أجزأني فمعناه : كفاني[٢]. رُويَ في الخبر عن النبيِّ ـ ﷺ ـ أنه قال : « البَدَنَة[٣] تَجْزي عن سبعةٍ »[٤] بدون همز ، ورُويَ (تجزيء) مهموزة ، والأصل في هذا كله الجزاء : وهو وهو مقابلة الإحسان بالإحسان ، والشرُّ بالشرِّ ، فكأن المراد بالآية : يوم لا تقابل نفس المكروه بما يدرأُ عنها ، وتقدير قوله تعالى : ﴿ ﴾ أي : لا تجزي فيه ، وحَذفُ حرفِ الظَّرف سائغ ؛ يقول : أتيتك اليومَ ؛ أي : أتيتك في اليوم[٥].

والشَّفاعةُ : التماس خير لغيره ، أو دفع مضرة عنه ، إذا كان درجة الشفيع عند المشفوع إليه أعظم من درجة المشفوع له ، والأصل فيها الشفع : الذي هو بمعنى الزوج ، فَسُمِّيت الشفاعَةُ شفاعةً ؛ لأن الذي يأتي الشفيع قد شفع نفسه بغيره على سبيل الاستعانة به على قضاء الحاجة ، يقال : شَفَعَ ؛ إذا التمس قضاء الحاجة ، وشَفَّعَه ؛ إذا أجابه إلى مُلتَمَسِهِ ومرادِه ، ويقال : إنه مُشَفَّع ؛ أي : معه ما يعينه على قضاء الحاجة[٦].

وقد كانت اليهود يزعمون أن آباءهم الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ ؛ إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب يَشفَعُون لهم عند الله ، فآيسهم الله من ذلك بهذه الآية [٧].

---

(١) ينظر : لسان العرب (١/١٣٩) مادة (كافأ) .

(٢) ينظر : التبيان في تفسير غريب القرآن (١/٨٣) ، ومختار الصحاح (١/ ٤٤) مادة (جزى) ، وتاج العروس (٣٧ / ٣٥٢) مادة (جزى) .

(٣) البَدَنة : هي الإبل خاصة . انظر: المصباح المنير (١/٣٩) مادة (بدن) .

(٤) أخرجه (بنحوه) الإمام مسلم في صحيحه عن جَابِرِ بن عبد اللَّهِ ـ رضي الله عنه ـ (٢/٩٥٥) رقم (١٣١٨)كتاب الحج ، باب الاشْتِرَاكِ في الهدي ، وإِجْزَاءِ الْبَقرة وَالبَدَنَةِ كُلٍّ مِنْهُمَا عن سَبْعَةٍ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٢٨) .

(٦) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم ؛ لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط١/ ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية / بيروت ، (١/٣٧٩) مادة (شفع) ، وينظر : لسان العرب (٨ /١٨٣) مادة (شفع) .

(٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٢٨) ، وتفسير السمرقندي (١/٧٧) ، والمحرر الوجيز (١/١٣٩) و لم أقف على سنده .

وقالَ الضّحاك : لا يتكلم في ذلك اليوم أحد عند انشقاق السماء ، وزفرة جهنّم ، ونشر الكتب ، وسقوط الخلائق على الرُّكبِ حتى ينقضي ذلك الوقت ، ثم تجيء الرحمة ، وترجع الأفئدة والعقول ؛ فحينئذٍ تقوم الشفعاء[١]؛ دليله **ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ**[٢] .

مَنْ قرأ بالتاء ؛ فلأن الشفاعة مؤنثة ، ومَنْ قرأ بالياء ؛ فلأن تأنيثه ليس بحقيقي[٣]؛ كما في قوله ﻷ: **ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ**[٤].

والعَدل : الفدية ، والفرق بين العَدل والعِدل : أن العِدل : هو مثل الشيء من جنسه ، والعَدل : بدله قد يكون من جنسه ، وقد يكون من غير جنسه ؛ كما قال الله تعالى : **ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯢ ﭼ**[٥].

والنُّصْرة : العَونُ ، تقول العرب : نصرَ الغيثُ البلاد ؛ أي : أعانها على الخصبِ والسَّعةِ[٦] ، قال الخليل : النُّصرة : هي عون المظلوم[٧]. رُويَ عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه قال : « انصرْ أخاكَ ظالمًا ، أو مظلومًا »[٨]؛ فمعنى نصرته مظلومًا : أن تدفعَ الظلمَ عنه . ومعنى نصرته ظالمًا : أن تمنعَه عن الظلم ؛ فتدفعَ بذلك الفِعل العقاب عنه .

---

(١) لم أقف عليه ، وقول الضحاك ــ والله أعلم ــ أرى أنه أقرب إلى الصواب .

(٢) من الآية : ٢٨ من سورة الأنبياء .

(٣) قرأ بتاء التأنيث : (ولا تُقْبَلُ) ؛ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، وباقي العشرة بياء التذكير (ولا يُقْبَلُ) . ينظر: السبعة في القراءات (١/١٥٥) ، وإتحاف فضلاء البشر (١/١٧٧) ، وينظر : معاني القراءات (ص: ٤٩) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص : ٩٥) .

(٤) من الآية : ٢٧٥ من سورة البقرة .

(٥) من الآية : ٩٥ من سورة المائدة .

(٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١/٤٩٥) ، وتاج العروس (١٤ /٢٢٤) مادة (نصر) .

(٧) العين (٧/١٠٨) مادة (نصر) .

(٨) الحديث في الصحيحين ؛ أخرجه البخاري (بلفظه) عن أنس بن مالك ــ ﭬ ــ (٢/ ٨٦٣) رقم (٢٣١١) كتاب المظالم ، بَاب أَعِنْ أَخَاكَ ظَالِمًا أو مَظْلُومًا ، وأخرجه مسلم (بنحوه) عن جابر بن عبد الله ــ ﭬ ــ (٤/١١٦) رقم (٢٥٨٤) كتاب البر والصلة والآداب ، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا .

قوله ﷻ: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ

معطوفٌ على الآيـة قبلـه ؛ وهـي قولـه تعـالى /: ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ ل[١٨/ب] واذكروا ؛ إذ نجيناكم من آل فرعون ، وإذ فرقنا بكم البحرَ ، وإذ وعدنا موسـى ، وإذ فعلنا ، وإذ فعلنا ؛ كلُّ ذلك تعداد النّعم عليهم احتجاجًا وتذكيرًا ؛ ليتنبَّه الغافِلُ ، ويتـرك العالِـمُ المعاندُ العِنادَ واللجاج ؛ خاطب الله تعالى بهذه الآية الأبناء ، وكانت النجاة مـن فِرعَون لآبائهم ، فأعتدَّ ذلك منّة عليهم ؛ لأنهم نجوا بنجاة آبائهم ، ومآثر الآباء مفـاخر الأبناء ؛ ومعنى الآية _ والله أعلم _ : خلَّصناكم من حربِ فرعون واتباعه وأهل دينـه ، يُولونكمُ ويكلِّفونكمُ شدة العذاب ، يذبحون أبناءكم الصَّغار ، ويستبقون إناثكم الصـغار والكبار للاستخدام ، وفي إنجاء الله تعالى إيَّاكم نعمة من ربكم عظيمة ، ويَحتمل أن يكون قوله تعالى : ﭽ ﭧ ﭼ منصرفًا إلى الذَّبح والاستخدام ، فيكون معنى البلاء : الشّدة والمحنة ، وأمَّا الإنجاء : فهو التخليص ، يقال : نجَّاه وأَنْجَاه ؛ إذا خلَّصه ، ويقال للمكان المرتفـع : نجوة ؛ لأن الصّائرَ إليه يتخلص من كبير من المضار[١].

والآل والأهل واحد ؛ إلا أن الآل يُستعمَل في اتباع الرؤساء خاصَّة ، وفرعون : اسـمٌ لملوك العمالقة ؛ كما يقال لملك الروم : قيصر ، ولملك الفرس : كسرى ، ولملك الترك : خاقان ، ولملك اليمن : تُبَّع[٢] ، واسم فرعون : الوليد بن مصعب ، ويقال : مصعب بـن الرّيان[٣] ، والسَّوم : الإيلاء ، يقال : سُمْتُ فلانًا سِيمةً حسنةً أوسيئةً ؛ إذا أوليته ذلك[٤]،
ذلك[٤]،

والسّيمَا : العَلامة ، والسُّوء : جميع الآفات والأدواء[٥]. والذَّبح : فَريُ الأوداج ، وأصله

---

(١) ينظر : لسان العرب (٣٠٤/١٥) مادة (نجا) ، وتاج العروس (٤٠ / ٢٢) مادة (نجو) .

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٦٣/٣) ، وتفسير القرطبي (٣٨٣/١) ، وتفسير ابـن كـثير (٩١/١) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٨٤/١) .

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٧٠/١) ، وتفسير البغوي (٦٩/١) ، وتفسير الرازي (١٤٠/١) .

(٤) ينظر: غريب القرآن (٥٠٢/١) ، ولسان العرب (١٢ /٣١٢) مادة (سـوم) ، والتبيـان في تفسير غريب القرآن (٨٤/١) .

(٥) الدَّاء : المرض ، والجمع أدواء . لسان العرب (٧٩/١) مادة (دوأ) .

وأصله الشقُّ[١]، فأما التذبيح ؛ فللتكثير والمبالغة . والاستحياء : الاستبقاء ، قال ــ ﷺ ــ : « اقتلوا شيوخَ الكفارِ ، واستحيوا شروخَهم »[٢] أي : استبقوا شبابهم ؛ وهم الذين يصلحون للخدمة ، وذهب بعضهم : إلى أن معنى قوله يستحيون من (الحياء) الذي هو الرَّحم ، فإن القوم كانوا ينظرون إلى فروجِ نساء بني إسرائيل ؛ ليعلموا هل هن حَبَلٌ أم لا ، حتى أن مَنْ يكون بها الحَبَل لا تملك كتمانه[٣].

وأصل البلاء من الابتلاء : وهو الاختبار ، والاختبار تارة يكون بالنّعمة ، وتارة بالشدّة[٤]؛ والدليل على أن البلاءَ يُذكر ويراد به النّعمة قوله تعالى: ﴿ ﴾[٥] ، قال الأحنف بن قيس[٦]: البَلاء ثم الثناء ؛ أي الإنعام ثم الشكر[٧]؛ وقال زُهَيْر[١]:

---

(١) ينظر : لسان العرب (٢ / ٤٣٨) مادة (ذبح) ، والنهاية في غريب الأثر (١٥٣/٢) مادة (ذبح) .

(٢) أخرجه (بنحوه) الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (١٢/٥) رقم (٢٠١٥٧) ، وأبو داود في سننه (٥٤/٣) رقم (٢٦٧٠) أول كتاب الجهاد ، بَاب في قَتْلِ النِّسَاءِ ، والترمذي في سننه ، وقال : « هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ » ، (١٤٥/٤) رقم (١٥٨٣) كتاب السير ، بَاب ما جاء في النُّزُولِ على الْحُكْمِ ؛ وجميعهم عن سمرة بن جندب ــ رضي الله عنه ــ .

(٣) ينظر: تفسير الرازي (٦٥/٣) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (١/ ٨٥) ؛ وأبطل هذا القول الرازي في تفسيره ؛ بأن مافي بطونهن إذا لم يكن للعيون ظاهرًا لم يعلم بالتفتيش ، ولم يوصل إلى استخراجه باليد .

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٧٥/١) ، وتفسير الرازي (٦٦/٣) ، وتفسير ابن كثير (٩١/١) ، = = والتبيان في تفسير غريب القرآن (١/ ٨٥) .

(٥) من الآية : ١٧ من سورة الأنفال .

(٦) الأحنف بن قيس هو : أبو بحر الأحنف بن قيس بن معاوية التميمي السّعدي ، اسمه الضحاك ، وقيل: صخر ، مخضرم ، أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل ، وشهر بالأحنف ؛ لحنف رجليه : وهو العوج والميل ، كان سيد تميم ، أسلم في حياة النبي ــ ﷺ ــ . قيل : مات سنة ٦٧ هــ ، وقيل: ٧٢هــ . ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب (١١٧/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٤ /٩٦) .

(٧) ينظر : تاريخ مدينة دمشق (١٨٠/١٩) .

جَزَى اللهُ بالإحسانِ ما فَعَلا بكُم فأبلاهُما خيرَ البلاءِ الذي يَبْلُو[٢]

أي : تختبر ، وأراد به النّعمة . وسببُ قتل فرعون أبناء بني إسرائيل ؛ ما رُويَ أنه رأى في المنام كأن نارًا أقبلت من بيت المقدس ، فأهلكت مِصْر ، وأحرقت القبط ، ولم يمس بني إسرائيل ، فلما أصبح هاله ذلك ، فجمَع السحرةَ ، والكهنةَ ، والعرَّافين ، فسألهم عن ذلك ، فقالوا : إنه يكون من البلدِ الذي منه هؤلاء القوم مَنْ يخرب ملكك على يده ، فأمر فرعونُ بأن يُذبحَ كل ابنٍ يولد من بني إسرائيل ؛ أراد بذلك أن ينجو من قضاء الله ، فلم ينفعه [٣].

قوله ﷻ: چٿ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڦ ڦ ڤ ڤ چ

معطوفٌ على (إذ) التي قبلها ، ومعنى الآية ــ والله أعلم ــ : فرقنا بكم البحر يمينًا وشمالاً، وذلك حين خرج موسى ــ عليه السلام ــ مع بني إسرائيل إلى البحر ، فأوحى الله تعالى إلى موسى ــ عليه السلام ــ چٿ ٹ ٹ ٹچ [٤] ، فانفلق ؛ فذلك قوله تعالى: چٿ ٹ ٹ ڈ ڈچ : خلَّصناكم من الغَرَق ، چڤ ڤ ڦ ڦ ڤ چ إليهم حين غَرِقُوا ، وهذا أعظم النعمة وأوضح الحجَّة ؛ لأنهم شاهدوا ما صنع الله بهم وبِعَدُوِّهم [٥].

---

(١) زُهَيْر هو : أبو بجير زُهيْر بن أبي سُلمى ــ بضم السين ــ المازنيّ ، واسم أبي سُلمى : ربيعة بن رَياح بن قُرْط المزنيّ ، كان أشد الشعراء القدماء أمرًا ، وأمدحهم ، وأجرأهم على الكلام ، تُوفي قبل مبعث النبيّ ــ ﷺ ــ بسنة . ينظر: طبقات فحول الشعراء (١ /٥١) رقم (٥٨) ، وخزانة الأدب (٢/٢٩٣) .

(٢) ينظر ديوان زهير بن أبي سُلمى (ص: ٦١) ، وجاء فيه :

رَأى الله بالإحسانِ ما فَعَلا بكُم فأبْلاهُما خيرَ البلاءِ الذي يَبْلُو

وينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/٢٤٦) ، وخزانة الأدب (٨/٩٥) .

(٣) لم أقف على سنده ، وينظر: تفسير البغوي (١/ ٧٠) ، وتفسير ابن عطية (١/ ١٤٠) .

(٤) من الآية : ٦٣ من سورة الشعراء .

(٥) ورد في حاشية الأصل ــ ولم ترد في النسخة (ب) ــ القصة التالية : (فلمّا سار موسى ببني إسرائيل وهو في ساقيهم ، وهارون في مقدمهم ، ثم خرج فرعون في طلبهم في ألف ألف وسبعمائة ألف من نشاب ، وحِراب ، وصاحب الأعمدة ، وسار بنو إسرائيل حتى وصلوا

وقيل معنى ﭽ ﭫ ﭼ أي : تعلمون ذلك ؛ كأنكم كنتم تنظرون[١]، وهذا مثل قولهم : دورُ آل فلانٍ تنظر إلى دورِ آل فلانٍ ؛ أي : هنَّ بإزائها ؛ لأن الدُّورَ يُعلَم أنها لا تُبصِر[٢].

وقد رُويَ في الخبر أن بني إسرائيل سألوا موسى ـ عليه السلام ـ أن يدعُوَ ربَّه ؛ ليريهم إياه ، فسأل موسى ـ عليه السلام ـ ربَّه ، فلفظهم البحر ، فنظروا إليهم وإلى فرعون

البحر ، والماء في غاية الزيادة ، ونظروا حين أشرقت الشمس ، فإذا هم فرعون وجنوده ، فبقوا متحيّرين ، فقالوا : يا موسى أين ما وعدتنا ؟ ، البحر قدامنا وخلفنا فرعون بجنوده ، فأوحى الله إلى موسى ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ [من الآية : ٦٣ من سورة الشعراء] ، وقال : انفلق يا أبا خالد ، فانفلق ، فكان كل فرق كالطّود العظيم ، فظهر فيه اثنا عشر طريقًا لكلِّ سبطٍ منهم طريق ، وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل ، فدخلوا كلَّ سبطٍ طريقًا ، فلا يرى بعضهم بعضًا ، فخافوا ، وقال كلُّ سبطٍ : هلك إخواننا ، فأوحى الله إلى جبال الماء ، فصار شبابيك ، ورأى بعضهم بعضًا ، فعبروا سالمين ، قوله : ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ : وذُكر بأن فرعون لما وصل البحر ، فرآه منفلقًا ، قال لقومه : انظروا إلى البحر كيف انفلق من هيبتي حتى أُدرِكَ عبيدي مَنْ أَبِقُوا منّي ؛ اُدْخُلُوا البحر ، فهاب قومه أن يدخلوا البحر ، فقالوا : إن كنت ربًّا فادخل البحر كما دخل موسى ، ولم يكن في خيل فرعون فرس أنثى ، فجاء جبريل على فرس أنثى ، فتقدَّم فخاض البحر ، فلما شمَّ أدهم فرعون ريحها ، اقتحم البحر في أثرها ، ولم يملك فرعون من أمره شيئًا ، ودخلت الجنود خلفه ، وجاء ميكائيل يسوقهم ، يقول : ألحقوا أصحابكم ، حتى صاروا كلهم في البحر ، وخاض جبريل في البحر ، فأمر الله البحر أن يأخذهم ، فالتطم عليهم ، وأغرقهم أجمعين . قيل : هذا بحر القلزم ، وقيل : بحر من وراء مصر يقال له : إساف ، وكان غرقهم بمرأى بني إسرائيل) أ هـ . تفسير البغوي (١/ ٧٢) ،=

= وينظر: تفسير الطبري (٢٧٦/١) ، وتفسير الثعلبي (١٩٣/١) ، وتفسير الرازي (٦٦/٣) ، وظاهر هذه القصة ـ والله أعلم ـ أنها من الإسرائيليات التي نقف عندها فلا نصدق ولا نكذب بها ؛ مالم يرد في شأنها دليل صحيح .

(١) تفسير السمرقندي (٧٨/١) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٣٣/١) ، وينظر: زاد المسير (٧٩/١) ، وتفسير أبي حيان (٣٥٦/١) .

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٣٣) ، ولسان العرب (٥ / ٢١٥) مادة (نظر) .

فعرفوه ، فلم يَقبلْ البحر بعد ذلك غريقًا إلا لفظه [(١)].

والفَرْقُ : الفَصْلُ بين شيئين ؛ إذا كان بينهما فُرْجَة[(٢)]. وسُمِّيَ البحر بحرًا ؛ لاتّساعه وانبساطه ، يقال : فلانٌ تبحَّر في العلم ، وفلانٌ تبحَّر في المال ؛ إذا كَثُرَ علمُه أو مالُه[(٣)].

والغَرَقُ : هو الرُّسوب في الماء[(٤)]. والنظر : هو الإقبال إلى الشيء بكلِّ وجهه [(٥)]، ولهذا يُسمَّى الإقبال/ بالوجه على الشيء : نظرًا ، وسُمِّيَ الفكر : نظر القلب ؛ لما فيه من الإقبال على المتفكر فيه بالقلب ، ويُسمَّى الإحسان نظرًا ؛ لما فيه من الإقبال على مَنْ أحسنَ إليه . وقيل : إنَّ النظر هو : التحديق بالبصر نحو الشيء ؛ التماسًا لرؤيته ؛ كما قال الله تعالى في شأن الأصنام : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[(٦)] ، لأن أحداقَهم كانت إليه بالصورة [(٧)].

ل[١٩/أ]

فإن قيل : لِمَ لم يَعطِ الله تعالى كلَّ نبيٍّ ــ عليه السلام ــ ، وكلَّ أمةٍ مثل هذه الآيات العظام ؛ من فَرِقَ البحر ونحو ذلك ؟

قيل : إن الله تعالى إنما أعطى الآيات والأعلام على حسبِ ما يرى للخلق من المصلحة في ذلك ، وكان في قوم موسى ــ عليه السلام ــ من البلادةِ وردأةِ الفَهم ما كان لا يُمْكِنهم الاستدلال على نبوّةِ موسى بالآيات الخفيَّة ؛ ألا ترى أنهم بعد ما عبروا البحرَ مرُّوا على قومٍ كانوا يعبدون الأصنامَ ، فقالوا لموسى ــ عليه السلام ــ : ﴿ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾[(٨)]، وأمَّا العربُ وأُمَّتنا نحن ؛ فيهم من جودةِ القريحةِ والذكاءِ بحيث يُمْكِنهم الاستدلال

---

(١) لم أقف على سنده . وينظر: تفسير الرازي (٣/٦٨) .

(٢) ينظر: زاد المسير (١/٧٨) ، وتفسير أبي حيان (١/٣٥٣) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (١/٨٥) .

(٣) ينظر: تفسير البغوي (١/٧٠) ، وفتح القدير (١/٨٣) .

(٤) ينظر: العين (٧ /٢٥٠) مادة (رسب) ، ولسان العرب (١ / ٤١٧) مادة (رسب) .

(٥) ينظر : لسان العرب (٥ / ٢١٥) مادة (نظر) ، والمصدر نفسه (١١/٥٣٨) مادة (قبل) .

(٦) من الآية : ١٩٨ من سورة الأعراف .

(٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١/٤٩٧) ، وتاج العروس (١٤/ ٢٤٥) مادة (نظر) .

(٨) من الآية : ١٣٨ من سورة الأعراف .

بالآيات الخفيَّة ، فلم يحتاجوا في الاستدلالِ على نبوّة رسول الله ــ ﷺ ــ إلى مشاهدة فَلْقِ البحر ونحو ذلك[١]، والله أعلم .

قوله ﷻ: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ

معناه : أي اذكروا إذ أخبر الله تعالى موسى ــ عليه السلام ــ أن يؤتيَه الألــواح فيهـا التوراة على رأس ثلاثين يومًا من ذي القعدة ، وأمره أن يصومها ، فصامها ، فوجد من فِيهِ خَلُوفًا[٢] فأستاك ، فأمره الله تعالى بصوم عشرٍ أخرى من أولِ ذِي الحِجَّة ؛ كما قال قال الله تعالى في آية أخرى : ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ[٣] ، فقال السَّامريّ في في الأيام العشرة : يا بني إسرائيل قد تمت الثلاثون ، ولم يرجعْ إلينا موسى ، وإنكم قد استعرتم من نساءِ قوم فرعون حُليهن حين سار بكم من أرض مصر ، فلمّــا لم تَــرُدوا عليهن حُليهن لم يَرُدْ الله علينا موسى ، فهاتوا ما معكم من حُليهن حتى يُحْرَقَ ، فلعــلَّ الله تعالى يردَّ علينا موسى ، فجَمعوا الحلي ، وكان السَّامري صائغًا ، فاتخذ من ذلــك عجلاً ، ونفخ فيه التراب الذي كان أخذ من تحت حافر فرس جبريل ــ عليه السلام ــ ، وكان ذلك الفرس فرس الحياة ، وما وضع حافرَة على موضع إلا اخْضَــرَّ ، فصــار العجلُ جَسدًا له خُوَار ، فعبدوه ؛ فذلك قوله : ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﭼ يقول : ضآرّون أنفسكم بعبادة العجل[٤]. قال ابن عباس [رضي الله عنهما] : صار عجلاً جسدًا لحمًا ، ودمًا ، وشَعْرًا [٥]. ويقال : إن سببَ الفتنة ؛ وَعَدَ الله تعــالى موســى أربعين ، فأخبرهم ، فلمّا مضت عشرون يومًا من الميعاد قالوا : قد تمت أربعون ؛ عَنُوا

---

(١) ينظر : تفسير الرازي (٣/٦٨) .

(٢) خَلَفَ فمُ الصائم خَلُوفًا : أي تغيرت رائحته . لسان العرب (٩/٩٣) مادة (خلف) .

(٣) من الآية : ١٤٢ من سورة الأعراف .

(٤) تفسير السمرقندي (١/٧٩) .

(٥) تفسير السمرقندي (١/ ٧٩) ، وزاد المسير (١/ ٨١) عن ابن عباس ــ رضــي الله عنــهما ــ والظاهر ــ والله أعلم ــ أن هذه الرواية من طريق الكلبي فقد ذُكرت في المصادر الســابقة دون ذكر السند ؛ وغالب الروايات عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ التي تُذكر في هذه المصادر من طريق الكلبي .

به الأيام والليالي ، فأمرهم السَّامريُّ بجمع الحلي ، فاتخذ لهم العجل[١].

فإن قيل : كيف يجوز أن يقضي الله من الذهب عجلاً جسدًا له خُوَار على يدي رجلٍ يريد إغواء الناس وإضلالهم عن دين الله تعالى ؛ إنما يفعل الله مثل هذه الأشياء ؛ معجزة للأنبياء ــ صلوات الله عليهم ــ ، فلو جاز مثل هذا على يد غيرهم لبطلت المعجزات ؟

قلنا: لا يَمْتَنِعُ أن يكون الله تعالى أجرى في التراب المأخوذ من حافرِ فرسِ جبريل ــ عليه السلام ــ أنه إذا أُلقِيَ على شيءٍ صار ذلك الشيء حيوانًا ، فلم يكن هذا الفعل على وجه نقض العادة حتى يكونَ شِبْهُ الـمُعْجِزَة ، وذهبَ بعضهم إلى أن السَّامريَّ كان حين صاغ لهم العجل جعل فيه خُروقًا ، فكانت الريح تقع في تلك الخروق ، فيُسْمَع لها مثل الخُوَار ، فكان يوهمهم أن ذلك الصوت خُوَار[٢].

وفي الـجُملةِ أن الله تعالى ركَّب فيهم من العقلِ ما لو تفكروا لعلموا أن العجلَ لا يصلح أن يكون إلـهًا ، فاستدلوا على كذبِ الـمُدَّعي فلم يكن الموضع موضع الاشتباه .

والمُوَاعَدَة : مفاعلة ؛ من وَعَد يَعِد ، والوَعد : هو الخبر عن خيرٍ يَنال الـمُخبَر في المستقبل ، أو شرٍّ ينـزل به ؛ إلا أنه غلب استعمال الوعيد في الشرِّ ، والوعد في الخير[٣]؛ قال الشاعر[٤]:

---

(١) ينظر: تفسير السمرقندي (١/ ٧٩) ، وتفسير البغوي (١/ ٧٣) ، وتفسير ابن عطية (١ / ١٤٣) .

(٢) ينظر: تفسير الماوردي (١/ ١٢١) ؛ وظاهر القصة ــ والله أعلم ــ من الإسرائيليات التي لا نصدق ولا نكذب بها ؛ ما لم يرد في شأنها دليل قاطع صحيح يجزم بصحتها .

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٥٢٦/١) ، والمحكم والمحيط الأعظم (٣٢٨/٢) مادة (وعد) ، ولسان العرب (٤٦٣/٣) مادة (وعد) .

(٤) أنشد هذا البيت أبو عمرو بن العلاء . ينظر : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني ، تحقيق : عمر الطباع ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، دار القلم / بيروت ، (٦٥٤/١) ، وينظر : درّة الغواص في أوهام الخواص (١٦٨/١) .

وإني إذا أوعدته أوَ وَعدتُه لمخلِف إيعَادِي ومنجزَ موعدي

مَنْ قرأ (وَعَدنا) بغير ألفٍ[1] ؛ فلأنّ الله تعالى هو المنفرد بالوَعد والوعيد ، ومَنْ قـــرأ بالألف ؛ فلفظ المفاعلة يستعمل بين الاثنيْن ؛ والوجه في ذلك أن الوعدَ من الله تعالى خبر، ومن موسى ــ عليه السلام ــ قَبول واتّباع ، فجرى مجرى المواعدة ، وقد تكون المفاعلـــة من واحد ؛ كما يقال : سافر ونافق[2].

واسمُ موسى/ ــ عليه السلام ــ في لغة القبط : (مَوْشَى) ؛ لأنَّ (مُـــوْ) : مَـــاء ، وَ(شَا) : شجر ؛ سُمِّيَ بهذا الاسم ؛ لوجودهِ في التابوت بين الماء والشجر[3]. والعِجْـــل والعِجُول : ولد البقرة . ل[١٩/ب]

وفي الآية تعجيبٌ من فعلهم ؛ إذ كانوا في مقدار هذه المدَّة اليســـيرة اتخـــذوا العِجـــل إلـــهًا ؛ لغيبةِ موسى ــ عليه السلام ــ عنهم ، ثم منَّ الله تعالى عليهم بالعفو ؛ كما قال جلَّ ذكره : ﴿ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ﴾ : يقول : تركناكم من بعد عبادتكم العِجل فلم نستأصلكم ؛ لكي تشكروا الله تعالى على العفو والنّعمة . والعفو في اللغة : المحو ؛ ومنه يقال : عفا الأثر ، وعفته الريح[4]؛ كما قال الشاعر[5]:

عَفَتِ الدّيارُ محلُّها فَمُقامُها .

فكل مَنْ استحقَّت عليه عقابًا فتركته فقد عفوته . والشُّكر هو: عرفان النّعمة ، ويقـــال :

---

(١) قرأ أبو جعفر ، وأبو عمرو ، ويعقوب (وعدنا) بحذف الألف بعد الواو ، والباقون (واعدنا) بإثبات الألف بعد الواو . ينظر : إبراز المعاني من حرز الأماني (٣٢٣/١) ، والبـــدور الزاهـــرة (ص: ٣٠) .

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٣٣) ، ومعاني القـــراءات (ص: ٤٩ ــ ٥٠) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص: ٩٦) .

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٢٨٠) ، وتفسير السمرقندي (٥٩٩/٢) ، وتفسير البغوي (٧٢/١) .

(٤) ينظر: لسان العرب (٧٨/١٥) مادة (عفا) ، وتهذيب اللغة (٣ /١٤١) مادة (عفا) .

(٥) قائل البيت : لَبِيدُ بن رَبِيعة . ديوان لَبيد بن رَبيعة العامري (ص : ١٦٣) ، وينظـــر: جمهـــرة أشعار العرب (١٠٩/١) ، وديوان المتنبي (١٥٠/٣) ، والعقد الفريد (٢٣٤/٥) .

هو الاعتراف بالنّعمة بإظهارها[١].

قوله ﷻ: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ

معناه : أي أعطينا موسى ـ عليه السلام ـ التوراة ، وما يُفرِّقُ به بين الحقِّ والباطل من الآيات ؛ لكي تهتدوا بما في التوراة من البشَارة بمحمدٍ ـ ﷺ ـ وذكر صفته .

ويجوز أن يكونَ الفرقانُ هو الكتاب بعينه إلا أنه أعيد ذكره[٢] ؛ لبيان أنَّه يُفرِّقُ بين الحقِّ والباطل ، وقد سَمَّى الله تعالى التوراة فرقانًا في موضعٍ آخر ؛ كما قال الله تعالى : ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ[٣] ، وسَمَّى الله تعالى نصرة المؤمنين يومَ بَدْرٍ[٤] على الكفار ؛ فرقانًا بقوله تعالى: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ[٥] أراد به يوم بَدْرٍ .

وفي هذه الآيات كلِّها دلالة على نبوّة محمد ـ ﷺ ـ ؛ لأن هذه الأقاصيص لم تكن من علومِ العرب ، ولا كان النبيُّ ـ ﷺ ـ قرأ كتبهم ، فلم يكن يَعْلَم إلاَّ من طريقِ الوحي .

قوله ﷻ: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ

أي : اذكُروا حين قال موسى ـ عليه السلام ـ لقومه بعد ما رجعَ من الجبلِ ، وأعطاه الله التوراة : يا قوم إنكم أضررتم بأنفسكم بعبادتكم العِجل ، فارجعوا إلى خالقكم ، وليَقتُلْ بعضكم بعضًا ، أي : الذين لم يعبدوا العِجلَ الذين عبَدوه ؛ كما قال الله تعالى:

---

(١) ينظر: لسان العرب (٤/٤٢٤) مادة (شكر) ، والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ؛ لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ، تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، (١/٥٣٤) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/١٣٤) . وينظر : تفسير البغوي (١/٧٣) عن مجاهد ، وفي زاد المسير (١/٨١) منسوب لأبي العالية .

(٣) من الآية : ٤٨ من سورة الأنبياء .

(٤) بَدْرُ : ماء مشهور بين مكة المكرَّمة والمدينة المنورَّة ؛ وعند هذا الماء كانت الوقعة المشهورة (بدر الكبرى في شهر رمضان المبارك من السنة الثانية للهجرة) ، وبين بَدْر والمدينة المنوَّرة اليوم مسافة (١٥٠كم) تقريبًا . ينظر : معجم البلدان (١/٣٥٧) ، وأطلس =

= الحديث (ص: ٦٥) .

(٥) من الآية : ٤١ من سورة الأنفال .

ﭼﭽ ﭼ[1]، وقال الله ﻷ: ﭼﯗ ﯘ ﯙ ﭼ[2]، ويقـال : فـاقتلوا أنفسـكم : أي استسلموا للقتل[3]. ﭼﮖﭼ : يعني التوبة والقتل خير لكم من إيثار الحياة الدنيا ؛ لأن حياةَ الدنيا تفنى ولا تبقى ، فإذا آثرتم الحياة الدنيا حصلتم بعد الحياة الدنيا على عقابٍ دائـم لا ينقطع ، وإذا قتلتم أنفسكم كما أُمِرتم ، انقضت شدةُ القتل عنكم عن سرعةٍ ، ثم تحصلون بعد ذلك على نعيمٍ دائمٍ لا يفنى ولا يَبِـيد .

وفي قوله تعالى : ﭼﮉ ﮊﭼ اختصار ؛ كأنَّه قال تعـالى : ففعلـتم مـا أُمِـرتم بـه ﭼﮉ ﮊﭼ ؛ تجاوز عنكم حين جعل القتل كفارة لذنوبكم ، ورفع القتل عن مَنْ بقـى منكم ، فلم يستأصلكم ، إنه هو المتجَاوز عن ذنوبِ العباد ، الرَّحيم بالتائبين .

رُويَ في الخبر أن موسى ــ عليه السلام ــ لما خاطبهم بما ذكر الله تعالى في هذه الآيـة، قالوا: قد فعلنا يا موسى ، فأخذ عليهم المواثيق ؛ ليصبرنَّ على القتل وليرضَونَّ بالقضـاء ، قالوا : نعَم ، فأصبحوا من الغدِ بأفنيةِ بيوتهم ، كـلُّ بَـني أبٍ علـى حـدةٍ ، فأتـاهم هارون ــ عليه السلام ــ والاثنا عشر ألفًا الذين لم يعبدوا العجل بأيديهم السّيوف ، فقتلوا مَنْ لقوا ، وكان هارون ــ عليه السلام ــ يتقدم إلى القوم ، وهم جلوس بأفنيةِ بيـوتهم يقول : هؤلاء إخوانكم قد أتَوْكم شاهرينَ السيوف ، فاتقوا اللهَ تعالى واصبرُوا ، فلعنَ الله رجلاً حَلَّ حَبْوَتَه ، أو قامَ من مجلسه ، أو مدَّ طرفه إليهم ، أو اتقاهم بيـده أو رجلـه ، فيقولون : آمين ، فجعلوا يقتلونهم إلى المساء ، وقام موسى ــ عليه السلام ــ يدعو ربَّه ؛ لما شقَّ عليه من كثرةِ الدمَاء ، وشدةِ الأصوات حتى نزلت التوبة ، فقيل لموسى ــ عليـه السلام ــ : ارفع السيفَ فإنّي قد قبلت توبتهم جميعًا مَنْ قُتِل منـهم ، ومَـنْ لم يُقتَـل ، وجعلتُ ذلك القتل لهم شهادة ، وغفرتُ لـمَنْ بقيَ منهم ، فكان القَتلى سبعين ألفًـا ، والقاتلون اثنا عشر ألفًا [4].

---

(١) من الآية : ١١ من سورة الحجرات .

(٢) من الآية : ٦١ من سورة النور .

(٣) ينظر: تفسير السمعاني (٨٠/١) ، وتفسير الرازي (٧٦/٣) .

(٤) ذكره السمرقندي في تفسيره (٨٠/١) ؛ ولم أقف على سنده ، وأخرجه (بنحوه) الطبري في تفسيره عن سفيان بن عيينة عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس ــ رضـي الله عنـهما ــ

فإن قيل : كيف يَحسُن أن يتعبَّدهم الله تعالى بقتلِ أنفُسِهم ؟

قلنا : لا يُنكِر أحدٌ حُسْنَ التَّعبد بالقتلِ إلا الثَّنَويَّة[١]، فإذا جـازَ أن يمتحـنَهم الله تعـالى بالأمراضِ والأسقامِ ، جازَ أن يمتحـنَهم بقتـل أنفسِـهم ؛ كمـا ابتلَـى الله تعـالى / إبراهيم ــ عليه السلام ــ بذبحِ ولده ، ثم فداه ــ عليه السلام ــ بِذِبْحٍ عظيم ، وقال عزَّ من قائل : ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾[٢] ، وكان السببُ في أمرِ بني إسرائيل بقتلهم أنفسهم ــ والله أعلم ــ ؛ أنه كان في القوم مَنْ عرف بطلان عبادة العِجل إلا أنهم لم يَنهَوْا الآخرين عن عبادة العِجل ؛ لخشية وقوع القتل فيما بينهم ، فابتلاهُم الله تعالى بما تركوا النهيَ عن المنكر لأجلِه[٣].

ل[٢٠/أ]

قوله ﷻ:﴿ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﴾

نزلت في سبعين رجلاً اختارهم موسى ــ عليه السلام ــ لميقاتِ الله ﷻ ؛ كما قـال الله تعالى في سورة الأعراف ﴿ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﴾[٤] .

رُويَ أنه ــ عليه السلام ــ لما انتهى بهم إلى الجبلِ أمرهم أن يمكثوا في أسفل الجبَـل ،

(١/ ٢٨٦) ، وهي رواية صحيحة ، وينظر : تفسير الـثعلبي (١/١٩٨) ، وتفسـير البغـوي (١/ ٧٣) ، وتفسير القرطبي (١/٣٩٦) ، وتفسير ابن كثير (١ / ٩٣) .

(١) الثَنَويَّة : فرقة من المجوس الملحدة ؛ الذين يعتقدون أن مبدأ الكائنات وكل ما في العالم من خيرٍ ، وشرٍّ ، ونفعٍ ، وضرٍّ ليس هو إلا امتزاج النور والظلمة ، وأنهما أصل العلوم ، فما يحصل مـن الخير فمضاف إلى النور ، وما يحصل من الشرِّ فمضاف إلى الظلمة ، وهم أربع فرق : المانوية ، الريصانية ، المرتونية ، المزدكية . ينظر : الفرق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية ؛ لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصـور ، ط٢/ ١٩٧٧م ، دار الآفـاق الجديـدة / بـيروت ، (٢٦٩/١) ، وينظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ؛ لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي ، تحقيق : علي سامي النشار ، ١٤٠٢هــ - دار الكتب العلميـة / بـيروت (٨٨/١ ، ٨٩) ، وينظر : غاية المرام (٢٠٦/١) .

(٢) الآية : ١٠٦ من سورة الصافات .

(٣) ينظر : تفسير ابن عطية (١٤٤/١) ، وتفسير القرطبي (٣٩٦/١) .

(٤) من الآية : ١٥٥من سورة الأعراف .

وصعدَ هو ، فأعطاه الله تعالى الألواح فيها التوراة ، فلمَّا رجــعَ إلــيهم ، قــالوا : لــن نصدِّقَكم حتى نرى الله جهرةً عَيانًا وعلانيةً [١] ، فأخذتهم الصَّاعقة : نزلت نارٌ من السّماء فأحرقتهم[٢]، ويقال : سمعوا صوتًا فماتوا[٣] ، ﭽ ﯘ ﯙ ﭼ إلى أسباب الموت . والرؤية جهرةً : هي الرؤية على وجهٍ لا تكون بين الرائي والمرئي ساتر ولا حجاب ، يقال: فلان يجاهر بالمعاصي إذا كان لا يستتر بها[٤]. والصاعقة في اللغة : اسمٌ لما يُصعقون منه ؛ أي : يُهلكون ويُفزعون[٥]؛ وهي في هذه الآية عذابٌ مُهلك .

قوله ﻷ : ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ

يقول : أحييناكم من بعد هلاككم ؛ لكي تشكروا الحياة بعد الموت . والبعث في اللغة : إثارة الشيء عن محلِّه ؛ يقال : بعثتُ البعير ، وبعثتُ النائم فانبعث[٦].

فإن قيل : كيف يجوز أن يقبلَ التوبةَ بعد الموت ، ولو جازَ ذلك لجاز قبول التوبة يــوم القيامة ، وما أنكرتم على مَنْ قال بالرَّجعة في دار الدنيا ؟ قيل : البعث بعد الموت في دار المحنة ؛ كالانتباه من النوم ، والإفاقة من الجنون والغشي؛ لأن الله تعالى ردَّهم إلى التكليف في دار الدنيا ، ولابدَّ لذلك من غايةٍ يقع عندها الثواب والعقاب ؛ فقلنا : إن تلك الغايــة هي يوم القيامة ، ولو قبل التوبة يوم القيامة ، وكانت تلك الدار دار المحنة لم يكن بدٌّ مــن

---

(١) تفسير السمرقندي (١ / ٨٠) ، وأخرج الطبري (بنحوه) في تفسيره (٢٩١/١) عن سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق ؛ وسلمة بن الفضل قال عنه ابن حجــر في تقريــب التهــذيب: « صدوق ، كثير الخطأ » (١ / ٢٤٨) (٢٥٠٥) ، ومحمد بن إسحاق بن يسار قال عنه ابــن حجر في تقريب التهذيب : « صدوق ، يــدلس ، ورُمِــيَ بالتشــيع والقــدر » (١/ ٤٦٧) (٥٧٢٥) ، وينظر: تفسير البغوي (٧٤/١) ، وتفسير القرطبي (١ / ٤٠٣) .

(٢) ينظر : تفسير البغوي (١/ ٧٤) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع (٢٩٠/١) .

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزّجاج (١/ ١٣٧) ، وزاد المسير (٨٣/١) ، وتفسير القرطبي= = (٤٠٤/١) .

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (١٢٢/١) مادة (صعق) ، ولسان العرب (١٠/ ١٩٨) مادة (صعق) .

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة (١ / ٢٦٦) مادة (بعث) ، ولسان العــرب (٢ /١١٧) مــادة (بعث) .

دارٍ أخرى تكون غاية لدار المحنة ، فأما الرَّجعة إلى دارِ الدنيا فإنما أنكرناها في الخلق كلهم من قبل أن فيها إعلامًا للرَّاجع أنه يَرجِعُ ، وهذا لا يجوز ؛ لأنَّ فيـــه إغـــراء بارتكـــابِ الذنوب ، وفيه الاعتماد على وقت الرَّجعة ؛ لتكون التوبة فيه [1].

قولـــــه ﷻ: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ □□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ

معناه : سترنا عنكم الشمس بالسّحاب الأبيض الرَّقيق ، كان يقيهم حرَّ الشمس في التيه، وكان يُدَلَّى لهم بالليل عمود من السماء من نور ، فيسير معهم بالليل حيث ساروا مكـــان القمر ، وأنزل الله تعالى عليهم المنَّ : وهو التَّرْنجبين[2]، ويقال : الرنجبين .

ويقال : هو شيءٌ حلوٌ كان يسقط على الشجر كالشهد المعجون بالسّمن ، كان الرجـــل منهم يأخذ كلَّ غداةٍ صاعًا يكيفه يومه وليلته ، فإذا أخذ أكثر من ذلك دَوَّد وفسد ، فإذا كان يوم الجمعة أخذ كلُّ إنسانٍ منهم صاعين ، فإنه لم يكن يأتيهم يوم السبت ، فقالوا : يا موسى قتلنا ذا المنِّ بحلاوته ، فادع لنا ربّك يطعمنا لحمًا ، فدعا ــ عليه الســـلام ــ ، فأنزل الله تعالى عليهم السلوى ؛ طيرًا كبيرًا كهيئة السُّمَاني[3].

ﭽ □ □ □ □ □ ﭼ أي قيل لهم : كلوا من حلال ما رزقناكم وهذا على طريق الإضمار ؛ كما قال الله تعالى : ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ[4] أي قالوا : ما نعبدهم ، وقال عزَّ من قائل : ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ[5] أي يقال لهم : أكفرتم بعد إيمانكم . وقوله ﷻ : ﭽ □ □ ﭼ إيجاز واختصـــار ؛

---

(١) ينظر : تفسير الرازي (٨١/٣) .

(٢) الترنجبين : هو شيءٌ ينـــزل من السماء كنـــزولِ الندى ثم يتجمد ؛ وهـــو يشـــبه العســـل الأبيض . أضواء البيان (٧٤/٤) ؛ ولم أقف عليه في معاجم اللغة ، وينظر: تفسير الطبري = = (٢٩٤/١) ، وتفسير البغوي (٧٥/١) ، وتفسير ابن عطيـــة (١ /١٤٩) ، وتفســـير القـــرطبي (٤٠٦/١) ، وتفسير السيوطي (١٧١/١) .

ل[٢٠/ب]

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي (١/ ٨١) ، وتفســـير البغـــوي (٧٥/١) ، وتفســـير ابـــن عطيـــة (١ /١٤٩) ، وتفسير القرطبي (٤٠٦/١) .

(٤) من الآية : ٣ من سورة الزمر .

(٥) من الآية : ١٠٦ من سورة آل عمران .

المعنى : ما ظلمونا بمخالفتهم أَمْرنا ، وذلك أنهم أُمِروا أن لايرفعوا من السّلوى شيئًا لغدٍ ، فرفعوا منه مخافة أن تنفدَ ، فذهب عنهم ذلك ، فذلك قوله تعــالى: چ □ □ □ □ چ حيث رفعوا حتى مُنِعَ عنهم ، وهذا كلُّه كان في التيه ، حين تأبَّوا علـــى موسى ــ عليه السلام ــ دخول مدينة الــجّبارين ، فحرَّم الله تعالى عليهم تلك المدينـــة أربعين سنة يتيهون في الأرض . والتظليل في اللغة /: هو الستر من العُلــو[١]. والغمـــام : السّحاب ، سُمِّيَ السّحاب بهذا الاسم ؛ لأنه يستر السماء[٢]؛ قـــال الله ﷻ: چ ڎ ڈ ڤ ڤ ڦ ڦ چ[٣]؛ يقول : أمرًا مستورًا ، وسُمِّيَ السّحاب سحابًا ؛ لأنه ينسحب في الجـــوِّ : أي يجري فيه .

وحقيقة المنِّ : ما يمنُّ الله تعالى به على عباده من غير نَصَبٍ ولا تعبٍ[٤].

والسّلوى : جمعٌ لا واحِدَ لَه ، وذكر الخليل : أنَّ واحده سَلواة [٥] . والطيب : مايستطيبه الإنسان . ورَوى أبو هريرة ــ ﷺ ــ عن رسول الله ــ ﷺ ــ « لولا بنـــو إســـرائيل لم يَخْنَــزْ اللحم ، ولم يَخْبَثْ الطعام ، ولولا حواء لم تَخُنْ امرأةٌ زوجَها »[٦].

قولــه ﷻ:چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ[٧] ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ چ

معناه : وقد قلنا لبني إسرائيل بعد انقضاء أربعين سنة مِن أول مكثهم في التيه على لســـان

(١) ينظر: لسان العرب (١١ / ٤١٧) مادة (ظلل) ، وتاج العروس (٢٩/ ٤٠٢) مادة (ظلل) .
(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (١٤٨/١) ، وزاد المسير (٨٤/١) .
(٣) من الآية : ٧١ من سورة يونس .
(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٣٨) ، وتفسير القرطبي (٤٠٦/١) ، وتفســـير أبي حيان (/٣٧٤) .
(٥) العين (٢٩٨/٧) مادة (سلو) .
(٦) أخرجه (بنحوه) مسلم في صحيحه عن أبي هريـــرة ــ ﷺ ــ (١٠٩٢/٢) رقـــم (١٤٧٠) كتاب الرضاع ، بَاب لَوْلا حَوَّاءُ لم تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ .
(٧) كُتبت في المخطوط (يُغفَر) وبها قرأ نافع وأبـــو جعفـــر وســـيأتي تفصـــيل هـــذه القـــراءة (ص : ٢٢٧) . ينظر: التبصرة في القراءات (ص: ١٤٩) ، والبدور الزاهرة (ص: ٣٠) .

يُوشَع بن نون [(١)]ــ عليه السلام ــ بعد موت موسى وهارون ـــ عليهمـــا الســـلام ـ : ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ يعني : مدينة أَرِيْحاء [(٢)] بقربِ بيت المقدس[(٣)] . ﭽ ﭟ ﭠ ﭼ رغدًا كثيرًا كثيرًا واسعًا بلا حِساب ولا عناء . ﭽ ﭡ ﭼ باب المدينة ، ويقال : باب مسجد إيلياء[(٤)] ؛ وهو مسجد ببيت المقدس[(٥)] ، رُكَّعًا منحنين متواضعين ، ﭽ ﭢ ﭣ ﭼ أي قولوا : مســألتنا حِطَّة . قال ابن عباس [رضي الله عنهما] : أُمِروا أن يستغفروا ربهم[(٦)] . وعن عِكْرِمَةِ [(٧)] [(٧)] أنه قال : أُمِروا أن يقولوا : لا إله إلا الله [(٨)] ، ويقال معناه : قولوا : إن ما قيل لنا حقٌّ حــقٌّ ، وهـــذه الكلمـــات كلُّهـــا تحـــط الـــذَّنب[(٩)]، فصـــحَّ أن يتـــرجمَ بحِطَّـــة . ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ ذنوبكم ، وسنـــزيد الذين لا ذنبَ لهم إحسانًا ؛ يقول : زيـــادة ثواب على أعمالِـــهم من التفضل عليهم بما لم يستحقوه ؛ كما قـــال الله ﻷ: ﭽ ﯿ ﯾ ﯾ ﯿ ﯿ ﭼ[(١٠)]، ويقال : ســـزيد المحسنين الإحسان على ما سلفَ من الإحسان من إنـــزال المنِّ ، والسّلوى ، وتظليل الغَمام[(١١)] . والعرب تُسمِّي البلدة : قريـــة ؛ لأن القريـــةَ إنمـــا

---

(١) ينظر : تفسير السمرقندي (٨٢/١) .

(٢) أَرِيْحاء : في غور فلسطين ، شمال البحر الميت ، وشمال شرق القدس ؛ وهي مدينة الجبَّارين في الغور من أرض الأردن بالشام . أطلس الحديث (ص: ٣٣) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩٩/١) عن ابن وهب ، وينظر : تفسير السمرقندي عن الكلـــبي (٨٢/١) ، وتفسير ابن كثير (٩٩/١) .

(٤) إِيلياء : مدينة القدس الشريف ، وتعني : بيت الله . أطلس الحديث (ص: ٥٨) .

(٥) ينظر : تفسير الطبري (٢٩٩/١) ، وتفسير ابن كثير (٩٩/١) .

(٦) أخرجه تفسير الطبري (٣٠١/١) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس – رضي الله عنـــهما – ، وينظر : تفسير البغوي (١/ ٧٦) ، وتفسير ابن عطية (١ / ١٥٠) ، وزاد المسير (١ / ٨٥) .

(٧) ينظر ترجمته (ص: ٤٢) من قسم الدراسة من هذه الرسالة

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٠/١) ، و ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٨/١) رقم (٥٨٢) عن عكرمة ، وانظر: تفسير ابن عطية (١ / ١٥٠) ، وتفسير السيوطي (١٧٣/١) .

(٩) ينظر: تفسير الطبري (٣٠١/١) ، وتفسير ابن عطية (١٥٠/١) .

(١٠) من الآية : ٣٠ من سورة فاطر .

(١١) ينظر: تفسير الطبري (٣٠٢/١) ، وفتح القدير (١ / ٨٩) .

سُمِّيت قرية ؛ لاجتماع الناس فيها [(١)].

والحَطُّ : هو وضعُ الشيء من الظَّهرِ أو الدَّابةِ [(٢)]، ومَنْ قرأ (حِطَّةً) بالنصب ، فالمعنى : حُطَّ عنّا ذنوبنا حِطةً [(٣)]، والغَفْر: السّتر ؛ أصله من المِغفَر سُمِّيَ به ؛ لأنه يستر الرأس [(٤)]. وقرىء (يُغفَر لكم) بالياء والتاء [(٥)]؛ على فعل ما لم يسمَّ فاعله ، إلا أنَّ النون أليق بما قد سبق من اللفظ [(٦)]؛ لأن ابتداء الآية ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ، وأمّا الخطايا ؛ فهي جمع خطيّة [(٧)]، وقرىء (خَطئاتِكم) [(٨)].

قوله ﷻ: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ

معناه : خالف الذين عصوا وكفروا ما أمرهم الله تعالى به أن يقولوه ، فقالوا : (إطَّة

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٥/٧٨) مادة (قرى) .

(٢) ينظر: أساس البلاغة (١/١٣١) مادة (حطط) ، ولسان العرب (٧ / ٢٧٢) مادة (حطط) .

(٣) قرأ إبراهيم ابن أبي عبلة (حِطةً) بالنصب ؛ وهي قراءة شاذّة ، واتفق القراء العشرة على قراءتها قراءتها الرفع . مختصر شواذ القرآن (ص: ١٣) ، وينظر: تفسير ابن عطية (١/١٥٠) ،= = وتفسير أبي حيان (١/٣٨٤) .

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (٨/١١٢) مادة (غفر) ، والمصباح المنير (٢/٤٤٩) مادة (غفر) .

(٥) قرأ نافع وأبو جعفر بياء تحتية مضمومة مع فتح الفاء (يُغفَر) ، وقرأ ابن عامر بتاء فوقية مضمومة مع فتح الفاء (تُغفَر) ، والباقون بالنون المفتوحة والفاء المكسورة (نَغفِر) . ينظر: التبصرة في القراءات (ص: ١٤٩) ، وإتحاف فضلاء البشر (١/١٧٩) ، والبدور الزاهرة (ص: ٣٠) .

(٦) ينظر: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (١/١٦٦) ، ومعاني القراءات (ص : ٥٠ – ٥١) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص : ٩٧) .

(٧) تفسير الطبري (١ / ٣٠٢) .

(٨) وهي قراءة شاذة ؛ قرأ بها الحسن البصري والأعمش . واتفق القراء العشرة على قراءتها (خطاياكم) . ينظر : مختصر شواذ القرآن (ص: ١٣) ، والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ؛ لعبد الفتاح القاضي ؛ دار الكتاب العربي ، ط١ / ١٤٠١هـ –١٩٨١م ، بيروت / لبنان ، (ص : ٢٩) ، وينظر : تفسير ابن عطية (١/١٥٠) ، وتفسير الرازي (٣/٨٤) .

سِمْقَاثا) أي : حِنطَة حمراء بلغتهم ، قالوا هذا القول ؛ استهزاءً وتبديلاً مكان القول الذي امروا به ؛ وهو ما قال الله ﷻ : ﭽ ﭲ ﭼ ، وقال الحسنُ ــ رضي الله عنه ــ : أُمِروا أن يقولوا حِطَّة ، فقالوا : حِنطة ، أُمِروا أن يدخلوا الباب رُكَّعًا ؛ فدخلوا زَحْفًا [١] ، ويقال : منحرفين خالفوا في الدخول ؛ كما خالفوا في القول[٢]. فأنزل الله تعالى عليهم رجزًا : عذابًا ؛ قيل : إنه الطاعون[٣]. قال الكلبي : أخذهم مُوتان [٤] ؛ وهو نوع من الطاعون ، ، فمات منهم أربعة وعشرون ألفًا في ساعةٍ واحدةٍ [٥] ، ويقال : هلك منهم سبعون ألفًا فجأةً [٦] ، وقيل : نزلت بهم نارٌ فأحرقتهم ؛ لتبديلهم ما أُمِروا به [٧].

قوله ﷻ: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ

معناه : استدعى موسى ــ عليه السلام ــ أن يَسقيَ قومه حين استغاثوا به وقت ما أصابهم من العطش حال نزولهم في الأرض القفرة بعد غرقِ فرعون .

ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ قال ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : أمره الله تعالى أن يأخذ حجرًا خفيفًا مثل رأس الإنسان ، فيضربه بعصاه فضرب ، فانفجر منه اثنتا عشرة عينًا لاثني عشر

---

(١) لم أقف عليه عن الحسن البصري . وينظر: تفسير السمرقندي (١/٨٣) ، وتفسير ابن عطية (١/١٥١) ، وتفسير زاد المسير (١/٨٦) .

(٢) ينظر : تفسير السمرقندي (١/٨٣) .

(٣) ينظر : تفسير السمرقندي (١/ ٨٣) عن أبي روق ، وزاد المسير (١/ ٨٦) عن وهب بن منبه ، ، وتفسير ابن كثير (١/١٠١) عن سعيد بن جبير والشعبي .

(٤) جاء في لسان العرب (٢ / ٩٣) مادة (موت) : المُوْتَان ، بوزن البُطْلان وهو : الموت الكثير الوقوع .

(٥) ينظر: تفسير ابن عطية (١ / ١٥١) ، وزاد المسير (١/ ٨٦) ، و تفسير البيضاوي (١/ ٣٢٩) . .

(٦) ينظر: تفسير ابن عطية (١ / ١٥١) ، وزاد المسير (١/ ٨٦) ، والتسهيل لعلوم التنزيل ؛ لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي ، ط٤/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار الكتاب العربي / لبنان (١/٤٩) .

(٧) ينظر: تفسير السمرقندي (١/ ٨٣) .

سبطًا ، لكلِّ سبطٍ منهم عينٌ يشربون منها لا يخالطهم فيها غيرهم ؛ وذلك للعصبيَّة الـــتي كانت بين الأسباط ، قد علِمَ كلُّ سبطٍ موضع شربهم ، كانوا إذا ارتحلوا استمسك الحجر فحملوه ، وإذا نزلوا وضعوه فانفجر[١].

ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ أي : قيل لهم كلوا واشربوا ، ولا تسرعوا إلى الفساد في الأرض عاصين . والاستسقاء : طلب السقي ؛ كما يقال : اسْتَنصَرَ ، أي : سأل النصرة .

والانفجار : الانشقاق ؛ وسُمِّي الفَجْرُ فَجْرًا ؛ لأنه ينشق من الظلام / ، وسُمِّيَ الفاسق فاجرًا ؛ لأنه يشقُّ عصى المسلمين[٢]، وأما قوله تعالى في آية أخرى : ﭽ ﭦ ﭧ ﭨﭼ[٣] ؛ ؛ الانبجاس في اللغة : أول ما يتقاطر من الماء وينشق[٤] ، والانفجار حين السيلان ، فكان فكان الانبجاس في أول القصة ، والانفجار في آخرها ، والانبجاس أقل من الانفجار . ل[٢١/أ]

وقُرِأت (عشْرة) ؛ بتسكين الشين وكسرها ، وكلاهما لُغتان [٥]. وﭽﭨﭼ : نُصِـــبَ على التمييز[٦] . والعثو والعيث : أشد الفساد[٧]؛ وإنما جمع ــ والله أعلم ـــ في الآية بـــين لفظ العثي والفساد ، وإن كان معناهما واحد [٨]، على جهة التوكيـــد ؛ كمـــا يقـــال : كذب ، وزور، وظلم ، وجور .

واختلف أهل التفسير في الـــحَجَرِ الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية :

---

(١) أخرج (نحوه) الطبري في تفسيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما – = = (٣٠٧/١) ، وينظر: تفسير السمرقندي (٨٣/١) ، وتفسير البغوي (١/ ٧٧) .

(٢) ينظر: لسان العرب (٤٧/٥) مادة (فجر) ، ومختار الصحاح (٢٠٦/١) مادة (فجر) .

(٣) من الآية : ١٦٠ من سورة الأعراف .

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٣٧/١) ، ولسان العرب (٦ / ٢٤) مادة (بجس) .

(٥) وقراءة كسر الشين قراءة شاذة قرأ بها المطوعي عن الأعمش ، واتفق القراء العشرة على قراءتها بالسكون . ينظر: إملاء ما منَّ به الرحمن (٣٩/١) ، والتبيان في إعـــراب القـــرآن (٦٧/١) ، وإتحاف فضلاء البشر (١٨٠/١) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٤١) .

(٧) ينظر: زاد المسير (٨٧/١) ، وتفسير أبي حيان (٣٨٠/١) .

(٨) ينظر: لسان العرب (٢/ ١٧٠) مادة (عيث) ، وتاج العروس (٣٠٦/٥) مادة (عيث) .

قال بعضهم : كان الله تعالى أمر موسى ــ عليه السلام ــ بأن يأخذ [هذا](١) الحجر من أسفل البحر حين مرَّ فيه مع قومه (٢) ، وقال بعضهم : إنه كان من الجنّة (٣)، ويقال : كان كان حجرًا من أحجارِ الأرض جعله الله تعالى معجزةً لنبيه ــ ﷺ ــ (٤).

ولا يُسْتَنكَر مِن مُحْدِثِ الحجر ؛ أن يُحْدِثَ الله تعالى فيه ما شاء ، كما شاء ، وكم شاء ، والله أعلم .

قولـــه ﷻ: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ

قال أهل التفسير : وذلك أنه لما طالت المدة على بني إسرائيل في التِّيه ، وأَجِمُوا(٥) مـــا كانوا فيه من النّعمة والخير ، عادوا في المسألة لموسى ــ عليه السلام ــ ، فقـــالوا : لـــن نستطيعَ أن نصبرَ على طعامٍ واحدٍ ؛ عنوا به المنَّ والسّلوى ؛ سموهما طعامًا واحـــدًا ؛ لأن غذاءهم كان في كلِّ يوم على صفةٍ واحدةٍ ، وهذا كالرجل يقول : طعامي في كلِّ يـــومٍ واحد ، وإن كان يتناول في كلِّ يوم ألوانًا من الأطعمة ، ويريد بالواحد ؛ إذا حبس نفسه على ألوانٍ منها معلومة .

وقال بعضهم : أرادوا بالطعام الواحد المنَّ خاصة ، فإن السّلوى كان قد ذهب عنهم(٦).

عنهم(٦).

ويجوز أن يكون عنَوا بالواحد : طعام السماء ؛ أي : كلُّ ما نَطْعَم ينـــزل من الســـماء ، ولا نَطْعَم مـــا نبـــت مـــن الأرض . ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ أي : ســـل لأجلنـــا خالقـــك .

---

(١) كُتبت في الأصل ، وفي النسخة (ب) : (هذه) ، والصواب ما أثبته ؛ لضرورة السياق .

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي (١ /٨٤) ، وتفسير أبي حيان (٣٨٩/١) .

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي (١ /٨٤) ، وتفسير أبي حيان (٣٨٩/١) .

(٤) ينظر: تفسير السمرقندي (١ / ٨٤) ، وتعين موضع الحجر من الإسرائيليات التي ليس في ذكرها ذكرها فائدة تعود على المكلفين في دينهم ودنياهم .

(٥) أَجِم الطعام واللبن وغيرهما يأْجِمُه أَجمًا ، وأَجَمَه أجمًا : كرهه وملَّه من المداومة عليه . لســـان العرب (١٢/ ٧) مادة (أَجَم) .

(٦) لم أقف على مصدره .

ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ من نباتها ، ثم بيّنوا أجناسًا ، فقالوا : ﭽ ﮪ ﮫ ﭼ : وأراد بــه البقــول كلها ، ﭽ ﮬ ﭼ : وأرادوا جميع ما يخرج من إلقاءِ البزر من البطيخ ونحو ذلك ، ويقــال : القثّاء نوع من الخيار واحده قثاة [١]. ﭽ ﮭ ﭼ : أرادوا به الحِنطة والخبز ، ويقال لســائر الحبوب التي تختبز : الفوم ، ويقول الرجل لجاريته : فومي لنا : أي اختبزي[٢]، وقيل : إن الفومَ هو الثوم ؛ أبدلت الثاء بالفاء ؛ كما قالوا للقبر : جدث وجدف[٣] ، قال لهم موسى ــ عليه السلام ــ : ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ أي: أوضعُ وأخسُّ في المقدار بالذي هو أشرف : وهو المنَّ والسَّلوى .

ﭽ ﯙ ﯚ ﭼ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: أراد به مِصْرَ فرعون الــذي خرجوا منه ، فكرهوا ذلك[٤] ، ويقال : هذا خطابٌ من الله تعالى على لسان يُوشَع بــن نون ، فأمرهم بنــزول قرية أَريْحاء وقت خروجهم من التِّيه[٥]، فإن لكم بمصرَ ما سألتم من البقول والقثّاء وغير ذلك ، ثم قطع الله تعالى السؤال والجواب في هذه الآية بكلام من عنده ، فقال عزَّ من قائل : ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ أي : وُضِعَت وأُلزِمَت وأُثبتَت عليهم الذِّلة : وهي الجزية على وجه الصَّغار[٦] ، ﭽ ﯣ ﭼ أي : الفقر ؛ يُرى كلُّ رجلٍ من اليهود عليه زيَّ الفقر وإن كان غنيًّا ، وقد يُرى المكثر الثري منهم الفقر ؛ مخافة أن تضــاعفَ عليــه

---

(١) ينظر: العين (٥/٢٠٣) مادة (قثأ) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (١/٨٩) .

(٢) ينظر: لسان العرب (١٢/٤٦٠) مادة (فوم) ، وينظر : تفسير السمرقندي (١/٨٤) ، وتفسير أبي حيان (١/٣٨١) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٤٣) ، وتفسير السمرقندي (١/٨٤) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٣١٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٢٤) رقم (٦١٩) عن أبي العالية ، وينظر: تفسير السمرقندي (١/٨٤) ، وفي زاد المسير عن ابن عباس ــ رضــي الله عنهما ــ (١ / ٨٩) .

(٥) والسياق يؤيد الخطاب على لسان موسى عليه السلام . ينظر: تفسير الســمرقندي (١/٨٢) ، وزاد المسير (١/٨٤) .

(٦) أخرجه الطبري (١/ ٣١٥) ، وابن أبي حاتم (١/١٢٥) رقم (٦٢٣) في تفسيرهما عن = = معْمر عن الحسن وقتادة ، وانظر : تفسير السمرقندي (١/٨٥) عن الحسن البصري وقتادة .

الجزية[١] ، ويقال المسكنة : فقر القلوب[٢]، يقول النبيّ ـ ﷺ ـ : « الغِنَى غِنى القلبِ »[٣]. ﭼ ﭽ ﭼ أي : رجعوا بغضبٍ استحقوه من الله تعالى بصنيعهم ذلك ، بأنهم كانوا يجحدون بدلائل نبوّة رسول الله ـ ﷺ ـ . ﭼ ﭼ بلا جرم منهم ؛ قتلوا زكريّا ويَحيى ، وغيرهما من الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ ، ذكر الكلبي ـ رحمه الله ـ : أنهم قتلوا في يومٍ واحدٍ ثلاثمائة نبيّ ـ عليهم السلام ـ ، وقام سوق بقلهم[٤] في آخر النهار[٥].

ﭼ ﭼ الغضب والذُّل والمسكنة ، فيما عصوا الله تعالى في السّبت وغيره ، وما كانوا يتجاوزون الحدود بركوبهم المعاصي . والدُّعاء في اللغة : هو الطلب مِمَنْ يملك الضر والنفع[٦]، ويقال الدُّعاء : النداء[٧]، وسُمِّيَ الطلب من الله تعالى دعاء ؛ لأنه يدخل فيه حرف النداء ، تقول : يارب ، ويا الله ، ويا رحمن .

وقوله/ تعالى: ﭼ ﮦ ﭼ جَزْمٌ على نية الجزاء ؛ لأن فعلَ الله تعالى لا يكون جوابًا لمسألة موسى ـ عليه السلام ـ ، فمعناه : ادع لنا ربَّك ، فإنك إن دعوته يُخْرِج . ل[٢١/ب]

---

(١) تفسير السمرقندي (٨٥/١) .

(٢) ينظر: تفسير الثعلبي (٢٠٦/١) ، وتفسير البغوي (٧٨/١) .

(٣) وهو جزءٌ من حديثٍ طويل ؛ أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ (٤٦٠/٢) رقم (٦٨٥) كتاب الرقائق ، ذكر كتبة الله جلَّ وعلا الحسنة للمسلم الفقير الصّابر على ما أوتى من فقره ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط معلقًا على سنده : « إسناده صحيح على شرط مسلم » ، وأخرجه أيضًا الحاكم في مستدركه عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ وقال : « هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه » ؛ (٣٦٣/٤) كتاب الرقائق ، رقم (٧٩٢٩) ، وسكت عنه الذهبي .

(٤) ينظر: تفسير أبي حيان (٣٩٩/١) .

(٥) أخرج (نحوه) ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ (١٢٦/١) رقم (٦٣٢) ، وينظر: تفسير ابن عطية (١٧٧/١) ، وزاد المسير (٩٠/١) ، وتفسير القرطبي (٤٦/٤) .

(٦) ينظر : لسان العرب (٢٥٧/١٤) مادة (دعا) .

(٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١٦٩/١) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٨٩/١) .

والبقل : هو العشب الذي تخرجه الأرض بالربيع ، وإنما خصَّ الربيع بذلك ؛ لأن الأرضَ إنما تخرج ذلك بالربيع في الغالب[١]. وقوله تعالى : ﴿ وَ ﴾ : تقرأ بالهمز وغير الهمز[٢]، فمَنْ قرأ بالهمز ؛ فأصله من الدناءة : وهي الخِسَّة ، ومَنْ قرأ بغير الهمز ؛ فيجوز أنه ترك الهمز ؛ للتخفيف ، ويجوز أن يكونَ معناه بغير الهمز أقرب من الدنوِ أي : أقلُّ قيمة ، يقال : ثوب مقارب ؛ أي قليل القيمة ، ويقال : هو أَدْوَن ، فقدمت النون وحولت الواو ألفًا ؛ كقولهم : أولى من الويل .

وقوله تعالى : ﴿ ئُ ﴾ : يُقرأ بالألف وغير الألف ، فمَنْ قرأ بالألف ؛ أراد مصرًا من الأمصار أيّ مِصْرٍ كان ، ومَنْ قرأ بغير الألف ؛ عنى به مِصْرًا بعينه فلم يصرفه ؛ لأنه اجتمع فيه المعرفة والتأنيث من حيث أنه أراد به البقعة ، وإذا اجتمعت فيه العلتان لم يصرفه ، فإذا زالت إحدى العلتين صُرِف[٣] ، وأصل المِصْر: القَطْع ؛ يقال : مَصَرْتُ الشيءَ إذا قطعته ، وقيل أصله : الفَصْل ، وسُمِّيَ المِصْرَ مِصْراً ؛ لأنه فُصِل عن غيرِه بالأبنية[٤].

والذِّلة ، والذُّل ، والمذَلَّة : الصّغار[٥]، وأصل الجميع : هو السُّهولة ؛ إلا أنّ الذُّلَ : هو السهولَة عن قهرٍ ، والذِّلة : هي السهولة عن مساحة . والمسْكَنة مفْعَلة من السّكون ،

---

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٦/٤٣٤) مادة (بقل) ، والقاموس المحيط (١/١٢٤٩) مادة (بقل) .

(٢) و لم أقف على هذه القراءة في كتب القراءات المتواترة والشاذة . وينظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٤٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٤٣) ، ولسان العرب (١/٧٨) مادة (دنأ) .

(٣) قرأ (اهبطوا مِصْرَ) من غير تنوين ؛ الأعمش ، واتفق القراء العشرة على قراءتها بالألف والتنوين (مِصْرًا) . ينظر : مختصر شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ١٤) ، والقراءات الشاذة (ص: ٢٩) ، وينظر: تفسير الطبري (١/٣١٥) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٤٤) ، وتفسير ابن كثير (١/١٠٢) .

(٤) ينظر: لسان العرب (٥/١٧٦) مادة (مصر) ، وتاج العروس (١٤/ ١٢٥) مادة (مصر) .

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١/٣١٥) ، وتفسير القرطبي (١/٤٣٠) .

والمسكين : الذي أسكنه الفقر ، أي قلل حركته [١].

وأصل (باءَ) من الـمَبَأةِ : وهي المحل ، قال الله تعالى : ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ[٢]أي : أحللناهم ، ويقال : فلانٌ تبوأ منزلاً ؛ أي : حَلَّ منزلاً [٣] ، وقيل : أصله من بواء : أي سواء[٤]؛ كما رُويَ عن عُبادة بن الصَّامت[٥] [رضي رضي الله عنه] أنه قال : « جعل الله تعالى غنائم بدر لنبيه ــ ﷺ ــ خاصَّة ، فقسَّمها بينهم عن بواءٍ »[٦] أي : سوَّى بينهم في القَسْم ؛ فعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ أي: استَوَوْا في الغضب من الله تعالى .

والنبيء : أصله الهمز من النباءِ : وهو الخبر ، هكذا قرأ بعضهم[٧]، ومَنْ ترك الهمز آثر التخفيف ؛ لكثرة الاستعمال [٨]، ويجوز أن يكون مأخوذًا من نبا ينبو ؛ إذا ارتفع ، والنبوّة: الرِّفعة ؛ كالنَّشْزَةِ من الأرض [٩]، وترك الهمز أجود على ما رُويَ عن رسول

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٤٤) ، وتفسير الثعلبي (٢٠٦/١) ، وتفسير البغوي (٧٨/١) .

(٢) من الآية : ٩٣ من سورة يونس .

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٣١٢/١) مادة (بوأ) ، ولسان العرب (٣٦/١) مادة (بوأ) .

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١ /٤٣٠) ، وفتح القدير (٩٢/١) .

(٥) عُبادة بن الصَّامت هو : أبو الوليد الخزرجي من بني عمرو بن عوف ، بدريّ ، وهو أحد من جمع القرآن ، شهد بدرًا ، وكان أحد النقباء بالعقبة ، مات بالرملة عام ٣٤ هـ . ينظر : الاستعياب (٨٠٧/٢) رقم (١٣٧٢) ، والإصابة (٣/ ٦٢٤) رقم (٤٥٠٠) .

(٦) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن عبادة بن الصامت ــ رضي الله عنه ــ (٣٢٢/٥) رقم (٢٢٧٩٩) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد عن رجال الإمام أحمد : « ثقات » (٢٦/٧) ، وأخرجه أيضاً البيهقي في سننه الكبرى عن عبادة بن الصامت ــ رضي الله عنه ــ (٢٩٢/٦) رقم (١٢٤٩٤) كتاب قسم الفيء والغنيمة ، باب بيان مصرف الغنيمة في ابتداء الإسلام .

(٧) قرأ نافع بالهمز ، والباقون بالياء المشددة . ينظر: إبراز المعاني من حرز الأماني (٣٢٧/١) ، وإتحاف فضلاء البشر (٨٢/١) ، والبدور الزاهرة (ص: ٣٢) .

(٨) ينظر: معاني القراءات (ص: ٥١ – ٥٢) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص :٩٨) .

(٩) ينظر: مختار الصحاح (٢٦٨/١) مادة (نبو) .

اللهـ ـ ﷺ ـ أنه لما قيل له : « يا نبيءَ الله » . قال : « لست بـنبيء الله ، ولكـني نـبيُّ الله تعالى »(١).

وقتل الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ لم يكن خذلانًا لهم ، وإنما أراد الله تعالى أن يبلِّـغَ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ درجةً رفيعةً لا يُوصَل إليها إلا بالقتل .

وإن قيل : في الآية إثبات الغضب والذِّلة لليهود الذين كانوا في زمن الـنبيّ ـ ﷺ ـ ، ومَنْ يكون منهم إلى يوم القيامة ، وهم لم يقتلوا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وإنما قتـل آباؤهم ! فكيف يكون معنى قولـه تعـالى : چ
   چ ؟

قلنا: هؤلاء اليهود يتولُون آباءهم الذين قتلوا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، وقد قصدوا قتل النبي ـ ﷺ ـ فكأنهم هم الذين قتلوا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، وقد رُويَ عن رسـول الله ـ ﷺ ـ أنه قال لليهود : « ألستم تتولون الذين قتلوا الأنبياء بغير الحق ؟ فقالوا : ما قتل آباؤنا إلاَّ أنبياء الزور »(٢).

قوله ﷻ : چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹچ

أخبر الله تعالى في هذه الآية بعد قوله تعالى : چ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ   چ أي : مَنْ آمن منهُم ومِنْ غيرهم ؛ مِنَ النّصارى ، والصّابئين ، وعَمِل صالحًا ، فله أجره عند ربـه ، ولا يؤاخذ بمتقدم فعله ولا بفعل آبائه وسلفه .

قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: معنى الآية إن الذين آمنوا بموسى ـ عليه السلام ـ والتوراة ، ولم يتسمَّوا باليهودية ، والذين آمنوا بعيسى ـ عليه السلام ـ والإنجيـل ، ولم يتسمَّوا بالنّصرانية ، والذين تسمَّوا باليهودية أو النصرانية ، والصّابئين مَنْ آمن منهم فلهم

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ (٢/٢٥١) كتاب التفسير رقـم (٢٩٠٦) ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . قال الذهبي معقباً : « بـل منكر لم يصح » ، وينظر : تفسير السيوطي (١/١٧٨) وعزاه للحاكم .

(٢) لم أقف عليه ، والله أعلم بصحته .

أجرهم[1] ، وقال القُتَيبي : معنى الآية ؛ إن الذين آمنوا بألسنتهم ، ولم تؤمن قلوبهم ؛
كأنه قال : إنَّ الذين نافقوا ، والذين هادوا[2]، ويقال معنى قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ:
الثبات على الإيمان من المؤمنين في مستقبل عمرهم[3]؛ كما قال الله تعالى: ﭽ
ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ[4] ، ومعناه : استئناف الإيمان في اليهود ،/ والنّصارى ، ل[٢٢/أ]
والصّابئين . ويقال : إن قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭼ راجعٌ إلى الذين هادوا من بعدهم ؛
كأنه قال : إن الذين آمنوا ، ومَنْ آمن من الذين هادوا ، والنّصارى ، والصّابئين[5] .
والصّابئون: فِرْقَة من النَّصارى ألين قولاً منهم ؛ يحلقون أوساط رؤوسهم[6] ، قال أبو
حنيفة ــ رحمه الله ــ: هم من أهل الكتاب تحل مناكحتهم ، وذبائحهم إنّما هم يُعظمون
الكواكب السّبعة ولا يعبدونها[7]، وقال أبو يوسف[8] ومحمد[9]:
ومحمد[9]: ليسوا من أهل الكتاب ، ولا يحل للمسلمين ذبائحهم ، ولا مناكحة نسائهم ؛
لأنهم يعبدون الكواكب السّبعة ، ويقولون : إنها مدبرات ، وإن الله تعالى جعل تدبير العالم

---

(١) وهذا القول عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ من رواية أبي صالح . تفسير السمرقندي (١ /٨٥) ، وتفسير الثعلبي (٢٠٩/١) .

(٢) تفسير السمرقندي (٨٦/١) وذكر القُتْبي بدلاً من القُتَيبي ، وينظر: تفسير الثعلبي (٢١٠/١) ، وتفسير البغوي (١/ ٧٩) ، ونَسبه ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير (١ / ٩١) ، والقرطبي في تفسيره (١ / ٤٣٢) إلى سفيان الثوري .

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية (١٥٦/١) ، وتفسير الرازي (٩٧/٣) .

(٤) من الآية : ١٣٦ من سورة النساء .

(٥) ينظر: تفسير السمرقندي (١/ ٨٦) ، وزاد المسير (١ / ٩٢) .

(٦) تفسير السمرقندي (٨٦/١) ، وتفسير الثعلبي (٢٠٩/١) ، وتفسير البغوي (٧٩/١) ، وزاد المسير (٩٢/١) .

(٧) البحر الرائق (١١١/٣) ، وينظر : تفسير السمرقندي (٨٦/١) ، وينظر: تفسير القرطبي (٤٣٤/١) .

(٨) ينظر ترجمته (ص:٣) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٩) ينظر ترجمته (ص:٣) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

إليها ، وعابد الكواكب كعابد الوثن[١]. وفي الحقيقة لا خلاف بين أبي حنيفة وصاحبيْه وإنما اختلفوا ؛ لاشتباه حالهم ، والله أعلم .

قوله تعالى : ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ أي : صدَّق بالله تعالى ويوم البعث ، ولايكون الإيمان بالله تعالى إلاّ بالإيمان بأنبياء الله ـ صلوات الله عليهم ـ ، وكتبه ، ورسله ؛ وكأنه قال : مَنْ آمن بالله تعالى ، وبجميع ما أنزل الله تعالى ، وعمل الطّاعات المفروضات ، فلهم جزاء أعمالهم عند ربهم ، ﭖ ﭗ ﭘ فيما يستقبلهم من أمر الآخرة ، ﭙ ﭚ ﭛ على ما خلفوا من الدنيا .

ومعنى ﭜ أي: صاروا يهودًا ، يقال: هَادَ يَهُود هودًا ؛ إذا صار يهوديًّا ؛ وقد اختلفوا في اشتقاق هذا اللفظ : قيل : إنه مشتق من الـهَوْدِ الذي هو التوبة ؛ كما قال الله تعالى : ﭝ ﭞ ﭟ[٢] أي : تبنا إليك[٣]، وقيل : إن اشتقاقه من الميل ، يقال : هادَ إذا مالَ عن عن الطريق[٤] ، وقد قيل: إنهم سُمُّوا يهودًا على طريق النسبة إلى أكبر أولاد يعقوب ـ عليه السلام ـ وهو : (يهوذا) ، إلا أن العرب إذا عرَّبت أسماءً غيَّرت بعض حروفها[٥].
والنّصارى لفظ جمع اختلفوا في واحدِه : قيل : واحدُه نَصْرَان ؛ كما يقال : سَكْرَان وسُكارى ، ونَدَمان ونُدَامَى[٦] ، وقيل : نَصْرِي مثل: بعير مَهْرِي ، وإبل مَهاري[٧]، وزيدت في النصراني (ياء) النسبة ؛ كقولهم لذي اللحية : لحياني ، ولعظيم الرقبة : رَقَباني

---

(١) تفسير السمرقندي (٨٦/١) ، وينظر: تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ؛ لفخر الدين عثمان بن بن علي الزيلعي الحنفي ، ١٣١٣هـ – دار الكتب الإسلامي / القاهرة ، (١١٠/٢) ، وينظر : البحر الرائق (١١١/٣) .
(٢) من الآية : ١٥٦ من سورة الأعراف .
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٣١٨/١) ، وتفسير السمرقندي (١ / ٨٦) ، وتفسير ابن عطية (١/ ١٥٧) ، وتفسير القرطبي (١ /٤٣٣) .
(٤) ينظر: تفسير السمرقندي (١ / ٨٦) ، وتفسير الثعلبي (٢٠٨/١) .
(٥) تفسير ابن عطية (١/ ١٥٧) ، وتفسير الرازي (٩٧/٣) ، وتفسير أبي السعود (١٠٨/١) .
(٦) تفسير الطبري (٣١٨/١) ، وتفسير ابن عطية (١/ ١٥٧) ، وتفسير الرازي (٩٧/٣) .
(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٤٧) ، وتفسير ابن عطية (١/ ١٥٧) .

.

واختلفوا في اشتقاق هذا الاسم : قيل : إنهم سُمُّوا نَصارى ؛ لأن أصلهم من قريةٍ يقال لها (ناصِرة) كان ينـــزلها عيسى ـ عليه السلام ـ ، وأمُّه ـ رضـــي الله عنـــها ـ [1]، وقيل : سُمُّوا نصارى ؛ لنصرهم عيسى ـ عليـــه الســـلام ـ حـــين قـــال : چ □ □ □ □ چ [2] ؟ ، وقيل : لتناصرهم[3]. وأمَّا الصَّابئون : فهو اسمٌ مشتقٌ مِنْ صَـــبأَ ؛ إذا خرج من دينٍ إلى دينٍ ، وصَبأَ نابُ البعيرِ؛ إذا طَلَعَ ، وصَبَأَتْ النجومُ ؛ إذا ظَهَرَتْ[4] ، ، كما رُويَ أن عمرَ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ دخل المســـجد في أول إســـلامه ، وكـــان في المسجد أهل مكة ، فقالوا : « صَبَأَت يا عمر » . قال : « لم أصْبَأْ ولكنّي أَسْلَمتُ » [5].

---

(١) لا بأس بالترضي على السيدة مريم البتول ـ رضي الله عنها ـ فقد ذكر الإمام النووي ـ رحمه الله ـ كلاماً مفصّلاً في ذلك ؛ حيث قال : « فإن قيل : إذا ذُكِر لقمان ومريم ؛ هـــل يُصـــلَّى عليهما كالأنبياء ، أم يُتَرضَّى كالصحابة والأولياء ، أم يقول عليهما السلام ؟ فـــالجواب : أنّ الجماهير من العلماء على أنهما ليسا نبيّين ، وقد شذَّ مَنْ قال : نبيّان ، ولا التفات إليه ولا تعريج عليه ، وقد أوضحت ذلك في كتاب تهذيب الأسماء واللغات ، فإذا عُرِف ذلك فقد قال بعـــض العلماء كلامًا يفهم منه أنه يقول : قال لقمان أو مريم صلى الله على الأنبياء وعليه أو عليهمـــا وسلم ؛ قال : لأنهما يرتفعان عن حالِ مَنْ يقال : رضي الله عنه ؛ لما في القرآن ممّا يرفعهمـــا ، والذي أراه أنّ هذا لا بأس به ، وأن الأرجح أنْ يقال : رضي الله عنه أو عنها ؛ لأن هذا مرتبة غير الأنبياء ، و لم يثبت كونهما نبيّين ، وقد نقل إمام الحرمين إجماع العلماء على أنّ مريم ليست نبيّه ذكره في الإرشاد ، ولو قال : عليه السلام أو عليها ؛ فالظاهر أنه لا بأس به ، والله أعلم » أ هـــ . الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ؛ لأبي زكريا يحيى بن شرف الـــدين النـــووي ، ١٤٠٤هـــ - ١٩٨٤م ، دار الكتب العربي / بيروت ، (١ / ٩٥) .

(٢) من الآية : ١٤ من سورة الصف .

(٣) تفسير الطبري (٣١٨/١) ، وتفسير السمرقندي (٨٦/١) ، وتفسير ابن عطية (١/ ١٥٧) .

(٤) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٣٥٤/٨) مادة (صبأ) ، ولسان العـــرب (١/ ١٠٧) مـــادة (صبأ) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١ / ٤١) ، وأبو بكر أحمد بن حسين البيهقـــي في دلائـــل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، وثق أصوله وخرج أحاديثه الدكتور : عبد المعطـــي

ومَنْ قال : (الصّابين) بغير الهمز[(١)] ؛ فيجوز أنه ترك الهمز ؛ للتخفيف ، ويجوز أن يكون من صَبَا يَصبُو إذا مال[(٢)] ؛ كما [قال الله تعالى][(٣)] : چگ‌ گ‌ چ[(٤)] أي : أمِل إليهن ، وذُكِر آخر الآية بلفظ الجمع ؛ لأن أصلَ (مَنْ) لفظٌ مِن لفظِ الوُحدان ، ومعناه معنى الجمع ، فجمع على المعنى .

فإن قيل : إذا كان المؤمن عاملاً لنفسه ، فما معنى إعطاء أجره ؟

قيل : لما حمَلَ على نفسه المشقة ، وحرمها ما نازعته إليه من الشهوة ، فأجره في الآخرة عِوضُ ما فاته من اللذات في الدنيا .

قوله ﷻ : چ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ چ

عطفٌ على ما تقدم من الآيات التي هي خطابٌ لبني إسرائيل إنما كان قوله : چ ... چ إلى هذه الآية معترضًا في حال الكلام .

قلعجي ، ط١/ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان (٤ / ٨٠) وكلاهما عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده ؛ وهي رواية ضعيفة ، وينظر: تاريخ الإسلام (١٧٤/١) ، وتاريخ الخلفاء ؛ لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١/ ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م ، مطبعة السعادة / مصر ، (١١٠/١) ، وينظر : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ؛ لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، دار الكتب العلمية / بيروت ، (٤٧١/٢) .

(١) قرأ نافع وأبو جعفر بحذف الهمزة ، والباقون من القراء العشرة بإثباتها . ينظر: تحبير التيسير في القراءات العشر ؛ لابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف ، تحقيق : د . أحمد محمد مفلح القضاة ، ط١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، دار الفرقان / الأردن - عمان ، (٢٨٨/١) ، وينظر : البدور الزاهرة (ص: ٣٢) .

(٢) وينظر: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (١/ ٨١) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص : ١٠٠) .

(٣) والمستحسن أن يقال : قال الله تعالى على لسان نبيه يوسف _ عليه السلام _ ؛ تأدبًا مع الله ﷻ.

(٤) من الآية : ٣٣ من سورة يوسف .

ومعنى هذه الآية ــ والله أعلم ــ: واذكروا إذ أخذنا ميثاقكم على العبادة وإقامة الطاعات ، بفطرة العقول وبعثة الأنبياء ــ صلوات الله عليهم ــ ، فقبلتموه وأقررتم به ، ثم أعرضتم من بعد ذلك ، قال ابن عباس [رضي الله عنهما] : هما ميثاقان فالأول : حين أخرجهم من صلبِ آدم ــ عليه السلام ــ كالذَّرِّ ؛ كما قال الله تعالى : ﭽﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ[1]ﭼ[2] ، والثاني : هو الميثاق الذي أُخِذَ عليهم في التوراة وسائر الكتب ؛ كما قال الله تعالى : ﭽﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﭼ[3]، والمراد به في هذه الآية : الميثاق الثاني ؛ فإنهم لا يذكرون الأول[4]. قال مُجاهد وقَتَادة : الطّور ؛ الجبل أي جبلٍ كان[5] ، وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: هو من الجبالِ ما أنبتَ خاصّة[6]. ومعنى ﭽﭰ ﭱ ﭲ ﭼأي : اعملوا به بجدٍّ ومواظبةٍ في طاعة الله تعالى ، واذكروا ما فيه من الثواب والعقاب ؛ يسهل عليكم القبول فتتقوا المعاصي .

قال الكلبي : وذلك أنه لما أتاهم موسى ــ عليه السلام ــ بالتوراة فرأوا ما فيها من التغليظ ؛ كبُر ذلك عليهم / فأبوا أن يقبلوا ، فأمر الله تعالى جبلاً من جبال فلسطين ، ل[٢٢/أ] فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظُّلة ، وكان العسكر فرسخًا في فرسخٍ ،

---

(١) كُتبت في المخطوط : (ذرياتِهم) : وبها قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، وابن عامر بالجمع وكسر التاء ، والباقون من القراء العشرة : بالإفراد وفتح التاء . ينظر : النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٧٣) .

(٢) من الآية : ١٧٢ من سورة الأعراف .

(٣) من الآية : ٨١ من سورة آل عمران .

(٤) تفسير السمرقندي (١/ ٨٦) عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، وضعَّف الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب (٩٩/٣) هذا القول عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ .

(٥) ينظر: تفسير السمعاني (١/ ٨٩) غير منسوب لأحد ، وفي تفسير ابن عطية (١٥٨/١) عن مجاهد وعكرمة وقتادة ، وفي تفسير القرطبي (١/ ٤٣٦) عن مجاهد وقتادة .

(٦) أخرجه (بنحوه) الطبري في تفسيره (٣٢٥/١) عن الضَّحاك عن ابن عباس ــ رضي الله = = عنهما ــ ، وينظر : تفسير ابن عطية (١٥٨/١) عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، وتفسير القرطبي (١/ ٤٣٦) عن الضحاك عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ؛ وطريق الضحاك عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ منقطع .

والجبل مثل ذلك ، فأوحى الله تعالى إلى موسى ــ عليه السلام ــ : أن قل لهــم : اقبلــوا التوراة بما فيها ، وإلا رميتهم بهذا الجبل فرضختهم به ، فلمّا رأوا أن لا مهرب لهم قَبِلــوا التوراة وما فيها ، وسجدوا من المهابة والفزع ، وجعلوا وهم سجود يلاحظون الجبــل ؛ مخافة أن يقع عليهم ، قال ابن عباس [رضي الله عنهما] : فمِنْ أجلِ ذلك سجد اليهــود على أنصافِ وجوههم[١] ، ومن هذا قيل : إنَّ مِنْ ما منَّ الله تعالى على هــذه الأمُّــة أن فرضَ عليهم الفرائض واحدةً بعد واحدةٍ ، متى استقرت الواحدة في قلوبهم ، فرض عليهم الأخرى كيلا يَشُقَّ عليهم .

قوله ﷻ:ﭼ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮈ ﭼ

يقول : أعرضتم من بعد أخذ الميثاق ، فلولا منَّ الله تعالى عليكم ورحمته بتأخير العــذاب عنكم ؛ لكنتم من الخاسرين في العقوبة . قال أبو العالية[٢] : أفضــال الله ﷻ: الإيمــان ، ورحمتــه: القــرآن[٣] ، فأمــا التَّــولي عــن الشــيءِ : فهــو تركــه وهجــره ، وصرف الوجه عنه[٤]، وتولي الشيء : هو الحصول في أقرب المراتب منه .

قوله ﷻ: ﭼﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ

المعنى ــ والله أعلم ــ : عرفتم الذين جاوزوا الحدَّ الذي حُدَّ لهــم في الاصــطياد في يــوم السّبت ، فصيّرناهم ﭼﮔ ﮕﭼ : صاغرين مُبعَدين عن رحمة الله تعالى ؛ وذلك أن مدينة يقال لها : (أَيْلة) على ساحل البحر بين المدينة والشام ، كانت مسكن بني إســرائيل ، وكانوا أمروا أن لا يصيدوا في يوم السّبت ، وكانت الحيتان تجتمع فيه ؛ لأَمْنِها في ذلــك اليوم ، فإذا ذهب السّبت لا تأتيهم كذلك ، فحظّروا عشية الجمعة حيث يدخل السّــمك حظيرةً حبسوا السّمكَ فيها يوم السّبت ، وأخذوا منها ليلة الأحد ويوم الأحد ، وقــالوا :

---

(١) أخرجه (بنحوه) الطبري في تفسيره (١ / ٣٢٥) عن أسباط عن السدي ، وينظــر: تفســير السمرقندي (١/ ٨٧) ، وتفسير الثعلبي (١/٢١١، ٢١٢) .

(٢) ينظر ترجمته (ص: ٤٥) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٣) أخرج (بنحوه) الطبري في تفسيره (١/ ٣٢٨) عن أبي النضر عن الربيع عن أبي العالية قال : « فضل الله الإسلام ورحمته القرآن » ، وينظر : تفسير ابن عطية (١/ ١٥٩) .

(٤) ينظر: لسان العرب (٤١٥/١٥) مادة (ولى) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٩٢/١) .

نحن لا نصطاد يوم السّبت ، فمسخهم الله قردة ، فمكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم أُهلِكــوا ؛ كما قال الله تعالى : ﭽﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﭼ[١] إلى آخر القصة [٢]. رُويَ عن ابن مسعود [رضي الله عنه] : أنهم لم يَلِدُوا بعد ما مُسِخوا ، قال : وكذلك الممســوخ لا يكون له نسل ولا ذريَّة [٣]. وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: كانوا رجــالاً ونساءً ، فمسخهم الله تعالى الذّكر ؛ ذَكَراً ، والأُنثى ؛ أُنثى ، وكانوا يتعَاوَوْن ، وكانــت تسيل دموعهم ، ولم يأكلوا ، ولم يشربوا ، ولم يتناسلوا ثم أهلكهم الله تعالى ، فجاءت ريح فهبت بهم ، وألقتهم في الماء ، وما مَسَخَ الله تعالى أمَّة إلا أهلكها [٤]. وحُكيَ عن مجاهد أنه قال : لم تمسخ صورهم ، وإنما مُسِخَت

قلــوبهم [٥] ؛ وعامَّــةُ المســلمين علــى خلافــه ؛ قــال الله تعــالى :ﭽﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ[٦] ، وليس تحويل الصُّوَرِ أعظم من إنشاءِ العُنصر ، فمَنْ آمــن بابتــداع الجــواهر والأجرام ماذا عليه أن يؤمن بانقلاب الصُّور ، وأمَّا قول الله تعالى : ﭽﮏ ﮐ ﮑ ﭼ : فأمر تحويل من صورةٍ إلى صورةٍ ، ويجوز أن يكون ذلك بكلام سمعوه .

والسّبت يوم من أيامِ الجمعة [٧]. سُمِّيَ سبتًا ؛ لأن الله تعالى خلق الأشياء قبله ولم يَخْلق

---

(١) من الآية : ١٦٣ من سورة الأعراف .

(٢) ينظر : تفسير السمرقندي (٨٨/١) ، وتفسير البغوي (٨١/١) .

(٣) تفسير السمرقندي (١/ ٨٨) ، ولم أقف على سنده .

(٤) أخرج (نحوه) الطبري في تفسيره (١/ ٣٣٠) عن عكرمة عــن ابــن عبــاس ــ رضــي الله عنهما ــ ، وينظر: تفسير ابن عطية (١ /١٦١) ، وتفسير القرطبي (١ / ٤٤٣) .

(٥) تفسير مجاهد ؛ لمجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج ، المنشورات العلمية / بــيروت ، (١/ ٧٧) ، وأخرجه الطبري (١/ ٣٣٢) ، وابن أبي حاتم (١/ ١٣٣) (٦٧٢) في تفسيرهما= = عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وقال ابن كثير (١٠٦/١) في تفسيره : « وهذا سند جيــد عــن مجاهد ، وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره ؛ قال الله تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﭼ [من الآية : ٦٠ من سورة المائدة] » ، وينظر : تفسير السيوطي (١٨٥/١) .

(٦) من الآية : ٦٠ من سورة المائدة .

(٧) قصد بأيام الجمعة : أيام الأسبوع .

يَخْلق فيه شيئًا [(١)]، فشُبِّه بيوم الفراغ للنّاس ، ولا يجوز أن يكون يوم الفراغ لله تعالى ؛ إذ الفراغ والشغل لا يجوزان على الله تعالى ، إنما يجوز على مَنْ يفعل الفعل بآلةٍ ، ويشغل آلته ببعض الأعمال ، ويفرغها عن بعض الأعمال ، وقيل : سُمِّيَ سبتًا ؛ لإسبات الخلق فيه لكلام الله تعالى [(٢)] ، وذلك أنّه لّما خلق الله تعالى السّموات والأرض أقبل في البناء على نفسه ، فأطرق كل شيءٍ من خلقه من العرش إلى الثرى .

والقردة : جمع القرد ، والخَسُو : الطرد والإبعاد ، يقال : خَسأْتُ الكلبَ ؛ فخَسَأَ ، أي: أبعدتُه فبَعُدَ [(٣)].

قوله ﷻ: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ

أي : جعلنا المسْخَة ، ويقال : العقوبة [(٤)]؛ وهي ما حَلَّ بالقوم من التشويهِ وتغيير الخِلقة ، ويقال : القرية [(٥)]، ويقال : القردة [(٦)]. ﭽ ﮕ ﭼ للأمَم التي تراها ، والأمم الذين يكونون يكونون بعدها . ﭽ ﮗ ﭼ للذين يتقون الشرك ، والكبائر ، والفواحش ، فيلزمون ما هم عليه من التقوى . والنَّكال : الفضيحة الشّاهرة من العقوبة ؛ أصله المنع ؛ يُسمَّى العقاب الزَّجُور عن الفعل: نَكالاً ، ويُسمّى الامتناع عن القَسَم : نُكُولاً .

وبين يدي الشيء : أمامَه ، وخلف الشيء : وراءه [(٧)] ، ويقال معنى ما ﭽ ﭽ ﮘ ﮙ ﭼ : أي من عقوبة الآخرة ، ﭽ ﮚ ﮛ ﭼ من فضيحتِهم في دنياهم فيُذْكَرون بها إلى

ل[٢٣/أ]

(١) ينظر : تفسير الطبري (١/ ٣٣٢) . ولسان العرب (٢/ ٣٨) مادة (سبت) ، وتاج العروس (٤/ ٥٣٥) مادة (سبت)

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ينظر: العين (٤/ ٢٨٨) مادة (خسأ) ، ولسان العرب (١/ ٦٥) مادة (خسأ) .

(٤) ينظر : تفسير البغوي (١/ ٨١) ، وفي زاد المسير (١ / ٩٥) عن الضحاك عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ .

(٥) ينظر : تفسير السمرقندي (١/ ٨٨) ، وفي زاد المسير (١ / ٩٥) عن قتادة وابن قتيبة .

(٦) ينظر: تفسير الثعلبي (١/ ٢١٣) ، وتفسير ابن عطية (١ / ١٦١) ، وتفسير ابن كثير (١/ ١٠٨) ، وفتح القدير (١ / ٩٦) .

(٧) ينظر: العين (٥/ ٣٧١) مادة (نكل) ، ولسان العرب (١١/ ٦٧٧) مادة (نكل) .

قيام السّاعة[١] ، وعن ابن عباس [رضي الله عنهما] أن معناه /: لما قبل تلك القرية من القُرَى ، ولما بعدها من القُرَى[٢] . والموعِظَة : الزَّجْرُ عن ما يدعو هوى النفس إليه : أي يَنْفِرُ عنه العقل ، وقيل : هي بيان سوء العاقبة[٣].

وهذه الآيات كلُّها احتجاج من الله تعالى عليهم بنعمهِ المترادفة ، وأخبارُ الرسول ـ ﷺ ـ عن عناد سَلَفِهم ، وكفرهم مرةً بعد أخرى مع ظهور الآيات ، وتعزيةُ الرسول ـ ﷺ ـ عندما رأى من جُحودِهم وكُفرِهم ، وليكونَ وقوفه على أخبارِهم حجَّةً عليهم ، وتنبيهًا لهم ، وتحذيرًا أن يَحُلَّ بهم ما حلَّ بمَنْ قبلهم من آبائِهم وأسلافِهم ، وموعظةً للمتقين .

قوله ﷻ: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ مقدَّمٌ في التلاوةِ على قوله تعالى : ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ[٤]، مؤخرٌ عنه في النظم والنزول والنزول ؛ لأن قتلَ النّفسِ كان قبل ذبح البقرة[٥]. ومعنى هذه الآية ـ والله أعلم ـ: واذكروا ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ يعني : لِيُضْرَب المقتول الذي وُجِدَ فيما بين أظهركم ـ ولا تدرون مَنْ قتله ـ ببعض تلك البقرة ، فيحيا فيخبركم مَنْ قتَله .

ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ : سُخرِية ، قال : امتنع بالله أن أكونَ من المستهزئين .

والقصة في هذا ما رُويَ أن بني إسرائيل قيل لهم في التوراة : أيما قتيل بين قريتين ،

---

(١) تفسير الثعلبي (٢١٣/١) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٣٤/١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٣/١) رقم (٦٧٦) عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضي اله عنهما ـ ، وينظر: تفسير ابن عطية (١٦١/١) ، وتفسير أبي حيان (٤١٠/١) ، وتفسير ابن كثير (١٠٨/١) .

(٣) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن (٩٢/١) .

(٤) من الآية : ٧٢ من سورة البقرة .

(٥) أحكام القرآن للجصاص (٤٠/١) ، وتفسير القرطبي (٤٤٥/١) ، والإتقان في علوم القرآن (٣٤/٢) .

فليُقَس إلى أيّهما أقرب ، ثم ليُؤخَذ أهل تلك القرية ، وليحلِف خمسون شيخًا من شيوخهم باللهِ ما قتلوه ولا علموا له قاتلاً ، فعَمَد رجلان أخوان من بني إسرائيل إلى ابن عمٍّ لهما اسمه (عَامِيل) ، فقتلاه ؛ لكي يرثاه ، وكانت لهما ابنةُ عمٍ شابةٌ حسنةٌ مثلاً في بني إسرائيل ، فخافا أن ينكحها ابن عمها ؛ فلذلك قتلاه أيضًا ، ثم حملاه فألقياه إلى جانب قريةٍ ، فأصبح أهل القرية والقتيل بين أظهرهم لا يدرون مَنْ قتَله ، فأُخِذَ أهلُ القرية ، فجاءوا إلى موسى ــ عليه السلام ــ فقالوا : ادع لنا اللهَ أن يُطْلِعَنا على قاتِله ، فدعا ، فأوحى الله تعالى إليه ــ عليه السلام ــ أنْ مُرهم أنْ يذبحوا بقرة ، فقال موسى ــ عليه السلام ــ : ﴿ ہ ھ ﴾ الآية [1] . والبقرة : اسم للمؤنث في هذا الجنس ، واسم الذَّكر منه الثَّور ، وهذا جنس يُخَالف صيغة اسم الأنثى منه صيغة اسم الذكر[2] ؛ فهو كالنّاقةِ ، والجملِ ، والرجلِ ، والمرأةِ ، والجَدْي[3] والعَنَاق[4] .

ومعنى ﴿ ۓ ﴾ : ألجأ ، ويقال : فلانٌ عائذُ قومِه : أي مَلجَأُ قومِه[5]. وقد رُويَ عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنَّه سَمِعَ رجلاً يقول : أعوذ بالله ، فقال ــ ﷺ ــ : « عذتَ بمعَاذٍ » [6].

والجهل نقيض العلم . وفي الآية دلالة على جواز ورود الأمر بشيءٍ مجهول الصّفة ، مع تخيير المأمور في فعل ما يقع عليه الاسم منه ؛ لأن الله تعالى أمرهم بذبح بقرة مجهولةٍ لم

(١) ولم أقف على سنده ، وينظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٥٥/١) ، وتفسير السمرقندي (٨٨/١) عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، وتفسير الثعلبي (٢١٣/١) ، وهذه القصة كما هو واضح من الإسرائيليات التي ينبغي علينا أن نضرب عنها صفحًا طالما أنه لم يرد في شأنها دليل صحيح ، والله أعلم .

(٢) ينظر : لسان العرب (١٠٩/٤) مادة (ثور) ، و التبيان في تفسير غريب القرآن (٩٢/١) .

(٣) الجَدْيُ : الذَّكر من أولاد المعز . العين (١٦٧/٦) مادة (جدي) ، ولسان العرب (١٣٥/١٤) مادة (جدا) .

(٤) العَنَاق : الأنثى من ولد المعز . لسان العرب (٢٧٥/١٠) مادة (عنق) .

(٥) ينظر : لسان العرب (٤٩٨/٣) مادة (عوذ) ، والمعجم الوسيط (٦٣٥/٢) مادة (عوذ) .

(٦) أخرج (بنحوه) البخاري في صحيحه عن أبي أسيد ــ رضي الله عنه ــ (٢٠١٢/٥) رقم (٤٩٥٦) كتاب الطلاق ، بَاب من طلَّق ، وَهَلْ يُوَاجِهُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ بِالطَّلَاقِ .

يعينها لهم في الابتداء ولا وصفها . رَوى الحسن ــ ﷺ ــ عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه قال: « والذي نفسي بيده لو أنهم عمَدوا إلى أدنى بقَرة فذبحوها ؛ لأجْزَت عنهم ، ولكن شَدَّدُوا على أنفسِهم بالمسألةِ ؛ فشدَّدَ اللهُ عليهم بالمنعِ »[1].

وفي الآية دليلُ وجوبِ الأمر ، وأنه لا يصار إلى النّدب إلا بدلالةٍ ، إذ لم يلحقهم الذم إلا بترك الأمر المطلق في غير ذكر وعيدٍ أو بأدلةٍ [2]. وفيها دليلٌ أن الاستهزاءَ لا يصدر إلا من جاهل ؛ لأن مَنِ استهزأ بغيره لا يخلو إما أن يَستهزئ بخلقته أو بفعله ، فإن كان يَستهزيء به لأجل خلقته فذلك ليس بموضع استهزاء ، وإن كان يَستهزئ به لأجل فعلِه ، فلا ينبغي أن يستهزئ به بل يجبُ أن ينبهَ على قبحِ فعله ؛ ليرتدع وينزجر عن فعله[3].

فإن قيل: قولهم لنبيهم ــ عليه السلام ــ : ﭽ ﮬ ﮭﭼ كان كفرًا منهم ، أو لم يكن؟ قلنا : هذا على التفصيل : إن كان قصدهم بهذا القول نسبتَه إلى السُّخرَية بلا سبب ، فقد كفروا بذلك ، وإن كان قصدهم أنه يجازيهم بذلك لما سبق منهم من العِصيان لم يكفروا ، وقال بعضهم : إنما قالوا هذا القول لموسى ــ عليه السلام ــ ؛ لأنَّ موسى ــ عليه السلام ــ قال لهم : ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫﮬﭼ ، ولم يقل : إنه يأمركم بذلك ليكون ماذا ؟ ، فقالوا : ﭽﮬ ﮭﭼ أي : استهزاءً بنا ، وأنَّ اتصال / الذبح للبقرة بما ل[٢٣/ب] ترافعنا إليك فيه[4].

قوله ﻷ :ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ

---

(١) لم أقف على سنده ، وذكره (بلفظه) الجصاص في أحكام القرآن عن الحسن البصري مرفوعًا مرسلاً (٤١/١) ، وذكره (بلفظه) أيضًا السمرقندي في تفسيره موقوفًا عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ في رواية أبي صالح (٨٩/١) ، وأخرج (بنحوه) الطبري في تفسيره (٣٤٧/١، ٣٤٨) عن ابن جريج وقتادة مرفوعًا إلى النبي ــ ﷺ ــ مرسلاً بلفظ : « إنما أُمِر القوم بأدنى بقرة ، ولكنهم لما شدَّدوا على أنفسهم شدَّد عليهم ، والذي نفس محمدٍ بيده لو لم يستثنوا لما بُيّنت لهم آخر الأبد » .

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٤١/١) ، وينظر: تفسير الرازي (١١٣/٣) .

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٤٢/١) ، وتفسير القرطبي (٤٤٧/١) .

(٤) ينظر: تفسير الثعلبي (٢١٤/١) ، وتفسير السّمعاني (٩١/١) ، وزاد المسير (٩٧/١) .

المعنى ـ والله أعلم ـ قالوا : إن لم يكن ما تأمرنا به استهزاء وكان حقًّا ، فادُع لنا ربَّـــك يبين لنا ما هذه البقرة ؟ ، كبيرة أم صغيرة ؟ ؛ ليس في السؤال بيان أن المسئول عنه السِّن ، وإنما تبيّن ذلك بالجواب ؛ وهو قوله تعـــالى : چ ۋ ۋ ې ې ې ې □ □ □ چ أي: ليست هي بكبيرة ؛ قد ولدت بُطونًا كثيرة ، ولا صغيرة لم تلد ؛ وسَـــط ونصـــف بـــين الصغيرة والكبيرة ؛ قد ولدت بطنًا أو بطنين . چ □ □ □ چ به من الذَّبح . واشـــتقاق الفَارضُ من فَرَضَتْ تَفْرِضُ فُرُوضًا إذا كَبُرَتْ [(١)]، والبِكْرُ : الفَتِيُّ من الحيوان وهو الذي لم يُصِب و لم يُصَب ، وإذا أصيب كان أول الإصابة[(٢)].

والعَوَان : الوسَطُ من الشيء ، يقال : حرب عَوَان ؛ للوسَط منه ، ويقـــال في المثـــل : إنّ العَوانَ لا تُعَلَّمُ الخِمَرة : أي إن المرأةَ البالغة تُحْسِنُ التَّخَمُّرَ فلا تُعَلَّم[(٣)].

قولـــه ﷻ: چ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ چ

وذلك أهم رجعوا في السؤال لموسى ــ عليه السلام ــ فقالوا : ادع لنا ربَّك على أيِّ لونٍ هي ؟! ، قال : إنه يقول : إنها بقرة شديدة الصُّفرة . قال مجاهد : كانت صفراء الظِّلْـــف والقَرْن[(٤)]. وقال الأخفش : معنى قوله صفراء : سوداء [(٥)]؛كما في قوله تعـــالى: چگ[(٦)]گ

---

(١) المفردات في غريب القرآن (٣٧٦/١) ، ولسان العرب (٢٠٢/٧) مادة (فرض) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٩٢/١) .

(٢) ينظر: لسان العرب (٧٩/٤) مادة (بكر) ، وتاج العروس (٢٤١/١٠) مادة (بكر) .

(٣) المفردات في غريب القرآن (٣٥٤/١) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٩٣/١) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٥/١) عن الحسن البصري ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفســـيره (١٣٩/١) رقم (٧٠٨) عن سعيد بن جبير ، وذكره ابن كثير في تفســـيره (١١١/١) عـــن سعيد بن جبير وعزاه إلى ابن أبي حاتم . وينظر: تفسير السمرقندي (١/ ٨٩) .

(٥) لم أقف عليه عن الأخفش . وأخرجه الطبري (٣٤٥/١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٩/١) رقم (٧٠٩) عن الحسن البصري ، وينظر: تفسير السمرقندي (١/ ٨٩) .

(٦) كُتبت في المخطوط (جُمالات) بألف بعد اللام ؛ قرأ بها رويس (جُمالاتٌ) ، وقرأ الباقون من من القراء العشرة : بكسر الجيم وألف بعد اللام (جِمَالَتٌ) . ينظر: التبصـــرة في القـــراءات (ص: ٣٦٨) ، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٩٧) .

چ[١] أي: سُودٌ ؛ كما قال الشاعر[٢]:

تلك خَيْلي وتلك منه ركابي هُنَّ صُفْرٌ أولادها كالزّبِيبِ

والقول الأوَّل أصح عند عامَّة المفسرين[٣]؛ لأن السوداءَ لا تؤكد بالفاقع ، وإنما تؤكد بالحالك ، يقال في المبالغة في الوصف : أصفر فاقع ، وأحمر قانٍ ، وأسود حالك ، وأخضر ناضر ، وأبيض ناصع ، ويقال : أبيض يَقِقٌ[٤]. فمعنى چ□ □چ أي : صاف لونها ، وهذا نعتُ الأصفر الشّديد الصُّفرة . چ □ □چ : أي تُعْجِبَ مَنْ نظر إليها ؛ وذلك لتمامِ خلقتها ، وكمالِ حسنها ، ونصوعِ لونها . والسرور: هو لــذَّةٌ في القلوب عند حصول نفع ، أو توقع نفع [٥].

فأمّا اللونُ فهو معروف ؛ قال الخليل : هو الذي يتعاقب على الجسم تعاقب التضادد[٦]. التضادد[٦]. وقال ابن دُرَيْد[٧]: اللون هو الذي يفصل بين كل شيئين[٨]؛ كما قال الله تعالى تعالى : چ ۀ ۀ ە چ[٩]. وموضع (ما) في قوله تعالى : چ□ □ چ رفع ؛ لأن

---

(١) من الآية : ٣٣ من سورة المرسلات .

(٢) البيت للأعشى . ينظر ديوانه (ص : ٢٧) ، وجاء فيه :
تلك خَيْلي منه ، وتلك رِكَابي هُنَّ صُفْرٌ أولادها كالزّبِيب

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٣٤٥/١) ، وتفسير السمرقندي (٨٩/١) ، وتفسير الرازي (١١١/٣) ، وتفسير ابن كثير (١١١/١) .

(٤) يَقِقٌ : شديد البياض . ينظر: لسان العرب (١٠/ ٣٨٧) مادة (يقِق) .

(٥) ينظر: لسان العرب (٣٦١/٤) مادة (سرر) .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) ابن دُرَيْد هو : أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْد بن عتاهية الأزدي اللغوي البصري ، إمام عصره في اللغة ، والأدب ، والأشعار ، ومصنفاته كثيرة منها : كتاب الجمهرة ، وكتاب معاني القرآن ، كتاب الأمالي ، وغيرها ، مات سنة ٣٢١هـ . ينظر : معجم الأدباء (٢٩٦/٥) رقم (٨٤٩) ، وطبقات المفسرين للأدنه وي (٦١/١) رقم (٨١) .

(٨) لم أقف عليه .

(٩) من الآية : ٢٢ من سورة الروم .

تأويلَه الاستفهام ؛ كأنه قال : أيُّ شيءٍ لونها [١] ، والكسر في قوله تعالى: ﭼﭽﭼ لأن (ما) بعد القول يذكر بمنـــزلة الكلام المبتدأ ، يقال : قلت زيدٌ منطلـــقٌ ، إلاَّ في لغـــة بـــني سليم[٢]، فإنهم يقولون : زيدًا منطلقًا ؛ كما يقال : ظننت [٣]. وفي وفي الآية جواز النسخ قبل وقوع الفعل بعد التمكن منه ، [وكذا قبل التمكن منه عنـــدنا خلافًا للمعتزلة[٤]؛كذا في المدارك[٥]][٦] ؛ لأن في قوله تعـــالى : ﭼ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩﮪﭼ ﮫﭼ اقتضى ذبح أيّ بقرة كانت وعلى أيّ صفة شاءوا ، وقد كانوا ممكنين من ذلـــك ، فلما قالوا : ﭼ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﭼ ، فقـــال : ﭼﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ ؛ نسخ التخيير الذي أوجبه الأمر الأول في ذبح أي بقرة كانت ، وصار الأمر مقصـــورًا على ماكان منها بهذه الصّفة ، فهو أمر عموم في أوّلِ هذه القصة خصَّه الله تعـــالى بآيـــةٍ أخرى ، ويجوز تخصيص العموم بالدلالة ، ثم نسخ الله التخيير الذي كان في ذبحِ أيّ لونٍ شاءوا منها بهذه الآية [٧]، حيث قال عزَّ من قائل : ﭼ ﯥ ﯦ ﭼ .

---

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن (٩٨/١) ، والتبيان في إعراب القرآن (٧٤/١) .

(٢) بنو سَليم : قبيلة من قيس بن عيلان ؛ وهو سليم بن منصور بن عكرمة ، وإليهم تُنسَب حرة بني بني سليم : وهي حرة في عالية نجد بين مكة المكرمة والمدينة المنورة بالقرب من خيبر حتى تيماء . ينظر: لسان العرب (٢٩٩/١٢) مادة (سلم) ، ومعجم البلـــدان (٢٤٦/٢) ، وأطلـــس الحديث النبوي (ص: ٢٢٣) .

(٣) ينظر: لسان العرب (٥٧٥/١١) مادة (قول) .

(٤) المعتزلة : الذين اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصريّ ــ رحمه الله ــ ، وهم : عمرو بـــن عبيد ، وواصل بن عطاء ، وأتباعهما في أوائل المائة الثانية ، وكانوا يجلسون معتزلين ؛ لما أحدثا مذهبًا وهو : أن الفاسق ليس بمؤمنٍ ولا كافر ، وقيل: إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة ، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري ــ رحمه الله ــ . ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (١/ ٣٩) ، وشرح العقيدة الطحاوية (٥٨٨/١) .

(٥) مدارك التنـــزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) (٥٥/١) .

(٦) كُتبت هذه الزيادة في حاشية الأصل ، وفي حاشية النسخة (ب) ، ولعلَّ هـــذا الصـــنيع مـــن الناسخ ، والله أعلم .

(٧) أحكام القرآن للجصاص (٤١/١) ، وينظر: روح المعاني (٢٨٨/١) ، وفتح القدير (٩٨/١) .

فإن قيل : كيف أُمِروا بذبح البقرة دون غيرها ؟

قيل : لأنَّ القربانَ إنما يكون من ثلاثة أنواع : من الغنم ، والبقر ، والإبل ، وكانوا لا يحلون لحم الإبل بل يحرمونه ؛ كما قال الله تعالى: ﴿ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﴾[1] . قيل : إنه لحوم الإبل ، فلما كان لحم الإبل محرمًا عليهم ، وكان ذبح البقر أفضل من ذبح الغنم ، خُصَّتْ البقرة بالذبح[2].

فإن قيل : لِمَ استقصَوْا في السؤالِ والبحثِ عن صفةِ البقرة ، ولو عمَدوا إلى أدنى بقرة لأجزت ؟

قيل: لأنهم أُمِروا بذبح البقرة لأعجوبة ؛ وهي بيان حال القتيل لهم ، فحسبوا أنه لا تظهر تلك الأعجوبة إلا من بقرةٍ مخصوصةٍ ، كما أن العجائبَ التي كانت تظهر لبني إسرائيل من عصى موسى ــ عليه السلام ــ لم تَظهر من الضَّربِ بسائر العِصِي ، وعلى أنه يَحتمل أن القومَ جَهِلوا القول بالعموم ؛ كما جَهِل بعض الناس اليوم ، فظنوا أن ذلك أمر بذبحِ بقرةٍ مخصوصةٍ فعادوا في السؤال / مرةً بعد أخرى . ل[٢٤/أ]

قوله ﷻ: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﴾

مراجعةٌ منهم في معنى الأمر بذبحِ البقرة : أي عرّف لنا ما صفة هذه البقرة ؟ ؛ عاملة أو غير عاملة ؟ ، ليس في السؤال أنَّ المسئول عنه العمل أو غير العمل ، وإنما يَظْهر ذلك بالجواب المذكور في الآية التي بعد هذه الآية ، قوله تعالى: ﴿ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﴾ يقول: تشاكل واشتبه علينا . ﴿ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﴾ إلى القاتل ، ويقال: لمُصِيبون عين البقرة[3]. والتذكير في البقر يَحتمل أن المراد به جنس البقر ، وقيل: إن العرب تُذَكِّر مثل هذا اللفظ وتؤنثه ؛ تقول : هذا بقر ، وهذه بقر ، وهذا نحل ، وهذه نحل[4]. ومَنْ قرأ ﴿

---

(١) من الآية : ٩٣ من سورة آل عمران .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٣٥٠/١) ، وزاد المسير (٩٨/١) ، وتفسير أبي حيان (٤١٩/١) .

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٥٥) ، ولسان العرب (٧٣/٤) مادة (بقر) .

أنَّ الباقر ﴾ فالباقر جمع البقر ؛ كما يقال لجمع الجمل : جامل ؛ يجعلونه اسماً للجنس[١]، ومَنْ قرأ ﴿ تشّابهُ علينا ﴾ بتشديد الشّين وضمِّ الهاء : أراد تتشابه فحذف الثانية ؛ لاجتماع التّاءين ؛ كما في قوله تعالى : ﭽ ﭼ[٢]؛ في الأصل (لعلكم تتذكرون) ، ومَنْ قرأ ﴿ يَشَّابه ﴾ بالياء والتشديد : أراد يتشابه ؛ أدغم التاء في الشين[٣] ، وأجود القراءات ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ بتخفيف الشّين وفتح الهاء .

وفي الآية بيان أن الكلامَ إذا قُرِنَ بالاستثناء كان أقرب إلى النَّجاح ؛ لأن في ذكر الاستثناء استعانةً بالله تعالى ، وتفويضَ الأمر إلى الله ﷻ ، والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيئته . رُويَ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : « لولا أنهم استثنوا لما وجدوها »[٤]. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : « لولا أنهم استثنوا لما أُطلِعوا على [قاتله][٥] »[٦].

---

(١) وهي قراءة شاذة ، ولم أقف عليها في كتب شواذ القراءات ، وينظر: تفسير الطبري (١/٣٥٠) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٥٤) ، وتفسير ابن عطية (١/١٦٣) ، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ٤٤) .

(٢) من الآية : ١٥٢ من سورة الأنعام ، من الآية : ٥٧ من سورة الأعراف ، ومن الآية : ٩٠ من سورة النحل ، ومن الآية : ١ ، ٢٧ من سورة النور ، ومن آية ٤٩ من سورة الذاريات .

(٣) قرأ (تشّابه) ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ، وقرأ (يشّابه) محمد ذو الشامة ، واتفق القراء العشرة على قراءتها بتخفيف الشين وفتحها . مختصر شواذ القرآن (ص: ١٤) ، وينظر: تفسير الطبري (١/٣٥٠) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٥٤) ، وتفسير ابن عطية (١/١٦٣) ، وتفسير القرطبي (١/٤٥١) .

(٤) أخرج (بنحوه) الطبري في تفسيره عن قتادة مرفوعاً مرسلاً ، وعن عمرو بن دينار عن عكرمة غير مرفوع إلى النبي ـ ﷺ ـ (١/ ٣٤٧- ٣٤٨) ، وأخرج ابن أبي حاتم (بنحوه) في تفسيره (١/١٤١) رقم (٧٢٢) عن أبي رافع عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا إلى النبي ـ ﷺ ـ ، وقال ابن كثير في تفسيره معلقًا على هذا الحديث : « وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ » ؛ (١/١١٢) .

(٥) كُتبت في النسخة (ب) : القاتل بدلاً من قاتله .

(٦) أخرج (بنحوه) الطبري في تفسيره (١/٣٤٨) عن أبي العالية موقوفًا ، وينظر : تفسير

قوله ﻷ : ﭼﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹﭺ ﭻ ﭼ

ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ

معناه : قال لهم : إن الله تعالى يقول : إنها بقرة ليست بذلُول : أي لم يــذلّها العمــل لا ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ أي : ليست بحرَّاثة ، ولا ناضحة ؛ لا تقلب الأرض للزراعة ولا يُسقَى عليها الزَّرع ، سليمة من العيوب ، ليس فيها لون يفارق سائر لونها .

ﭽ ﭻ ﭼ بيّنت الصّفة التي كنا نطلب بالصّدق ، ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ ذلك أرادوا أن لا يذبحوها ؛ لأن كلَّ واحدٍ منهم خَشِيَ أن يكون القاتل من قبيلتــه ، وقيــل: أرادوا أن لا يذبحوها ؛ لغلاءِ ثمنها (١).

رُويَ أنهم وجدوا بقرة على هذه الصفة عند رجلٍ بارٍ بوالدتِهِ ، كان يصلي ثلث الليل ، وينام ثلث الليل ، ويجلس ثلث الليل عند رأسِ أمِّه يقول لها : إن لم تقدري علــى القيــام فسبِّحي الله تعالى وهَلِّلي ، وكانت بقية بَقر كانت لآبائه لم يبقَ منهنَّ غيرها ، فلما سألوه أن يبيعَهم إياها ؛ للذبح ، أبى عليهم ، فرفعوا في الثمن ، حتى أعطوه مِلءَ مَسْكِها(٢) ذَهبًا فباعها لهم فذبَحُوها(٣). وعن وَهْب بن منبِّه(٤): أن مَلَكاً جاء صاحب البقرة ، فقــال : لا تبعها إلا بملءِ مَسْكِها ذهبًا . وفي بعض الروايات : أن هذه البقرة كانــت لرجــلٍ يبيــع الجواهر ، فجاءه إبليس يومًا من الأيام بجرابٍ من اللؤلؤِ يساوي مائتي ألف ، فعرض عليــه بمائة ألف ، فلما اتَّفق العقد ، وجد الجوهري مفتاح الصندوق تحت رأس أبيه وهو نائم ، فذهب ليوقظه ؛ ليرفع المفتاح ، ثم قال في نفسه : كيف أوقظ أبي لِربح مائة ألف ، فرجع فقال : إن أبي نائم ، ثم قال : اذهب فأوقظه ، فأني أبيعك بخمسين ألفًا ، فذهب ليوقظه ،

السمرقندي عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ (٩٠/١) ؛ ولم أقف على سنده .

(١) أخرجه الطبري (١ / ٣٥٤) ، وابن أبي حاتم (١٤٤/١) رقم (٧٤٣) في تفسيرهما عن محمد بن كعب القرظي ، وينظر : تفسير الرازي (١١٣/٣) ، وتفسير ابن كثير (١١٢/١) .

(٢) مَسْك ــ بالفتح وسكون السين ــ : الجلد . المحكــم والمحــيط الأعظــم (٧٣٤/٦) مــادة (مسك) ، ولسان العرب (٤٨٦/١٠) مادة (مسك) .

(٣) ذكر هذه القصة السمرقندي في تفسيره عن وهب بن منبِّه (١/ ٩٠) .

(٤) ينظر ترجمته (ص: ٤٥) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

فلم يحتمل قلبه حتى رجعَ ، فلم يزلْ اللعين يَحطُّ من الثمن حتى بلغَ عشرة دراهم ، فلم يوقظ الرجل أباه ، وترك ذلك الشِّراء ، فجعل الله تعالى في مالِه البركة ، حتى اشتروا بقرتَه بملءِ مَسْكِها ذهبًا ، والله أعلم[1].

الذَّلولُ : الدَّآبة المرتاضة الـمُخيَّسَة [2] للعمل ، والذَّلول في الدواب بمنزلةِ الذَّليلِ في النّاس ، يقال : رجلٌ ذليلٌ ؛ بيّنُ الذُّل ، ودآبةُ ذلولٌ ؛ بيّنةُ الذُّل [3].

والإثارةُ : تقليب الأرض للزِّراعة [4] ، والحرثُ : الأرضُ المهيَّأةُ للزِّراعة إذا بذرها أو غرستها ، وقال الخليل : الحرث هو قذف الحبَّة في الأرض للزِّراعة [5] ، وأما الزَّرع : فهو الإنبات والإنماء ؛ قال الله تعالى : ﴿ چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ چ ﴾[6]، وقيل في معنى قوله تعالى : ﴿ چ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ چ ﴾ : أي ليست بذلول ، وهي تثير الأرض ولا/ تسقي الحرث ، وعلى هذا استحسن أبو حاتم[7] الوقف على (الذَّلول) ، ثم ابتدأ ل[٢٤/ب]

---

(١) تفسير السمرقندي (١/ ٩٠) ، وأخرج (بنحوه) الطبري في تفسيره عن أبي العالية ، = = وعُبَيْدة السّلْماني ، والسّدي (١/٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩) ، وأخرج (بنحوه) ابن أبي حاتم في تفسيره عن محمد بن سيرين عن عُبَيْدة السّلْماني (١/١٣٦) رقم (٦٩٠) ؛ ورواية محمد بن سيرين عن عُبَيْدَة السّلْماني حكم عليها ابن حجر في فتح الباري بالصحة (٦/ ٤٤٠) ، وينظر: تفسير الثعلبي (١/٢١٥) ، وزاد المسير (١/٩٩) . قال ابن كثير في تفسيره معقبًا على هذه القصة : « وهذه السياقات عن عبيدة ، وأبي العالية ، والسّدي ، وغيرهم ، فيها اختلاف ما ، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل ، وهي مما يجوز نقلها ، ولكن لا تُصدَّق ولا تُكذَّب ، فلهذا لا يُعتمد عليها إلا ما وافق الحقَّ عندنا ، والله أعلم » (١/١١١) .

(٢) جاء في الحاشية الأصل ، وفي حاشية النسخة (ب) : (خَيَّسَهُ ؛ إذا ذلَّله وقهره من س) . لسان العرب (٦/٧٤) مادة (خيس) .

(٣) ينظر: العين (٨/١٧٦) مادة (ذل) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (١/٩٤) .

(٤) ينظر: لسان العرب (٤/١١١) مادة (ثور) ، وتاج العروس (١٠/٣٤٣) مادة (ثور) .

(٥) العين (٣ / ٢٠٥) مادة (حرث) .

(٦) الآيتان : ٦٣ ـ ٦٤ من سورة الواقعة .

(٧) ينظر ترجمته (ص: ٦٧) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

وقال : (تثير الأرض)[١] ، والأول أصح عند عامَّة المفسّرين ــ رحمهــم الله ــ [٢]، والله تعالى أعلم .

والوَشيُّ والشِّيَةُ : خلطُ لونٍ بلَون ؛ يقال : ثوبٌ مَوْشِيٌّ ؛ إذا كان مخــتلط اللــون [٣].

ونصب ﭽ ﭼ على النفي ، ولو قرىء (لا شِيَةٌ) بالرفعِ والتنوينِ لجاز[٤].

وفي الآية دلالةٌ على جوازِ العمل بالظّاهر ، مع تجويز أن يكون في الباطن خلافــه ؛ لأن المسَلَّمةَ من العيوب لا تُعرف من طريق الحقيقة ، وإنما تُعلم من جهة الظّــاهر بالاجتــهاد وغلبة الظن ، مع جواز أن يكون بها عيب باطن [٥].

قوله ﻷ: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ

قد ذكرنا أن هذه الآية مقدمة في النــزولِ مؤخرة في التلاوة ؛ وتقــديره : واذكــروا إذ ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ ، وأتيتم موسى ــ عليه السلام ــ ، فسألتموه أن يَــدعُوَ اللهَ تعــالى ؛ ليُطلعَكم على قاتله ، فقال لكم موسى ــ عليــه الســلام ــ : ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪﮫ ﭼ ؛ ونظير هذه الآيات : قوله تعــالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙﭚ ﭼ[٦] ؛ مقدم في التلاوة على قوله تعالى : ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ[٧] ، مؤخرٌ عنه في النــزول

---

(١) زاد المســير (١/ ٩٨) . وينظــر : تفســير ابــن عطيــة (١/١٦٤) ، والــدّر المصــون (١/ ٤٢٩ ، ٤٣٠) . قال أبو البقاء العكبري في التبيان في إعراب القرآن (١/٧٦) ناقداً هذا الوقف : « وهو قول بعيد من الصّحة لوجهين : أحدهما : أنه عطف عليه (ولا تسقى الحرث) فنفى المعطوف ؛ فيجب أن يكون المعطوف عليه كذلك ؛ لأنه في المعنى واحد ألا ترى أنك = = لا تقول : مررت برجلٍ قائمٍ ولا قاعد ، بل تقول : لا قاعد ؛ بغير واو كــذلك يجــب أن يكون هنا . والثاني : أنها لو أثارت الأرض لكانت ذلولاً ؛ وقد نفى ذلك » .

(٢) ينظر : تفسير الطبري (١/٣٥١) ، وتفسير ابن أبي حاتم (١/١٤١) رقم (٧٢٤) ، وتفســير السمرقندي (١/ ٩٠) ، وتفسير ابن عطية (١/١٦٣) .

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١/٥٢٤) ، ولسان العرب (١٥/٣٩٢) مادة (وشي) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٥٢) ، ولم أقف عليه في كتب القراءات .

(٥) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (١/٤٢) .

(٦) من الآية : ٢٣٤ من سورة البقرة .

(٧) من الآية : ٢٤٠ من سورة البقرة .

النـــزول ؛ لأن الأول ناسخ ، والثاني منسوخ ، ولا يكون الناسخ إلا بعد المنســـوخ[(١)] ، وذهب بعضُ المفسّرين إلى أن قوله تعـــالى: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ مـــؤخرٌ في الـــتلاوةِ والتنـــزيلِ جميعًا ؛ لأنَّ حرفَ الواو لا يوجب الترتيب ، وفي الآية ما يدل عليها ؛ لأن الهاء في قوله تعالى: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ[(٢)] كناية عن مذكورٍ سابقٍ ، وليس هاهنا مذكور ســـابق إلا البقرة ، فكأنَّه قال : ببعض البقرة التي سبق ذكرها ، والترتيب في الأخبار لا يقتضي وقوع المخبر على حسبِ ترتيب الخبر ، ألا ترى أنَّ الرجلَ يقول : أعطيتُ زيدًا ألفَ درهـــم إذ بَنى داري ؛ لا يريد به أن العطيةَ كانت قبل البناء [(٣)].

ومعنى قوله تعالى: ﭽﭼ : اختلفتم وتدافعتم ، وألقى بعضكم القتل على الـــبعض مـــن الدَّرءِ : وهو الدَّفع ، يقال : درأتُ فلانًا ؛ إذا دفعتَه ، وداريتُه ؛ إذا لاينتَه[(٤)]. وأصل ادَّارأْتم ادَّارأْتم ؛ تدارأتم ، ثم أُدغمت التاء في الدال ؛ لقرب مخرجهما ، فلمّا أُدغِمـــت سُـــكِّنَتْ فاجتُلِبـــتْ لهـــا ألـــف الوصـــل ؛ للابتـــداء[(٥)]، وعلـــى هـــذا ﭽ ﭨ ﭩ ﭼ[(٦)]، ﭽ ﭼ[(٧)] ، واطيّروا . ومعنى قوله : ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ: أي مُظْهرٌ ما كنتم تخفون من من أمرِ القاتل .

---

(١) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ؛ لأحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس ، تحقيق: = = د . محمد عبد السلام محمد ، ط١/ ١٤٠٨هـ ، مكتبة الفـــلاح / الكويـــت ، (٢٣٩/١) ، وينظر : الناسخ والمنسوخ ؛ لهبة الله بن سلامة بن نصر المقري ، تحقيق : زهير الشاويش ، محمد كنعان ، ١٤٠٤هـ– المكتب الإسلامي / بيروت ، (٥٥/١) .

(٢) من الآية : ٧٣ من سورة البقرة .

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٤٠/١) ، وينظر : تفسير الرازي (١١٣/٣) ، وتفســـير القـــرطبي (٤٤٥/١) .

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١٦٩/١) ، ولسان العرب (٧١/١) مادة (درأ) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٥٣) ، وينظر: المفردات في غريب القـــرآن (١٦٩/١) ، ولسان العرب (٧١/١) مادة (درأ) .

(٦) من الآية : ٣٨ من سورة الأعراف .

(٧) من الآية : ٣٨ من سورة التوبة .

وفي الآية دلالة أن ما يقصد العبدُ سترَه من خيرٍ أو شرٍّ فإنَّ اللهَ سيُظهِرُه[١]؛ كما رُويَ عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه قال : « لو أنَّ عبدًا أطاعَ الله تعالى من وراءِ سبعين حجابًا ؛ لأظهرَ اللهُ ذلك على ألسنةِ الناس ، وكذلك المعصية »[٢].

قوله ﷻ: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﭼ المعنى : أي قلنا لهم اضربوا المقتول ببعضِ البقرة : أي ببعضوٍ منها .

قال الكلبي ــ رحمه الله ــ : بفخذها الأيمن[٣]، وقال ابن جُبَير[٤]: بعَجْبِ الذَّنَبِ [٥]؛ يقال: يقال: إن الأرضَ لا تأكله ، وعليه يُرَكَّب الخلق يوم القيامة [٦]، وقال الضّحاك : أراد ببعضها ؛ بلسانها[٧] ، وقال السّدي : بالبَضعةِ التي بين كَتِفَيها[٨] ؛ وهذا من الاختلاف الذي لا فائدة فيه ، وفي الآية إضمار ؛ كأنه قال : قلنا اضربوه ببعضها ، فضربوه فحيي

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٤٣/١) .

(٢) لم أقف على سنده ؛ ذكره (بلفظه) الجصاص في تفسيره أحكام القرآن (٤٣/١) ، وفخر الدين الرازي في تفسيره (التفسير الكبير) (١١٤/٣) ، وأخرجه (بنحوه) أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٦/٥، ٣٧) عن زبيد عن مرة عن عبد الله بن مسعود ــ ﷺ ــ ، وقال : « غريب من حديث زبيد ؛ لم نكتبه إلا من هذا الوجه ».

(٣) وفي تفسير الثعلبي (١/ ٢٢٠) ، وتفسير البغوي (١ / ٨٤) عن عكرمة والكلبي ، وفي زاد المسير المسير (١/ ١٠١) عن مجاهد وعكرمة .

(٤) ينظر ترجمته (ص: ٤٥) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٥) عَجْبُ الذَّنَبِ : هو العظم الذي في أسفل الصلب ؛ ويسمى العصعص . غريب الحديث لابن الجوزي ؛ لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي ، تحقيق : الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي ، ط١/ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م ، دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان ، (٧١/٢) .

(٦) تفسير البغوي (١/ ٨٤) عن مجاهد وسعيد بن جبير ، وفي زاد المسير (١ / ١٠٢) عن سعيد بن جبير .

(٧) وفي تفسير الثعلبي (٢٢٠/١) ، وتفسير البغوي (١ / ٨٤) ، وزاد المسير (١ / ١٠٢) عن الضحاك .

(٨) وفي تفسير الثعلبي (٢٢٠/١) ، وزاد المسير (١ / ١٠١) عن السدي .

المقتول[١].

رُوِيَ أنَّه لـمَّا ضربوه جَلَسَ ، وأودَاجُه[٢] تَشْخُبُ[٣] دمًا ، فسألوه : مَنْ قَتلك ، فقال: فقال: فلانٌ وفلانٌ ؛ لابني عمٍّ لـه ، ثم اضطجعَ فمات ، وأُخِذا فقُتِلا[٤]. يقول الله تعالى : چ ک ک ک ک چ أي : كما أحيا (عاميل) ، فهكذا يُحييَ سائر الموتى ، ويريكم عجائب قدرته ؛ لتفهموا إحياء الموتى وغير ذلك ، ويقال : لكي تعقلوا ما أُمِرتم به ونُهِيتم عنه ، وأراد بهذا عقلاً مخصوصًا ؛ لأن القومَ كانوا عُقَلاء ، إذ يستحيل خطاب الله تعالى لغير العُقَلاء ، وكان الله تعالى قادرًا على إحياء المقتول بغير هذه الأسباب إلا أنَّه تعالى أمرهم بضربِ المقتول بشيءٍ ، فأُتُوا حياته ؛ لأنَّ أحياءَ الميّت بالميّت أوكَدُ دلالةٍ وأبينُ قدرةٍ ، ورُوِيَ عن أبي عُبَيْدة السَّلْماني[٥] أنه ذَكَرَ قصة البقرة ثم قال : لم يُورث القاتلان ، فمضت السُّنَة أنْ لا يُورَث قاتلٌ بعد صاحب البقرة[٦]. وعن أبي هريرة [ﷺ] عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : « القاتلُ لا يَرِثُ »[٧]، وهذا الخبر تلقته الأُمّة بالقَبول ؛ كقوله ـ ﷺ ـ :

---

(١) تفسير البغوي (١/٨٤) .

(٢) الأوداج : ما أحاط بالحلق من العروق . لسان العرب (٢/ ٣٩٧) مادة (ودج) .

(٣) تَشْخُب : تسيل . لسان العرب (١/ ٤٨٥) مادة (شخب) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١/١٤٥) رقم (٧٥٠) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ، وينظر: تفسير السمرقندي (١/٩١) ، وتفسير ابن كثير (١/١١٣) ، وتفسير السيوطي (١/١٩٢) .

(٥) ينظر ترجمته (ص: ٦٧) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٣٣٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره أيضًا (١/١٣٦) رقم (٦٩٠) عن محمد بن سيرين عن عبيدة السَّلْماني ، وينظر: أحكام القرآن للجصاص (١/٤٣) ، وتفسير القرطبي (١ /٤٥٦) .

(٧) أخرجه (بلفظه) الترمذي في سننه (٤/٤٢٥) رقم (٢١٠٩) كتاب الفرائض ، بَاب ما جاء في في إِبْطَالِ مِيرَاثِ الْقَاتِلِ ، وقال : « هذا حَدِيثٌ لا يَصِحُّ لا يُعْرَفُ إلا من هذا الْوَجْهِ ، وإسحاق بن عبد اللَّهِ ابن أبي فَرْوَةَ قد تَرَكَهُ بَعْضُ أَهْلِ الحديث منهم أَحْمَدُ بن حَنْبَلٍ » ، وأخرجه (بلفظه) ابن ماجه في سننه (٢/٨٨٣) رقم (٢٦٤٥) كتاب الديات ، باب الْقَاتِلُ لا يَرِثُ .

« لا وصيَّةَ لوارثٍ »[١]، وقولِه ــ ﷺ ــ : « لا تُنْكَحْ المرأة علــى عمَّتِهــا ولا علــى خالتِها »[٢] الخبر . ولا خلاف بين الأمّة أن مَنْ قتَل أخاهُ عَمْدًا وله أَخٌ آخر ؛ أن القاتلَ يلزمه القصاص ؛ قال الله تعالى /: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ[٣] ، فلو كــان ل[٢٥/أ] القاتل وارثًا لكان له نصيب من الدَّم ؛ فكان لا يجب القصاص ، وأجمعت الأمّــة علــى وجوبه ، وإذا لم يَرث أَخَذَ بَدَلِي الدَّم ؛ لم يَرث الدِّية في قتلِ الخطأ ، وحكم سائر الأمــوال حكم الدِّية ؛ لأن ديةَ[٤] المقتول تُقضَى منها ديونه ، وتنفذ وصــاياه ، وقــال عثمــان البَتِّي[٥]: قاتلُ العمدِ لا يَرثُ ، فأما قاتل الخطأ فوارث[١] ، وذهب مالــك إلى أن

وكلاهما أخرجاه عن حميد بن عبد الرحمن أبي هُرَيْرَة ــ ﷺ ــ .

(١) أخرجه أبو داود (بلفظه) في سننه عن أَبِي أُمَامَةَ ــ ﷺ ــ (٢٩٦/٣) رقم (٣٥٦٥) كتــاب الإجارة ، باب في تضمين العارية ، وأخرجه الترمذي في سننه (بلفظه) عن عَمْرِو بن خَارِجَةَ كتاب الوصايا ، بَاب ما جــاء لا وَصِــيَّةَ لِــوَارِثٍ ؛ وقــال : « هــذا حَــدِيثٌ حَسَــنٌ صَحِيحٌ » (٤٣٤/٤) رقم (٢١٢١) ، وأخرجه النسائي (بلفظه) في ســننه الكــبرى عــن عَمْرِو بن خَارِجَةَ (١٠٧/٤) رقم (٦٤٦٨) – (٦٤٧٠) كتاب الوصايا ، باب إبطال الوصــية للوارث ، وأخرجه ابن ماجه (بلفظه) في سننه عن أَنَسِ بن مَالِكٍ ــ ﷺــ (٩٠٦/٢) رقــم (٢٧١٣) – (٢٧١٤) كتاب الوصايا ، باب لا وصية لوارث ، قال محمد بن عبــد الواحــد الحنبلي ، معلقًا على سند ابن ماجه : « إسناده صحيح » ؛ كتاب الأحاديث المختارة ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، ط١/ ١٤١٠هــ ، مكتبة النهضة الحديثة / مكة المكرمــة (٦/ ١٤٩) .

(٢) الحديث (بلفظه) في الصحيحين ؛ أخرجه البخاري عــن جــابر بــن عبــد الله ــ ﷺ ــ (١٩٦٥/٥) رقم (٤٨١٩) كتاب النكاح ، بَاب لا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ على عَمَّتِهَا ، وأخرجه مسلم عن أبي هريرة ــ ﷺ ــ (١٠٢٩/٢) رقم (١٤٠٨) كتاب النكاح ، بَاب تَحْرِيمِ الْجَمْعِ بــين الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا أو خَالَتِهَا النِّكَاحِ .

(٣) من الآية : ٣٣ من سورة الإسراء .

(٤) جاء في حاشية الأصل ، وفي حاشية النسخة (ب) : الدِّية ؛ مال . ينظر: المطلع على أبــواب المقنع (٣٦٣/١) .

(٥) عثمان البَتِّيّ هو : أبو عمرو عثمان بن مسلم البَتِّيّ ـــ بفتح الموحدة وتشديد المثناة ـــ البصريّ

قاتلَ العمد لا يَرثُ ، فأمّا قاتل الخطأ لا يَرثُ الدِّية ، ويَرث سائر الأموال [٢]. وفي الآيــةِ دلالة على أن مَنْ التبسَ عليه أمر من الأمور ، وسأل الله تعالى أن يكشفَ له ذلــك ، أو سأله حاجة أخرى ، فإن سبيلَه أن يقدِّم على سؤاله نوعًا من القُرْبةِ حتى يكــونَ دعــاؤه أقرب إلى الإجابة ، فإن بني إسرائيل كانوا يعدون القُربانَ من أفضلِ القُربِ ، حتى جعلــوا للقربان بيت مذبحٍ على حده ، وكان لا يدخل ذلك البيت إلا خيارهم ، فأمرهم الله تعالى بتقديم هذه القُربة ؛ ليتبيّن لهم أمر القتيل بعد ذلك ، وجعل ذلك تعليمًا لسائرِ النّاس ، والله أعلم .

قولــه ﷿ : ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ

معناه : وذلك أن الله تعالى لما أخبر بما أنعم به على بني إسرائيل ، وأتاهم من الآيات الــتي ذكرها الله تعالى في هذه السّورة ، قال بعقبه مخبرًا عن معصيتهم وطغيانهم : ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ يقول : غَلِظَتْ ويَبِسَتْ قلوبكم من بعد إحياء الميّت ، ويقال : من بعد هذه الآيات التي تقدمت من مَسْخِ القردةِ والخنازيرِ ، ورفعِ الجبل ، وخروجِ الأنهار من الحجــر ، وغــيرِ ذلك[٣]. ﭽ ﮒ ﮓ ﭼ في الشّدة واليبس ؛ بل أشد يبسًا وغلظًا ، ثم أعذر الله تعالى الحجارة ، وعاب قلوبهم ؛ أخبر أن من الحجارةِ ما يكون فيه رُطوبة منافية لليبس ، وأن منها مــا

الفقيه ، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب : « صدوق ؛ عابوا عليه الإفتاء بالرأي » ؛=

= (١ / ٣٨٦) رقم (٤٥١٨) ، مات عثمان سنة ١٤٣هـ . وينظــر: الأنســاب (٢٨٢/١) ، وتاريخ الإسلام (٨ /٤٨٥) .

(١) أحكام القرآن للجصاص (٤٣/١) ، وتفسير الرازي (٣/ ١١٧) .

(٢) ينظر : شرح ميارة الفاسي ؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابــن محمــد المــالكي ، تحقيــق : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، ط١/ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية / لبنان - بيروت ، (٥٢١/٢) ، وينظر : الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني ؛ لصالح عبد السميع الآبي الأزهري ، المكتبة الثقافية / بيروت ، (٥٨٥/١) ، وينظــر : تفســير الرازي (٣/ ١١٧) ، وتفسير القرطبي (٤٥٦/١) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٥٥) ، وتفسير السمرقندي (١/ ٩٢) ، وزاد المسير=

= (١٠٣/١) .

يُحْدِثُ الله تعالى فيها من أمره فلا يمتنع من أرادة الله تعالى ، وبنو إسرائيل مع كثرة نعمةِ الله عليهم ، وكثرة ما أراهم من الآيات يمتنعون من طاعته ، ولا تلين قلوبهم لمعرفة حقه ؛ فذلك قوله ﷻ: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ يقول : إن من الحجارة لحجرًا يَنْثَعِبُ [1] منه العُيون ، وإن منها لحجرًا يَتصدع فيخرج منه الماء لما يكون دون الأنهار ، وإن منها لما يتردَّى من أعلى الجبل إلى أسفله من مخافة الله تعالى ، قال بعضهم : أراد الله تعالى بذلك الجبل الذي تجلَّى الله له حين كلَّم موسى ــ عليه السلام ــ[2]، وقيل : لا يهبط شيء من الجبالِ بغير سبب ظاهر إلا وهو مجعول فيه التمييز[3]، قال الله تعالى : ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓﭼ[4]؛ معناه : لو جعلنا في الجبل تمييزًا ، ثم أنزلنا القرآن عليه ؛ لرأيته خاشعًا . وقال بعضهم : معناه : ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ أي : بخشية الله تعالى ؛ كما قال الله تعالى : ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﭼ[5] أي : بأمرالله ؛ فكأن الله تعالى أراد بهذه الآية الجبال التي في السماء من البرَد ؛ كما قال ﷻ : ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ[6]، والله تعالى ينزل البرَدَ من السّماء بخشيته ؛ ليخوف بذلك عباده [7].

وقال بعضهم : إن من الحجارة ما يدعو المتفكر فيه إلى خشية الله تعالى ؛ لما فيه من الآيات والدلالات على الله تعالى ، وأضاف الخشية إلى الحجرِ ؛ إذ كان التفكر فيه هو

---

(١) يَنْثَعِب : ينفجر . لسان العرب (٢٣٦/١) مادة (ثعب) .

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي (٩٢/١) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٥٧) ، وتفسير الرازي (١٢٠/٣) ؛ وتفسير الحجارة بالجبل قول لا يثبت إلا بدليل ، وإلا كان ذلك من أمثال الإسرائيليات التي تفتقد إلى الدليل الصحيح في الأعم والغالب منها .

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٥٧) ، وتفسير النسفي (١/ ٥٧) .

(٤) من الآية : ٢١ من سورة الحشر .

(٥) من الآية : ١١ من سورة الرعد .

(٦) من الآية : ٤٣ من سورة النور .

(٧) ينظر: تفسير الرازي (٣ / ١٢١) ، وتفسير القرطبي (١ / ٤٦٥) ، وتفسير أبي حيان = = (٤٣٢/١) .

الدَّاعي إلى الخشية ؛ وهذا كما يقال : إنَّ فلانًا لذو مال يُنْطِقُ النّاس ؛ أي : إذا رأى النّاسُ مالَه قالوا : ما أكثرَ مال فلان ، وما أحسنَ ماله ، ويقال : إنَّ لفلانٍ ناقةً تاجرةً : أي أنها بحسنها تَعْرِضُ نفسها على مَنْ يريد شراءها[(١)].

وقال بعضهم : هذا على طريقِ المثل ؛ أي من الحجارةِ ما كأنه يهبط من خشية الله تعالى ؛ لانقياده لأمره تعالى حتى لو حصلَ ذلك من حيٍّ عاقلٍ لدلَّ ذلك على خشيته من الله تعالى[(٢)]، وهذا كقوله تعالى: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ﴾[(٣)] معناه : كأنه يريد أن ينقضَّ ؛ كما قال الشاعر ؛ وهو جَرير[(٤)] :

لما أَتى خبرُ الزُّبير[(٥)] تواضعَت سُورُ المدينة والجبالُ الخُشَّعُ

وإنما نزل القرآن على لغة العرب ، وعلى ما يتفاهمونه فيما بينهم ، فمَنْ تعلق بشيء من هذا ليطعَن عليه ، فإنما يطعنُ على لغة العرب ، وقوله تعالى : ﴿ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ﴾ تهديد ووعيد : أي أن الله تعالى لا يخفى / عليه شيء من أعمالكم ، وإذا عَلِمَ أعمالكم جازاكم ل[٢٥/ب] عليها فاحذروه . والقسوة في اللغة : الصَّلابة في كلِّ شيءٍ[(٦)]، وهي في القلوب : ذهاب اللين ، والرحمة ، والخشوع[(٧)] ، وقيل : هي أن ييبس القلب عن المائين ؛ بين ماء خشيةِ الله ، وماء شفقة الخلق[(٨)]. وحرف (أو) في قوله تعالى: ﴿ﮞ ﮟ ﮠ﴾ يَحتمل أن يكون للتخيير[(٩)] ؛ كما يقال : جالس الحسن ، أو ابن

(١) ينظر : تفسير الطبري (٣٦٥/١) ، وتفسير ابن عطية (١٦٧/١) ، وتفسير القرطبي (٤٦٥/١) .
(٢) تفسير السمرقندي (٩٢/١) ، وانظر: تفسير الطبري (٣٦٥/١) ، وتفسير ابن عطية (١٦٧/١) ، وتفسير القرطبي (٤٦٥/١) .
(٣) من الآية : ٧٧ من سورة الكهف .
(٤) ديوان جرير (٩١٣/٢) . وينظر : الحماسة البصرية (٢٠٢/١) ، وخزانة الأدب (٢٠٣/٤) .
(٥) الزُّبير هو : الزُّبير بن العَوَّام الأسديّ حواريّ رسول ـ ﷺ ـ . ينظر ترجمته : حلية الأولياء (١ /٨٩) رقم (٦) ، والإصابة (٥٥٣/٢) رقم (٢٧٩١) .
(٦) ينظر: العين (١٨٩/٥) مادة (قسو) ، ولسان العرب (١٥ / ١٨٠) مادة (قسا) .
(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٥٥) .
(٨) تفسير السمرقندي (١/ ٩٢) .
(٩) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٥٦) ، وتفسير ابن عطية (١/ ١٦٦) .

سيرين[1]؛ أي : إن شُبِّهَت قسوةُ قلوبهم بالحجارة كان تشبيهًا لهم ، وإن شُبِّهَت بما هـو أشدُّ قسوة كان تشبيهًا لهم ، ويَحتمل أن يكون بمعنى : (بل) [2] ؛ كما في قوله تعـالى: ﭼ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ[3]، وقوله تعالى: ﭼ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﭼ[4]، ويَحتمل أن يكون يكون بمعنى : (واو النسق) [5] ؛ كقوله تعـالى: ﭼ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ[6]، وقولـــــــــــــــه تعـــــــــــــــــالى: ﭼ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ[7]، ومعناه : وآبائهن ، ويَحتمل أن يكون معناه : من قلوبهم ما هو كالحجارة في القسوة ، ومنها ما هو أشدُّ قسوةً منها ؛ وذلك كقوله : ما أطعمته إلا حُلوًا أو حامضًا ، ويَحتمل أن يكون للإيهام على العباد ، والله تعالى عالـمٌ بذلك غير شاكٍّ فيه ؛ وهـذا كالرجل يقول لصاحبه : أكلت خبزًا أو تمرًا ؛ لا يشكُّ القائل في أيهما أكل ، ولكنـه لا يريد أن ينسبَه لصاحبه[8]، وإنما شبَّه الله قلوب القوم بالحَجَر دون الحديدِ والصُّـفْرِ ـ والله أعلم ـ ؛ أن الحديدَ والصُّفْرَ تليّنهما النار ، والحجارة لا تليّنها النار[9].

وأما القراءة في قوله تعالى : ﭼ ﮞ ﮟ ﮠﭼ مَنْ قرأ بالنصب ؛ فلأنه في موضع الخفض إلا

---

(١) ابن سيرين هو : أبو بكر محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ، من سبي عين التمر ، سُبِيَ فيها والده ، سباه خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ ، وبعثه إلى عمر بن الخطـاب ـ رضي الله عنه ـ ، كان ثقة ، مأمونًا ، عاليًا ، فقيهًا ، إمامًا ، كثير العلم ، ورعًا ، مات سنة ١١٠هـ . ينظـر: الطبقات الكبرى (١٩٣/٧) ، وينظر : طبقات الفقهاء (٩٢/١) .

(٢) ينظر : تفسير السمرقندي (١/ ٩٢) ، وتفسير ابـن عطيـة (١/ ١٦٦) ، وروح المعـاني (١/ ٢٩٥) .

(٣) من الآية : ١٤٧من سورة الصافات .

(٤) من الآية : ٧٧ من سورة النحل .

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٥٦) ، وتفسير ابن عطية (١/ ١٦٦) .

(٦) من الآية : ٦١ من سورة النور .

(٧) من الآية : ٣١ من سورة النور .

(٨) ينظر: تفسير الطبري (٣٦٣/١) ، وتفسير الرازي (١١٨/٣) ، وتفسير ابن كثير (١١٥/١) .

(٩) ينظر: تفسير البغوي (٨٥/١) .

أنه على وزن أفعل ففُتِح ، ومَنْ قرأ بالرفع فعلى إضمار (هي) [١] ، فأما ﭽ وﭼ تُقرَأ بالتاء بالتاء أو الياء[٢]، والتاء أليق بالآية ؛ لأنَّ الآيةَ كلُّها على لفظ مخاطبة الحاضرين[٣]. والغفلة والغفلة والسّهو واحد ؛ إلا أنَّ الغفلة : هي ذهاب الشيء عن النفس بعـــد حضـــوره[٤].

قولـــه ﷻ: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭘ ﭙ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ

خطابٌ للمؤمنين كلهم داخل في قصةِ اليهود التي قصَّها اللهُ على المؤمنين .

والمعنى _والله أعلم _ : كيف ترجون أيُّها المؤمنون أن يصدِّقَكم اليهود فيما أتى به نبيّكم محمد ــ ﷺ ــ ، وقد كانت طائفة من اليهود ممن هو في مثل حالهم من أصنافهم يسمعون كلام الله تعالى ، ويعلمون أنه حقٌّ ، ثم يعاندون ، فيحرفونه ويبدلونه من بعد ما فهموه ، وهم يعلمون ما غيَّروا منه .

قال الكلبي : عنَى بالفريق السبعين الذين ساروا مع موسى ــ عليه السلام ــ إلى طـــور سيناء لَـــمّا أخذهم الرَّجفة ، وأحياهمُ الله تعالى بدعاء موسى ــ عليه السلام ــ قالوا : يا موسى أسمعنا كلام الله تعالى ، فطلب موسى ــ عليه السلام ــ ذلك ، فأجابـــه الله ﷻ قال: مرهم أن يتطهروا ، ويُطهـــروا ثيـــابهم ، ويصـــوموا ، ففعلـــوا ، ثم خـــرج بهـــم موسى ــ عليه السلام ــ حتى أتى الطُّور ، فلمّا غشيهم الغمام ، سمعوا صـــوتًا كصـــوت الشَّبُور[٥]، فوقعوا لله تعالى سُجَّدًا ، فسمعوا كلامَ الله تعالى ، يقول : إني أنا الله ربُّكـــم لا

---

(١) قرأ بفتح الدال (أشدَّ) أبو حيوة ؛ وهي قراءة شاذّة ، واتفق القراء العشرة على قراءتها الرفـــع (أشدُّ) . مختصر شواذ القرآن لابن خالويه (ص : ١٤) ، ومعاني القرآن وإعرابـــه للزجـــاج (١/ ١٥٦) ، وينظر: إملاء ما منَّ به الرحمن (٤٥/١) .

(٢) قرأ ابن كثير بياء الغيب ، والباقون من القراء العشرة بتاء الخطاب . ينظر: النشر في القـــراءات العشر (٢/ ٢١٧) ، والبدور الزاهرة (ص: ٣٣) .

(٣) ينظر: الحجة في القراءات السبع لابن خالويـــه (٨٢/١) ، وحجـــة القـــراءات لابـــن زنجلـــة (ص : ١٠١) .

(٤) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن (٩٥/١) .

(٥) جاء في حاشية الأصل ، وفي حاشية النسخة (ب) : الشَّبُور : على وزن التَّنُـــور ؛ البـــوق ، ويقال : هو معرب من ش . ينظر: لسان العرب (٣٩٣/٤) مادة (شبر) .

إله إلا أنا الحي القيوم ، لا تعبدوا إلـهًا غيري ، ولا تُشركوا بي شيئًا ، وأوصيكم ببر الوالدين ، وأن لا تحلفوا بي كاذبًا ، ولا تسرقوا ، ولا تَزْنوا ، ولا يقتلَ بعضكم بعضًا ، ولا يشهد بعضكم على بعض شهادة زور ، وأطعموا المساكينَ ، وصلوا القرابةَ ، ولا تظلموا اليتيمَ ، ولا تقهروا الضعيفَ ، فلمّا سمعوا الكلام ؛ ذهبت أرواحهم من أجسادهم ، ثم رُدَّت إليهم ، فقالوا : يا موسى إنا لا نطيقُ أن نسمعَ كلام الله تعالى ربنا ﷻ ، فكن أنت بيننا وبين ربنا تعالى جَدُّه ، فلمّا رجعوا قال فريق منهم في آخر حكايته : ثم قال لنا : فإن لم تستطيعوا أن تتركوا ما نهيتكم عنه فافعلوا[(١)]. وذهبَ بعضُ المفسّرين إلى أن المرادَ بالفريقِ الذي ذكر الله عنه في هذه الآية : علماء اليهود[(٢)]، وتحريفهم التوراة : تأويلهم على غير الوجهِ الذي أنزل الله تعالى .

والألف في ابتداء هذه الآية (استفهام) ، وتجري مجرى إنكار الطمع[(٣)]. والطَّمع : تعليق النفس بما تتوقع من النفع[(٤)]. والفريق ، والنفر ، والطائفة ، والحزب واحد : وهو قطعة من الناس[(٥)].

---

(١) ينظر: أسباب النزول للواحدي (ص : ١٨) ، وتفسير السمرقندي (١ /٩٣) ، وتفسير الثعلبي (٢٢٢/١) ، وتفسير السمعاني (٩٧/١) ، وتفسير البغوي (٨٧/١) . وهذه الرواية ضعيفة ؛ من طريق محمد بن السائب الكلبي ؛ قال ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز : « وفي هذا القول ضعف ، ومَنْ قال : إن السبعين سمعوا ما سمع موسى ؛ فقد أخطأ وأذهب فضيلته ــ عليه السلام ــ ، واختصاصه بالتكليم » (١٦٨/١) ، وقال القرطبي في تفسيره : « هذا حديث باطل لا يصح ؛ رواه ابن مروان عن الكلبي وكلاهما ضعيف لا يحتجُّ به ، وإنما الكلام شيءٌ خصَّ به موسى ــ عليه السلام ــ من بين جميع ولد آدم ، فإن كان كلّم قومه أيضًا حتى أسمعهم كلامه فما فَضْلُ موسى ــ عليه السلام ــ ! » (٢/٢) .

(٢) تفسير الطبري (٣٦٧/١) ، وتفسير ابن كثير (١/ ١١٦) ، وفتح القدير (١٠٣/١) .

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١/٢) .

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٣٠٧/١) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٩٥/١) .

(٥) والنَفَر: بفتحتين ؛ من الثلاثة إلى العشرة من الرجال . المغرب في ترتيب المعرب (٣١٧/٢) مادة مادة (نفر) ، وينظر: لسان العرب (٣٠١/١٠) مادة (فرق) ، والمصباح المنير (١٣٣/١) مادة (حزب) .

والتحريف : تغيير الكلام عن معناه إلى معنى قريب الشبهِ به ، ويقال : هو تغيير الأمر عن طريقهِ إلى جهةِ حرفٍ(١) ، والحرف : الحدُّ المائل ؛ ومنه تحريف الطعنة إذا أملتها إلى شقٍّ(٢)./ ل[٢٦/أ]

والغرض من الآية ــ والله أعلم ــ تعزية أصحاب النبي ــ ﷺ ــ في أن اليهودَ إن جحدوا وكذبوا رسولَ الله ــ ﷺ ــ فلهم سابقةٌ في الكفر والتحريف . وفي الآية دلالة على أن العَالِم بالحق المعاند فيه أبعد من الرُّشد ، وأقرب إلى اليأسِ من الصلاح من الجاهل ؛ لأن قوله تعالى: ﴿ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ﴾ يفيد زوالَ الطَّمع في رشدهم ؛ لمكابرتهم الحقّ بعدَ العلم .

قوله ﷻ: ﴿ ... ﴾

اختلف المفسّرون في هذه الآية ؛ قال أكثرهم : إن المرادَ بهذه الآية المنافقونَ من أهل الكتاب في وقت موسى ــ عليه السلام ــ ، فإنه كان في قوم موسى ــ عليه السلام ــ منافقون كما في أمتِنا (٣).

وقال بعضهم : المراد بهذه الآية المنافقونَ من هذه الأُمَّة ، وإنما ذكرهم الله مع اليهود في هذا الموضع ؛ لأنه كان ذكرَهم في أول السّورة ، ولأن أكثرَ منافقي هذه الأمّة كانوا من اليهود قبل مبعثِ نبيّنا محمد ــ ﷺ ــ ، وكانوا بعد مبعثه مع اليهود في الشرِّ حزبًا واحدًا في عداوةِ رسول الله ــ ﷺ ــ ، فلهذا جازَ أن يذكرهم معهم(٤)؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ﴾ يقول : إذا لقي المنافقونَ ؛ المخلصين قالوا لهم : آمنَّا كإيمانكم ، ﴿ ... ﴾ يقول : إذا خلا المنافقون إلى رؤسائهم في الكفر ، قالت لهم رؤساؤهم : أتخبرون المؤمنين بأنهم على الحقِّ ؛ لتكون لهم الحجَّة عليكم عندَ الله تعالى في الدنيا والآخرة إذ كنتم مُقِرِّين بصحة أمرهم ، ولم تتبعوهم على دينِهم . ﴿ ... ﴾ أن ذلك حجَّةٌ لهم

(١) ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٥١٧) مادة (حرف) ، وتاج العروس (٢٣/١٣٥) مادة (حرف) .
(٢) ينظر: لسان العرب (٩/ ٤٢) مادة (حرف) ، وتاج العروس (٢٣/١٣٥) مادة (حرف) .
(٣) تفسير السمرقندي (١/٩٣) ، وينظر: تفسير الطبري (١/٣٦٩) ، وتفسير القرطبي (٢/٣) ، وتفسير ابن كثير (١/١١٦) .
(٤) لم أقف عليه .

عليكم .

ومَنْ قال : إن المرادَ بالآية المنافقونَ في هذه الأمة ؛ أراد برؤساء الكفار : كعبَ بن الأشرف ، وغيرَه ، كانوا يقولون لعبدِ الله بن أبيّ ، وأصحابه من المنافقينَ : إذا أقررتم بصحةِ نبوّة هذا النبيّ الأميّ ــ صلوات الله عليه وسلامه ــ ، وأن ذكره في التوراة حقٌّ ؛ تأكَّدت حجَّةُ متّبعِيه عليكم عند الله تعالى ؛ يريدون بذلك صرفَ المسلمين عن الدِّين ، وكتمانَ بعث النبيّ ــ ﷺ ــ في التوراة ، وربَّما كانوا يقولون للمنافقينَ : إنكم تحدثون الناسَ بما فتح الله تعالى على يدي محمد ــ ﷺ ــ في المغازي ؛ من إطعامِ الخلق الكثير بالطعام اليسير ، وسقي الخلق العظيم من قدحِ ماءٍ لا يَغمر أصابعَه ، وإخباره يوم بدر بمصارع القَتْلَى قبل أن قُتِلوا ، وكان النبيّ ــ ﷺ ــ قال لهم قبل القتال : هذا مصرعُ فلانٍ ، وهذا مصرعُ فلانٍ ، فقُتِل كلُّ إنسانٍ في الموضع الذي أخبر النبيّ ــ ﷺ ــ أنه مصرَعُه[1]، فكان مَنْ حضرَ من المنافقينَ الغزوات مع النبيّ ــ ﷺ ــ إذا رجعَ إلى موضعه أخبر بما شاهد من النبيّ ــ ﷺ ــ من مثل هذه الأمور ، فقالت لهم رؤساء اليهود : ألا تعلمون أن مثل هذه الأخبار حجَّةٌ عليكم في الدنيا والآخرة ، وهذا من تمويه أهل الكتاب ، وقصدهم كتمانَ صفة رسول الله ــ ﷺ ــ[2]. وأما التَّحديث والتَّحدث مأخوذان من الحديث : وهو الإخبار عن حَوادث الزمان .

---

(١) ينظر : صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام (٣/ ١٣٠٨) رقم (٣٣٧٧) (٣٣٧٨) وكتاب المغازي ، باب دعاء النبي ﷺ على قريش (١٤٥٧/٤) رقم (٣٧٤٣) ، ودلائل النبوّة ؛ لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي ، تحقيق : عامر حسن صبري ، ط١/ ١٤٠٦هـ ، دار حراء / مكة المكرمة ، (١/ ٢٩ ــ ٣٠ ــ ٥٥ ــ ٥٦) ، وينظر : دلائل النبوّة للأصبهاني ؛ لإسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني ، تحقيق : محمد محمد الحداد ، ط١/ ١٤٠٩هـ ، دار طيبة / الرياض ، (٣٣/١ ــ ٦٣) ، وينظر : زاد المعاد في هدي خير العباد ؛ لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط= = - عبد القادر الأرنؤوط ، ط١٤/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ، مؤسسة الرسالة / مكتبة المنار الإسلامية / بيروت - الكويت ، (١٧٦/٣) .

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٨٧/١) ، وتفسير ابن عطية (١٦٨/١) ، وزاد المسير (١٠٤/١) ، وتفسير أبي حيان (٤٣٨/١) .

وأصل الفَتْحُ : هو فَتْحُ المغلقِ ، ثم استعمل في مواضع كثيرة من فَتْح البلــدان ؛ كمــا يقال: فَتَحَ المسلمونَ دارًا لحربٍ ، وفي فَتْحك على مَــنْ يَســتقْرئك[1]؛ كمــا رُويَ أن النبيّ ــ ﷺ ــ التبست عليه القراءة في الصلاة ، فلمّا فرغَ قــال لأُبيّ : « هــلاّ فتحــتَ عليَّ »[2] ، وقد يكون الفَتْح بمعنى : (الحُكُم) [3] ؛ كما في هذه الآيــة قولــه تعــالى: ﭽ ﭽ أي : قضى الله عليكم ؛ وكما في قوله تعالى: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ[4]، ويُسَمَّى القاضي : الفاتحُ بلغةِ عُمَــان[5]، وقــد يكــون الفَــتْح بمعــنى : النُّصرة ، يقــال: اســتفتحت فلانًــا إذا طلبــت منــه النُّصــرَة ؛ قــال الله تعــالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ[6] : أي يطلبونَ النُّصرة عليهم[7].

والــمُحَاجّة والمناظرة واحد [8] : وهي مجادلة كلٌّ واحدٍ من الخصمين ؛ لإقامته الحجَّــة

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٣٧٠/١) ، والعين (١٩٤/٣) مادة (فتح) ، ولسان العرب (٢/ ٥٣٧) مادة (فتح) .

(٢) أخرج (نحوه) الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبيّ بن كعب ــ ﵁ ــ (١٢٣/٥) رقــم (٢١١٧٨) ؛ قال الهيثمي معلقًــا في كتابــه مجمــع الزوائــد : « رواه أحمــد ، ورجالــه ثقات » (٧٠/٢) ، وأخرج (بنحوه) أبو داود في سننه عن ابن عمــر ــ ﵁ ــ (٢٣٨/١) رقم (٩٠٧) كتاب الصلاة ، بَاب الْفَتْحِ على الإمَامِ في الصَّلاةِ . قال أبو زكريا محيــي الــدين الدمشقي معلقًا على سند أبي داود : « رواه أبو داود بإسناد صحيح » ؛كتاب خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام ، ط١/ ١٤١٨هــ - ١٩٩٧م ، مؤسسة الرسالة /لبنان ــ بيروت ، (٥٠٣/١) رقم (١٦٨٠) ، كتاب ما ينهى عنه في الصلاة ، باب استحباب تلقــين الإمام إذا ارتُجَّت عليه القراءة .

(٣) ينظر : العين (١٩٤/٣) مادة (فتح) ، ولسان العرب (٢/ ٥٣٨) مادة (فتح) .

(٤) من الآية : ٨٩ من سورة الأعراف .

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢/٩) ، وتفسير الثعلبي (٢٦٢/٤) ، وينظر : لسان العــرب (٥٣٩/٢) مادة (فتح) .

(٦) من الآية : ٨٩ من سورة البقرة .

(٧) ينظر: تفسير الثعلبي (٢٢٢/١) ، وتفسير القرطبي (٤/٢) ، وفتح القدير (١٠٢/١) .

(٨) وفي معجم مقاييس اللغة ؛ يقال : حاججت فلانًا فحججته أي : غلبته بالحجَّة ، وذلك الظَّفر

على خصمه .

قوله ﷻ: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ

معناه يقول / : أوَلا يعلم المنافقونَ أن الله يعلم مايسرُّون فيما بينهم من تكذيب محمد ـ ﷺ ـ ، وما يعلنون مع أصحاب محمد ـ ﷺ ـ من التَّصديقِ به ، أوَلا يعلم رؤساء الكفر ما يُسِرُّون من صفة محمد ـ ﷺ ـ في كتابهم ، ويعلنون من جحدها عند القوم . والإسرار في اللغة : هو إخفاء ما في النفس[1]، والإعلان : هو إظهار مافي النفس . ل[٢٦/ب]

قوله ﷻ: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ

معناه: من اليهود مَنْ لا يُحْسِنُ قراءةَ الكتاب ولا كتابته ، إلا أن يحدثهم رؤساؤهم بشيءٍ فيقبلونه ، فيظنون أنه الحقُّ ، وذلك القول في نفسِه كذب .

والأماني على ثلاثة أوجه :

قد تذكَر والمراد بها : الأكاذيب ؛ ومنه قول عثمان ـ ﷺ ـ : «ما تمنيتُ منذ أسلمتُ »[2] أي : ما كذبت . وتذكَر ويُراد بها : ما يتمنَاه الإنسان ويشتهيه ؛ يعني : أنهم يقولون مالا يعلمون[3] . قال أبو العالية : يتمنون على الله تعالى ما ليس لهم[4] ، وهذا لفظٌ مستعمل في كلام النّاس يقال للذي يقول مالا حقيقة له وهو يحبه : هذا مُنًى ، وهذه

يكون عند الخصومة . (٢ / ٣٠) مادة (حج) ، وفي المعجم الوسيط : المجادلة في علم المناظرة هي : المناظرة لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم . (١/ ١١١) مادة (جدل) .

(١) ينظر: المصباح المنير (٢٧٣/١) مادة (سرر) ، وتاج العروس (٥/١٢) مادة (سرر) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري (٦ / ٣٦٤) (٣٢٠٥٥) كتاب الفضائل ، ما ذكر في فضل عثمان ـ ﷺ ـ ؛ وهي رواية صحيحة ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥ /٥٠٥٩) رقم (٥٠٦١) عن الشعبي عن زيد بن الأرقم ـ ﷺ ـ ، وينظر: تفسير البغوي (١/ ٨٨) ، وتفسير القرطبي (٢/ ٦) ، وتفسير ابن كثير (١ / ١١٨) .

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١ / ٤٧٦) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (١ / ٩٦) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧٥/١) عن أبي العالية ، وينظر: تفسير ابن كثير (١١٨/١) ، وتفسير البغوي (١ / ٨٨) .

أمنيَة ، وقد تذكَر ويراد بها : الأُمنيَة التي هي التلاوة[١]؛ ومنه قوله تعـالى : ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﭼ[٢] أي : إذا تلا القرآن ألقى الشيطان في تلاوته ، فيكون معنى الأماني في هذه الآية على هذا القول : أي من القومِ أمِّيون لا يعرفون من التّوراةِ شيئًا سوى تلاوته ، وما هم إلا يظنُّون ظنًّا من غيرِ يقينٍ ، وقد اختلفوا في مأخذِ الأميّ : قال بعضهم : مأخوذ من الأُمَّة ؛ وهو منسوب إلى ما عليه جبلة الأُمَّة الأميَّة[٣]، وقيل : مأخوذ من الأمِّ ؛ وهو الذي يكون على أصل ولاد الأمِّ لم يتعلَّمْ الكتابةَ ولا القراءةَ[٤].

قوله ﷻ: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼ

نزلت هذه الآية في علماء اليهود الذين غيَّروا صفةَ رسول الله ـ ﷺ ـ في التوراة ؛ فكتبوها (آدمُ سبْطاً طويلاً) ، وكانت الصِّفة فيها أنه (أسْمَرٌ رَبْعَةٌ [٥]) ، فبدَّلوا ، وقالوا للسفلة : هذا من عند الله نزلَ في التوراة [٦]. يقول الله ﷻ : الويلُ لهؤلاء الذين يكتبون

---

(١) ينظر: تفسير السمرقندي (٩٣/١) ، وتفسير البغوي (١ / ٨٨) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٩٦/١) .

(٢) من الآية : ٥٢ من سورة الحج .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٥٩) ، وينظر: تفسير السمرقندي (٩٣/١) ، وزاد المسير (١٠٥/١) .

(٤) ينظر: تفسير السمرقندي (٩٣/١) ، وتفسير البغوي (١ / ٨٨) ، وزاد المسير (١٠٥/١) ، ولسان العرب (١٢ / ٣٤) مادة (أمم) .

(٥) رَبْعَة : أي مربوع الخلق لا طويل ولا قصير . لسان العرب (٩٧/١) مادة (ربع) ؛ وأخرج البخاري في صحيحه عن مالك بن أنس عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس بن مالك ﷺ أنه سمعه يقول : « كان رسول الله ـ ﷺ ـ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ، ولا بالأبيض الأَمْهَق وليس بالآدَم ، وليس بالجَعْدِ القَطَطِ ، ولا بالسَّبْطِ ، بعثه الله على رأس أربعين سنة ... » الحديث . كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ (٣/ ١٣٠) رقم (٣٣٥٥) .

(٦) وهذه رواية ضعيفة ؛ من طريق محمد بن السائب الكلبي . أخرجه الواحدي في أسباب

الكتاب بأيديهم ، ثم ينَسبُونَ ذلك إلى الله ﷻ ، ومعنى الوَيْلُ : الشّدةُ في العذاب ، ويقال: هو الهلاك[١]، وهذه كلمة تستعمل في كلِّ مَنْ وقع في [الهلكة][٢] ، ويقال معنى الوَيْل : الخـزي ويكـنى عنـه : بـوَيْس ووَيْـح [٣]، ويقـال معـنى الوَيْـل : القُبح[٤] ، وقد رُويَ عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه قال : « الوَيْلُ وادٍ في جهنّمَ ؛ يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا [٥] قبل أنْ يَبلُغَ إلى قعرِه »[٦] ، وفي بعض الأخبار : «أنَّ الوَيْـلَ وادٍ

النـزول عن الكلبي (ص: ١٧) ، وأخرجه (بنحوه) ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة عن ابن عباس ــ ﷺ ــ (١٥٤/١) رقم (٨٠٥). وينظر: تفسير القرطبي (٩/٢) ، وتفسير أبي حيان (٤٤٣/١) . قال ابن حجر معلقًا : « قلت الكلبي تقدم وصفه ، وقد وجدتُ هذا من وجهٍ آخر قوي أخرجه ابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس ــ ﷺ ــ ، وفيه مغايرة لسياق الكلبي ؛ ولفظ شبيب بن بشر هذا قد وثقه ابن معين قال : هم أحبـار يهـود وجدوا نعت النبيّ ــ ﷺ ــ محمد مكتوبًا في التوراة : أكحل ، أعين ، رَبْعَة ، جعد الشـعر ، حَسَنُ الوجه ، فمحوه حسدًا وبغيًا ، فأتاهم نفرٌ من قريش من أهل مكة ، فقالوا : أتجدون في التوراة أميًّا ؟ قالوا : نعم نجده طويلاً ، أزرق ، سبط الشعر . فقالت قريش : ما هـذه صـفة صاحبنا » ؛ العجاب في بيان الأسباب (٢٧٢/١) .

(١) ينظر : تفسير السمرقندي (٩٤/١) ، وتفسير البغوي (٨٨/١) ، وزاد المسير (١/ ١٠٦) .
(٢) كُتبت في النسخة (ب) : الهلاك .
(٣) ينظر : تفسير ابن عطية (١٧٠/١) ، وتفسير القرطبي (٨/٢) .
(٤) المفردات في غريب القرآن (٥٣٥/١) ، ولسان العرب (٧٣٩/١١) مادة (ويل) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٩٦/١) .
(٥) الخريف هو : الزمان المعروف من فصول السنة ما بين الصيف والشتاء ، ويريد به أربعين سنة ؛ لأن الخريف لا يكون في السنة إلا مرةً واحدةً ، فإذا انقضى أربعون خريفًا فقد مضت أربعـون سنة . لسان العرب (٩ / ٦٣) مادة (خرف) .
(٦) أخرج الترمذي (بلفظه) في سننه ، وقال : « هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًـا إلا مـن حديث ابن لَهِيعَةَ » (٣٢٠/٥) رقم (٣١٦٤) ،كتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عن رسول اللَّهِ ــ ﷺ ــ ، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الأَنْبِيَاءِ عليهم السَّلام ، وأخرجه أيضًا (بلفظه) ابـن حبّـان في صحيحه ؛ وحكم الشيخ شعيب الأرنؤوط على سنده بالضَّعف (٥٠٨/١٦) رقـم (٧٤٦٧) ،

في جهنّمَ ؛ يسيلُ فيه صديدُ أهلِ النّارِ »[1]. ومعنى قوله تعالى : ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﭼ أي : عرضًا يسيرًا من الدنيا ؛ وهو ما كان لعلمائهم من المآكلة ، والهدايا من أغنيائهم .

وأما إعادة ذكر الوَيْل في الآية ؛ فللتأكيد ، ألحقَ الله بهم ثلاثَة ويلاتٍ لما غيّروا من الكتاب ، ومعنى قوله تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽﭼ مما يصيبون من الهدايا والفضول ، وأصل الويل في اللغة : حكايات صوت الصّارخ إذا أصابته نازلة[2]؛كما قال الله تعالى: ﭽﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ[3] ، وقال عزَّ من قائل : ﭽﮃ ﮄ ﮅ ﮆﭼ[4].

وأما إضافة الكتابة إلى اليد في الآية ، ولا تكون الكتابة إلا باليد ؛ لتحقيق إضافةِ الفعل إلى الفاعِلِ ، مثال ذلك : قول النّاس لـمَنْ ابتدع مذهبًا أو اخترع قولاً لم يُسْبَق إليه : هذا شيءٌ تقوله أنت ، وهذا قولك ومذهبك ؛ يريدون بذلك أنك قلت هذا القول من تلقاءِ نفسك .

والكَسْب : هو طلبُ الرِّزق ، وحقيقتة الفعل الذي تُستَجلب به المنفعة ، ويستَدفَعَ به

كتاب إخباره ــ ﷺ ــ عن مناقب الصحابة ، باب صفة النار وأهلها ، وأخرجه أيضًا (بلفظه) الحاكم في المستدرك ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه عليه الذهبي ؛ (٢/٥٥١) رقم (٣٨٧٣) كتاب التفسير ، وجميعهم أخرجوه عن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ .

(١) أخرج (نحوه) الطبري (١/٣٧٨) وابن أبي حاتم (١/١٥٣) رقم (٧٩٩) في تفسيرهما عن زياد بن فياض عن أبي عياض ؛ فأبو عياض قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب (١ / ٤١٨) (٤٩٨٩) : « ثقة عابد من كبار التابعين » ، وزياد بن فياض قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب (١ / ٢٢٠) (٢٠٩٣) : « ثقة عابد » ، وهي رواية مرسلة ؛ لسقوط الصحابي منها ، وأخرجه (بنحوه) الطبراني في المعجم الكبير عن وائل بن مهانة عن عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ ؛ وهي رواية حسنة (٩/ ٢٢٨) رقم (٩١١٤) ، وينظر : تفسير السيوطي (١/٢٠٢) عن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ ، وعزاه إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر ، والطبراني ، والبيهقي .

(٢) ينظر : لسان العرب (١١/٧٣٩) مادة (ويل) ، وتاج العروس (٣١/١٠٧) مادة (ويل) .

(٣) الآية : ٢٨ من سورة الفرقان .

(٤) من الآية : ٤٩ من سورة الكهف .

المضرَّة [(١)] ، ولهذا لا يجوز أن يوصف الله تبارك وتعالى بالمكتسِب . وفي ظاهر قوله تعالى: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ دلالةٌ أنّه لا يجوز أخذ الأجرة على تعلـيم الكتاب [(٢)].

قوله ﷻ: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ ل[٢٧/أ]

معناه قالت اليهود : لن تصيبنا النّار إلا أيّامًا قليلةً ، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في رواية الكلبي ـ رحمه الله ـ : عَنوا بذلك الأيّامَ التي عبدوا فيها العجلَ[(٣)].

وقد اختلفوا في مقدار أيّام عبادتهم العجل : قال بعضهم : عشرةُ أيّام ، وقيل : سـبعةُ أيّام ، ويقال : أربعونَ يومًا [(٤)]. وقيل : إن هذا لا يصح ؛ لأن العجلَ كان عبدَه آباؤهم ، وقد تابوا من ذلك . ورُوِيَ عن عكرمة عن ابن عباس [رضي الله عنهما] : أنهم عنـوا بهذا القول سبعة أيّام ؛ مقدار عدد أيّام الدنيا ، قالوا : نعذَّب أيامًا قليلةً ، ثم يَشـفع لنـا آباؤنا [(٥)]. وعن مجاهد أنه قال : كانت اليهود تقول : الدنيا سبعة آلاف سنة ، والعـذاب

---

(١) ينظر: لسان العرب (٧١٦/١) مادة (كسب) ، والقاموس المحيط (١٦٧/١) مادة (كسب) .

(٢) قالت اللجنة الدائمة للإفتاء : « يجوز لك أن تأخذ أجرًا على تعليم القرآن ؛ فإن النبيّ ـ ﷺ ـ زوَّج رجلاً امرأة بتعليمه إياها ما معه من القرآن ، وكان ذلك صداقها ، وأخذ الصحابي أجرة على شفاء مريضٍ كافرٍ بسبب رقيته إياه بفاتحة الكتاب ، وقال في ذلك الـنبيّ ـ ﷺ ـ : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله » ، وإنما المحظور : أخذ الأجرة على نفس تلاوة القـرآن ، وسؤال النّاس بقراءته » ؛ (١٥/ ٩٦) رقم (٣٢١٠) . وينظـر : فتـاوى البلـد الحـرام (فتاوى شرعية في مسائل عصرية) ، د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي ، ط٩/ ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ، مكتبة الملك فهد الوطنية / الرياض ، (ص: ١٥٠٣) ، والحديث أخرجه البخـاري في صحيحه (٥ / ١٣٢) رقم (٥٤٠٥) كتاب الطب ، بَاب الشَّرْطِ فِي الرُّقْيَةِ بِقَطِيعٍ من الْغَنَمِ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٨١/١) عن قتادة ، وذكره أيضًا ابن كثير في تفسـيره (١١٩/١) عن قتادة أيضًا ، وانظر : تفسير السمرقندي (٩٥/١) ، وفي زاد المسير (١ / ١٠٧) عن مقاتل .

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٦١) ، وتفسير السمرقندي (١/ ٩٥) ، وتفسـير البغوي (٨٩/١) ، وزاد المسير (١ / ١٠٧) .

(٥) أخرجه (بنحوه) الطـبري في تفسـيره (١ / ٣٨٢) ، والواحـدي في أسـباب النـزول

مكان كلِّ ألف سنةٍ يوم[١] ، وقيل : إن مذهبهم كان مذهب جَهْم ؛ كـــانوا لا يـــرون الخلودَ في النار[٢].

ﭽ ﮉﭼ لهم يا محمد ــ ﷺ ــ أَعَهِدَ الله إليكم عهدًا أن لا يعذبكم إلا هذا المقدار! فلـــن يخلفَ اللهُ عهده ووعده ، ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ تعالى الكذب وما لا عِلمَ لكـــم بـــه ، رُويَ أنه يقال لهم عند مضي الأجل : يا أعداء الله تعالى قد مضى الأجل ، وبقيَ الأبَـــد ، فيوقنون بالخلود ، وينقطع رجاؤهم[٣].

والـــمَسُّ في اللغة : الجمع بين الشيئين على نهايةِ القُربِ[٤]. ولفظ المعدودة ؛ للتقليل ؛ كما قال الله تعالى : ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﭼ[٥] أي : قليلةٌ ؛ وكذلك قوله تعالى في آيةِ الصّيام : ﭽ ﭴ ﭵﭶ ﭼ[٦] : معناه ــ والله أعلم ــ : لم يكلفكم تعالى الصومَ على ما يشقُّ ويصعب عليكم ، إنما كلفكم أيامًا معلومةً ، وقد احتجَّ مشايخنا ــ رحمهم الله ــ من الخـــبرِ المروي عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه قال : « المستحاضةُ تَدعُ الصّلاةَ أيّـــام إقرائهـــا »[٧]،

عن عكرمة عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ (ص : ١٨) ، وينظر: تفســـير الســـمرقندي (٩٥/١) ، وزاد المسير (١ / ١٠٧) ، وتفسير ابن كثير (١١٩/١) .

(١) أخرجه (بنحوه) الطبري في تفسيره عن عكرمة عـــن ابـــن عبـــاس ــ ﷺ ــ (١ / ٣٨٢) ، تفسير البغوي (٨٩/١) ، وزاد المسير (١ / ١٠٧) ، وتفسير ابن كثير (١١٩/١) .

(٢) تفسير السمرقندي (٩٥/١) .

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٦٠/١) ، وتفسير السمرقندي (٩٥/١) ؛ و لم أقف على سنده .

(٤) ينظر: لسان العرب (٢١٩/٦) مادة (مسس) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٩٦/١) .

(٥) من الآية : ٢٠ من سورة يوسف .

(٦) من الآية : ١٨٤ من سورة البقرة .

(٧) أخرجه أبو داود في سننه (بلفظه) ، (٨٠/١) رقم (٢٩٧) كتاب الطهارة ، بَاب مـــن قـــال تَغْتَسِلُ من طُهْرٍ إلى طُهْرٍ ، وأخرجه الترمذي في سننه (بلفظه) أيضًا (٢٢٠/١) رقـــم (١٢٦) كتاب الطهارة ، بَاب ما جاء أَنَّ الْمُسْتَحَاضَةَ تَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلاةٍ ، وقال : « هذا حَدِيثٌ قـــد تَفَرَّدَ بِهِ شَرِيكٌ عن أبي الْيَقْظَانِ ، وَسَأَلْتُ مُحَمَّدًا ـــ يعني البخاري ـــ عن هذا الحديث فقلت : عَدِيُّ بن ثَابِتٍ عن أبيه عن جَدِّهِ جَدُّ عَدِيٍّ ما اسْمُهُ ؟ فلم يَعْرِفْ مُحَمَّدٌ اســـمَهُ ، وَذَكَـــرْتُ لِمُحَمَّدٍ قَوْلَ يحيى بن مَعِينٍ أَنَّ اسْمَهُ دِينَارٌ فلم يَعْبَأْ بِهِ » ، وأخرجه ابن ماجه في سننه (بلفظه)

ومن قوله ـ ﷺ ـ : « دعي الصّلاةَ أيّام أقرائك »[١] ؛ أنَّ أقل الأيام ثلاثة ، وأكثرها عشرة ، يقال لما دون الثلاثة : يوم ويومان ، وفيما زاد على العشرة : أحد عشر يومًا ، وليس لأحدٍ أن يعترضَ على هذا الاستدلال بقوله تعالى في آية الصيام : ﴿ چ ج چچ چ ﴾ ؛ أراد بها الشهر كله ؛ لأن ظاهرَ لفظ الأيام الثلاث إلى العشر على مابيّناه ، إلا أنه قد يذكر ويراد به : الزيادة ؛ كما يقال : أيّام بني أُميَّة[٢] ،

أيضًا (١/٢٠٤) رقم (٦٢٥) كتاب الطهارة وسننها ، بَاب ما جاء في الْمُسْتَحَاضَةِ الَّتِي قَدْ عَدَّتْ أَيَّامَ إقرائها قبل أَنْ يَسْتَمِرَّ بها الدَّمُ ، قال الحافظ ابن حجر معلقًا على هذا الطريق : « وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ » ؛ كتاب تلخيص الحبير (١/١٦٩) ، وجميعهم أخرجوه عن عَدِيِّ بن ثَابِتٍ عن أبيه عن جَدِّهِ ـ ﷺ ـ .

وأخرجه (بنحوه) البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ ، بلفظ : « أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ أبي حُبَيْشٍ سَأَلَتْ النبي ـ ﷺ ـ قالت : إني أُسْتَحَاضُ فلا أَطْهُرُ أَفَأَدَعُ الصَّلَاةَ ؟ . فقال : لا إِنَّ ذَلِكِ عِرْقٌ ، وَلَكِنْ دَعِي الصَّلَاةَ قَدْرَ الأَيَّامِ التي كُنْتِ تَحِيضِينَ فيها ثُمَّ اغْتَسِلِي وَصَلِّي » ؛ (١/١٢٤) رقم (٣١٩) كتاب الحيض ، باب المرأة تحيض بعد الإفاضة .

(١) أخرجه (بلفظه) الدارقطني في سننه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ (١/٢١٢) رقم (٣٦) كتاب الحيض . قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البَر : « هذا الحديث ضعَّفه أهل العلم ؛ لأنه يروى عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ، وعائشة لم يُختلف عنها في أن الأقراء : الأطهار ، فيبعد عن عائشة أن ترويَ عن النبيّ ـ ﷺ ـ أنه قال للمستحاضة : « دعي الصلاة أيام أقرائك » ، وتقول الأقراء : الأطهار » ؛ كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ١٣٨٧هـ / وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، (١٥/٩٨) .

وأخرج (نحوه) البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ (١/١٢٤) رقم (٣١٩) كتاب الحيض ، بَاب المرأة تحيض بعد الإفاضة .

(٢) بنو أُميَّة هم : بنو الزَّرقاء ؛ إحدى عشائر قريش ؛ ومن أشهر حكامها : معاوية بن أبي سفيان ، ويزيد بن الحكم ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان ، وغيرهم ، واستمرت مدة حكمهم إحدى وتسعين سنة . ينظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان (٣/ ٤٤٧) ، وينظر : أطلس الحديث (ص : ٤٨) .

وأيّام الحجَّاج[1] ، وقد فسَّر الله ﷻ أيام الصيام بالشهر ، فانعقد بذلك التفسير ، فأمّا أيّام الحيض فمبهمة ، ولابد أن تكون محصورة ؛ لأن الأحكامَ تختلف بحالِ الحيض والطُّهــر ، فكان حمل اللفظ على ظاهره وحقيقته أولى[2]. والاتخاذ هــو: جعــل الشــيء عنــده ، والإخلاف هو: نقض العهد بالفعل .

والألف في قوله ﷻ: ﭽ ﮋ ﭼ : همزة استفهام معناه : التوبيخ في الإعلام لهم ولغيرهم أن الأمرَ ليس كما قالوا ، وأنهم يقولون بغير علمٍ ، والأصل في قوله : ﭽﮋﭼ : (أأتخــذتم) بهمزتين[3]؛ لكن حُذِفت الهمزة الأصلية ؛ للتخفيف ، ومَنْ قرأ (اِتخذتم) بكسر الألف ؛ فلأنَّ فيما بعد ذلك دليل الاستفهام [4]؛ وهو قوله تعالى: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﭼ .

قوله ﷻ: ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ

ردٌّ من الله تعالى على اليهود قولهم : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ ، يقول الله ﷻ : ليس كما يقولون : مَنْ كَسَب سيئةً ؛ يعني : الشرك ، وأحاطت به خطيئاته : أي سَدَّت عليه طريق النجاة ، ومات على الشرك ، وقال السُّدي : أراد بالسيئة ؛ الذنوب التي وعــد الله تعالى عليها العقابَ[5] . وأما الخطيئة : فهي الشرك[6]، ولابد من أن تكون الخطيئة أكــبر من السيئة ؛ لأن ما أحاط بغيره كان أكبر منه . وقوله تعالى: ﭽﮤ ﮥ ﭼ أي : أهل هذه الصّفة أصحاب النار ، هم فيها مقيمون دائمون .

---

(١) الحجَّاج هو : أبو محمد الحجَّاج بن يوسف ابن أبي عقيل الثقفي ، عامل عبد الملك بن مــروان على العراق وخراسان ، كان شجاعًا ، مقدامًا ، مهيبًا ، متفوهًا ، فصيحًا ، ســفّاكًا ؛ قَتَــل عبد الله بن الزبير ــ ﷺ ــ ، وقتل سعيد بن جبير المقرىء المفسّر ، مات سنة ٩٥هـــ . ينظر: البداية والنهاية (١١٧/٩) ، وشذرات الذهب (١٠٦/١) .

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٤٦/١) .

(٣) التبيان في إعراب القرآن (٨٢/١) ، وتفسير أبي حيان (٤٤٥/١) .

(٤) لم أقف على مصدره .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره عن أسباط عن السّدي (١ / ٣٨٥) .

(٦) تفسير الطبري (٣٨٤/١) ، وتفسير السمرقندي (٩٥/١) ، وتفسير البغوي (٨٩/١) ، وتفسير ابن عطية (١٧١/١) .

وأصل بلى : (بل) وهو لردِّ الكلام الماضي ، وإثبات كلامٍ آخر مبتدأ ، وإنما زيــدت الياء في آخره ؛ ليَحسُنَ عليها الوقف[١] ، وقال بعضهم : أصله (بل لا) ، فخُفِّــف[٢] ، وقال الفَرَّاء : (بلى) جواب النفي بالإيجاب ، كما أن (نعم) جواب الإيجاب ، وإذا قال قائل : أما لي عليك درهم ؟ (على طريق الاستفهام) ، فقلت : بلى يجب عليك درهم ، وإذا قلت : نعم لا يجب عليك شيء ؛ كأنه ذهب إلى أن (نعم) إعادة لفظ السؤال مــن المجيب ، فأما (بلى) فهو لإثبات كلام مبتدأ [٣]؛ قال الله تعالى ﭽﭸﭹ ﭺﭻﭼﭽ[٤] ، وقال وقال عزَّ من قائل: ﭽ ﭥ ﭦ ﭧﭨﭩﭪﭫﭽ[٥].

والإحاطة : الإحداق والإدارة بالشيء[٦]. والخطيئة والسيئة في اللغة واحد[٧] . وقد عُقِل عُقِلِ من الآية استحقاق النار بكسبِ السيئة وإحاطتها به ، وكــان الجــزاء مســتحقًا / بوجود الشرطين غير مستحق بوجود أحدهما ، وهذا يدل على أن مَنْ عقد اليمينَ علــى شرطين من طلاقٍ أو عتقٍ أو غيرِهما ؛ أنه لا يَحنث بوجود أحدهما دون وجودهما[٨].

ل[٢٧/ب]

قوله ﻷ :ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﮰ ﮱ ﯓﯔﯕ ﭼ

أخبر الله ﻷ أن الذين أقرُّوا وصدَّقوا بتوحيد الله تعالى ، وبنبوّة رسله _عليهم الســلام _، وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربِّهم : أي أدُّوا الفرائض ؛ أهل هذه الصّفة في الجنّــة خالدون مقيمون دائمون . والأصحاب : السواكن ، يقال : صاحبُ الــدار، وســاكن

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/٣٨٤) ، وتفسير ابن عطية (١/١٧١) ، والتبيان في إعراب القــرآن (١/٨٢) ، وتفسير القرطبي (٢/١١) .

(٢) لم أقف على مصدره .

(٣) ينظر: معاني القرآن للفرَّاء (١/ ٥٢) .

(٤) من الآية : ١٧٢ من سورة الأعراف .

(٥) من الآية : ٤٤ من سورة الأعراف .

(٦) ينظر: تفسير الطبري (١/٣٨٦) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (١/٦٣) .

(٧) ينظر: لسان العرب (١/٩٧) مادة (سوأ) ، والمعجم الوسيط (١/٤٦٠) مادة (ساء) .

(٨) أحكام القرآن للجصاص (١/٤٧) .

الدار[١]. رُوِيَ أنه إذا سكن أهلُ الجنّة الجنّةَ ، وأهلُ النّار النّارَ ، جيء بالموت على صـــورة كبشٍ أملحٍ ، فيوقف بين الجنّة والنّار فيقال : يا أهلَ الجنّة ، هذا الموت يُـــذبَح ، ويقـــال لأهلِ النّار: يا أهلَ النّار ، هذا الموت يُذبَح ، فينظرون إليه فيعرفونه ؛ لأنهم كلُّهـــم رأوه ، وذاقوه ، فيذبح بين الجنّة والنّار ، فلو ماتَ أحدٌ من أهلِ الجنّةِ فَرَحًا ؛ لمات أهلُ الجنّةِ حين أَمِنوا من الموت ، ولو مات أحدٌ من أهلِ النّار حَزَنًا ، لمات أهلُ النّار حين أيسوا من الموت وقرُّوا في النّار[٢].

قوله ﻷ :ﭽ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ

راجعٌ إلى قصة اليهود ؛ لأن اللهَ تعالى خاطبَ النّاسَ كلَّهم في أول هذه السّـــورة بقولـــه تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮛ ﮛ ﭼ[٣]، ثم خاطب بني إسرائيل بزيادةِ نعمه عليهم ؛ تارةً عدَل مـــن خطابِ الخلق إلى خطابِ بعضهم ، وتارةً عدَل من خطابِ الكفار إلى خطابِ المـــؤمنين ، ومن ذكرِ المخلصين إلى ذكرِ المنافقين ؛ لأن الغرضَ من هذه الآيات كلها أن يصيرَ النّاسُ كلُّهم أمَّةً واحدةً ، وتكون كلمتهم كلمةً واحدةً .

ومعنى هذه الآية ــ والله أعلم ــ: واذكروا إذ كلفنا بني إسرائيل ﭽ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ﭼ أي : أمرناهم بإخلاص العبادة لله تعالى ، وأن يحسنوا بالوالدينِ إحسانًا ؛ برًّا بهمـــا وعطفًـــا عليهما ، وقيل : تقدير قوله تعالى: ﭽ ۅ ۅ ﭼ وصيناهم بالوالدين إحسانًا ، وهذا أحســـن من الأول ؛ لأنه لا يقال : أحسن بالوالدين ، وإنما يقال : أحسن إلى الوالدين[٤]. فأمّا قوله قوله تعالى: ﭽ ۉ ۉ ﭼ أي : وصيناهم بصاحب القَرَابَةِ بصلة الـــرَّحم . ﭽ ې ې ﭼ أي :

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٣/ ٢١٢) مادة (سكن) .

(٢) الحديث (بنحوه) في الصحيحين ؛ أخرجه البخـــاري (٤/١٧٦٠) رقـــم (٤٤٥٣) كتـــاب التفسير ، باب تفسير سورة مريم ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يوم الْحَسْرَة ﴾ ، ومسلم (٤/٢١٨٨رقم (٢٨٤٩) كِتَاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، باب النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَـــدْخُلُهَا الضُّـــعَفَاءُ ، وكلاهما عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ــ ﭬ ــ .

(٣) من الآية : ٢١ من سورة البقرة .

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١/٣٩٠) ، وتفسير الرازي (٣/١٥٠) ، وتفسير أبي حيان (١/٤٥٢) .

الإحسان إلى اليتامى والمساكين . چ ﯯ ﯰ ﯱ چ أي : قولاً ذا حُسْنٍ ، فعدل عن المغَايبةِ إلى المخاطبةِ ؛ كما قال الشاعر؛ هو كُثَيِّر[1]:

أَسِيئي بِنا أَو أَحْسِني لا مَلُومَةً   [لَدَيْنا] [2] ولا [مَقْلِيّةً [3]][4] إن تَقلَّت[5]

قال الكلبي ومقاتل في مَعنى قوله: چ ﯱ چ : قولوا أيها الرؤساء من اليهود للسفلة قولاً حقًّا وصدقًا ، وبيّنوا لهم صفة النبيّ ـ ﷺ ـ كما هو في التوراة ، ولا تكتموها [6]، ووأدُّوا ووأدُّوا الصلاة بحقوقها كما فرضَ اللهُ تعالى ، وأعطوا الزَّكاةَ ، ثم أعرضتم أيها اليهود عن الميثاق الذي أخذنا عليكم إلا قليلاً منكم ؛ وهو: عبد الله بن سلام [7]، ومَنْ أسلم معه من من اليهود[8]، وأنتم مصرُّون على الإعراض ، تاركون لما أخذنا عليكم من المواثيق ، وقال الزجّاج : عنَى بقوله تعالى : چ ﯷ چ : أوائلهم الذين أُخِذ عليهم الميثاقُ[9].

وأما قوله تعالى: چ ﯹ ﯺ چ خطابٌ للذين كانوا في زمن النبيّ ـ ﷺ ـ : أي أنتم كأوائلكم في الإعراض عن العهد الذي أُخِذ عليكم . والأخذ : هو نقل الشيء من يدِ المعطي إلى يدِ غيره ، وكأن المراد بالآية أعطوا الميثاق ، وأخذ الله تعالى عليهم الميثاق ، والميثاقُ : عهدٌ مؤكدٌ باليمين ، أو بالوعيد [10]. وقرىء (لا يعبدون) بالياء والتاء[1]،

---

(١) ينظر ترجمته (ص:٦٠) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .
(٢) كُتبت في الأصل ، وفي النسخة (ب) : لدُنيَا ، والصواب ما أثبته بعد الرجوع لديوانه .
(٣) وتَقَلَّى الشيءُ : تَبَغَّضَ . لسان العرب (١٩٨/١٥) مادة (قلا) ، وتاج العروس (٣٤٥/٣٩) مادة (قلي) .
(٤) كُتبت في الأصل ، وفي النسخة (ب) : مقلوةٌ ، والصواب ما أثبته بعد الرجوع لديوانه .
(٥) والبيت في ديوانه ؛ ديوان كُثَيِّر عزَّة ، شرح قدوري مايو ، ط١/ ١٤١٦هـ -١٩٩٥م ، دار الجيل / بيروت (ص: ٨٠) . أَسِيئي بِنا أَو أَحْسِني لا مَلُومَةً لَدَيْنا ولا مَقْلِيّةً إنْ تَقَلَّتِ .
(٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٦٠/١) ، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٢٨) .
(٧) ينظر : ترجمته (ص:٤٨) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .
(٨) ينظر: تفسير ابن عطية (١٧٣/١) ، وتفسير القرطبي (١٧/٢) ، وفتح القدير (١٠٨/١) .
(٩) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٦٤) .
(١٠) أحكام القرآن للجصاص (٤٧/١) .

وهما قريبتان في المعنى ، يقال: قل لفلان يَرْكَب ، وقل له تَرْكَب[٢]. ورفع قوله تعالى ﭼ ﯙ ﯚ ﭼ ؛ لأنه جواب القسم ، وقيل: تقديره: [أن لا تعبدوا][٣]، فلما أُسقِطت (أن) رُفِعَت[٤].

والإحسان في اللغة : هو النَّفعُ الحسن[٥] ؛ وقد اختلفوا في القول الحَسَن في هذه الآية : قال بعضهم : هو عامٌ للنّاس كلهم كانوا متعبدين بذلك من الكافر والمسلم [٦]. وقيل[٧] : إن ذلك على معنى قوله تعالى : ﭼ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﮸ ﯓ ﭼ[٨] ، والإحسان المذكور في الآية ؛ إنما هو الدُّعاءُ إليه ، والنُّصحُ فيه لكلِّ أحدٍ ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وذلك كلُّه حَسَن .

وعن ابن عباس [رضي الله عنهما] وقَتَادة : أن هذه الآية منسوخةٌ بالأمرِ بالقتالِ[٩]؛ وقد قال الله تعالى: ﭼﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ[١٠]/ فأباح الجهر بالسوءِ في الظّالم ل[٢٨/أ]

---

(١) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لا يعبدون) بالياء ، والباقون من القراء العشرة (لا تعبدون) بالتاء . ينظر: السبعة في القراءات (١/١٦٣) ، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٨١) .

(٢) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (١/٨٣) ، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/٤٦) .

(٣) جاء في الأصل ، وفي النسخة (ب) : (أن لا تعبدون) ، والصواب ما أثبته بعد التأكد من المراجع التالية : تفسير الطبري (١ / ٣٩٠) ، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه (١/٨٣) ، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/٤٦) .

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٦٢) ، ومشكل إعراب القرآن (١/١٠١) .

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١/ ١١٩) ، وتاج العروس (٣٤/٤٢٣) مادة (حسن) .

(٦) أحكام القرآن للجصاص (١/٤٧) .

(٧) أحكام القرآن للجصاص (١/٤٧) .

(٨) من الآية : ١٢٥ من سورة النحل .

(٩) ذُكر في أحكام القرآن للجصاص (١/٤٧) عن قتادة وابن عباس ــ رضي الله عنهماــ ، وينظر: تفسير ابن عطية (١/١٧٣) عن قتادة ، وتفسير القرطبي (٢/ ١٦) عن قتادة وابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، والصحيح أن الآية ليست منسوخة فلا تعارض بينهما .

(١٠) من الآية : ١٤٨ من سورة النساء .

، وقد أمر الله تعالى بلعنِ الكفارِ[١] والبراءة منهم ، والإنكارِ على أهل المَعاصي ، وهذا ممـــا لا يختلف فيه شرائع الأنبياء ــ صلوات الله عليهم ــ ؛ فعلى هذا قولـــه تعـــالى: ﴿ﭙﭚ﴾ على أحد وجهين : إمّا أن يكون خاصًّا في المسلمين ومن لا يستحق الـــنكير ، وإمّـــا أن يكونَ عامًّا في الدعاءِ إلى الله تعالى على وجه النصيحة [٢].

و ﴿ ﯗ﴾ والقَرَابةُ واحد [٣]: وهي ولادةٌ يُرْجَعُ إليها بالإضافة في العادة ، فإنه ما مـــن نفسين إلا وبينهما قَرَابَة ، إلا أنَّ القَرَابَة إذا بَعُدَت لم يُعتَدْ بها في العادةِ ، وإذا قَرُبَت أُعتِدَّ بها . ﴿ﯛ﴾ جمع يتيم : وهو الذي لا أب له لـــمَنْ لا يبلغ الحُلُم ، واسمُ اليتيم لا يستعمل

(١) لعن الكفار إجمالاً جائز سواءً علّق اللعن بوصفِ الكفرِ ، أو بصنفٍ من أصنافهم ؛ كـــاليهود والنصارى ونحو ذلك ، وقد حكى بعض العلماء الإجماع على ذلك ، ولعن الكفار عمومًا أو بعض أصنافهم لا يخلو من إحدى حالتين : الحالة الأولى : أن يكون على =

= ســـبيل الإخبـــار . الحالـــة الثانيـــة : أن يكـــون علـــى جهـــة الـــدَّعاء علـــيهم . فإن جاء اللعن للكفار عمومًا ، أو بعض أصنافهم ، في سياق الإخبار عن حالهم ، فهذا ســـائغٌ وجائزٌ موافق لما جاء في الخبر عن الله تعالى وعن رسوله ــ ﷺ ــ في لعنهم ، فمَنْ أخبر عن ذلك بقوله لعن الله الكفار ، أو اليهود ، أو النصارى ، فهو صادق في إخبـــاره ، لموافقتـــه للشـــرع وللواقع ، فالكفار عمومًا ملعونون ومطرودون من رحمة الله ومأواهم النار وبئس القرار ،كمـــا قـــــــــــال تعـــــــــــالى : ﴿ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ﴾ [الآيتان : ٦٤ – ٦٥ من سورة الأحزاب] . وأما الحالة الثانية وهي : لعن الكفار عمومًـــا أو بعض أصنافهم على معنى الدعاء عليهم ؛ كقول القائل : اللهم العن الكفار ، أو اليهـــود ، أو النصارى ، أو لعنة الله عليهم ، ونحو ذلك ، فهذا لا يخلو من أمور : فإن كان المدعو علـــيهم باللعنة من الكفار أمواتًا ؛ فالدعاء عليهم باللعنة تحصيل حاصل ؛ لأن الله تعالى قد أخبر بلعنهم ، وأما إن كان المدعو عليهم باللعن أحياءً ؛ فهذا ينبني حكمه على حكم الدعاء علـــى الكفـــار إجمالاً . ينظر : أحكام لعن الكافرين وعصاة المسلمين (دراسة عقدية) ، (ص : ١٧–١٩) ، تأليف : سليمان بن صالح الغصن ، كنوز إشبيليا / الرياض ، ط١/ ١٤٢٧هـــ .

(٢) أحكام القرآن للجصاص (١/٤٧) .

(٣) ينظر : تفسير الطبري (١ / ٣٩٠) .

في الآدميين إلا فيمَنْ فقد أباه ، ولا يستعمل في الدّواب إلا فيمَنْ فقد أمه[١]. ﭼ ﯶﭼ جمع المسكين : وهو الذي أسكنَه الفقر ؛ مأخوذ من السكون[٢]. والإيتاء : الإعطاء ، يقـال : آتيته ؛ أعطيتَه ، وأتيته (مقصورًا) ؛ إذا جئته .

والقِلَّة : عدَّةٌ أنقص من عدَّة ولا يتبيّن ذلك إلا بالإضافة . ونُصِبَ ﭼ ﭼ على الاستثناء ؛ معناه: اُستُثنِيَ قليلاً منكم[٣]. والإعراض : هو الذهاب عن مواجهة الشيء إلى عرضـه[٤]. وفي الآية دلالةُ وجوبُ الإحسان إلى الوالدين مؤمنيْن كانا أو كافريْن ، ووجـوبُ صـلةِ الرَّحم ، والإحسان إلى اليتامى والمساكين ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قرَنَ ذلك كله بالتوحيد المذكور في أوّل الآية .

قوله ﷻ: ﭼ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ

بيانُ ميثاق النهي ، فأمّا الآية التي قبل هذه الآية بيـان ميثـاق الأمـر . ومعـنى هـذه الآية ـ والله أعلم ـ : واذكروا إذ أخذنا ميثـاق أسـلافكم الـذين كـانوا في زمـن موسى ـ عليه السلام ـ لا يَصبُّون دماءكم أي : لا يَقتُلُ بعضكم بعضًـا ، ولا يخـرجُ بعضكم بعضًا من دياركم ، ﭼ ﭛ ﭜﭼ أي : اعترفتم بأن هذا العهد قد أُخِذ عليكم وعلـى أوائلكم ، وبذلتموه من أنفسِكم ، وأنتم أيها الباقون المخاطبون شاهدون على من تقدمكم بأخذنا منهم الميثاق ، وبما بذلوه من أنفُسِهم ، ويجوز أن يكون معنى قوله تعالى :

ﭼ ﭔ ﭕ ﭼ أي: لا يَقْتُل أحدٌ منكم غيره ، فيُقتَل به ، فيكون في معنى مَنْ قَتَل نفسه ؛ وهذا كقوله ـ ﷺ ـ : « أشدُّ النّاسِ إثـمًا مَنْ سبَّ أبويه » ، فقيل : يـا رسـول الله كيف يَسُبُّ الإنسان أبويه ؟ ، قال : « يَسُبُّ غيرَه حتى يَسُبَّ ذلك أبويه »[٥]، واحتمال

(١) ينظر : المفردات في غريب القرآن (٥٥٠/١) ، ومشارق الأنوار (٣٠٣/٢) مادة (يتم) .

(٢) ينظر: غريب القرآن (٤٥٥/١) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٩٦/١) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٦٤) ، والدّر المصون (١/ ٤٦٩) .

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (١٧/١) ، وتفسير أبي السعود (١٢٣/١) .

(٥) الحديث (بنحوه) في الصحيحين ؛ أخرجه البخاري (٢٢٢٨/٥) رقم (٥٦٢٨) كتاب الأدب ، بَاب لا يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ، ومسلم (٩٢/١) رقم (٩٠) كتاب الإيمان ، بَاب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا ، وكلاهما عن عبد اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ ـ ﭬ ـ .

اللفظ للمعنيين يوجب أن يكونَ عليهما جميعًا . والنفس تضاف إلى صاحب النفس إضافةَ الغيرِ إليه ؛ ونظير قوله تعالى: ﭽﭙﭚ ﭛ ﭜ ﭼ ؛ قوله تعالى : ﭽ ﮒ ﮓ ﭼ[1]، وقوله عزَّ من قائل : ﭽﯗﯘ ﯙ ﭼ[2] .

والدَّار : اسمٌ للعَرْصَة[3]، والأبنية ، والـمَحَلَّة ، وكلُّ موضعٍ نزلَ فيه القوم ؛ فهو دارهم ؛ هكذا قاله الخليل ــ رحمه الله ــ [4] ، وقال بعضهم : الدَّار ؛ المنزل الذي يجمَع أبنية المقام ، بخلاف المنزل الذي يكون للارتحال[5].

والإقرار والاعتراف واحد [6]: وهو الإيجاب (بنعَم) . والشاهد : هو الـمُخْبِر عن مشاهدةٍ ، أو ما يقوم مقام المشاهدة في المعرفة . ويجوز أن يكون قوله تعالى: ﭽﭙﭼ راجعًا إلى أوائلهم ، وقوله تعالى: ﭽﭞ ﭟ ﭼ راجعًا إلى المخاطبين خاصَّة [7].

قوله ﻷ : ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ[8]ﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ[9] ﮑ ﭼ

(١) من الآية : ٥٤ من سورة البقرة .

(٢) من الآية : ٦١ من سورة النور .

(٣) العَرْصَةَ : ساحة الدار ، والبقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها . لسان العرب (٥٢/٧) مادة (عرص) .

(٤) العين (٥٨/٨) مادة (دار) .

(٥) ينظر : تفسير القرطبي (٢ /١٨) ، وفتح القدير (١٠٨/١) .

(٦) ينظر : لسان العرب (٨٨/٥) مادة (قرر) .

(٧) ينظر : تفسير الطبري (٣٩٥/١) ، وزاد المسير (١١٠/١) ، وتفسير الرازي (١٥٦/٣) .

(٨) كُتبت في المخطوط الأصل : ﴿ تظَّاهرون ﴾ بتشديد الظاء : وهي قراءة جميع القراء العشرة عدا (عاصم ، والكسائي ، وحمزة ، وخلف) قرأوا ﴿ تظَاهرون ﴾ بتخفيف الظاء . ينظر: التيسير في القراءات السبع (٧٤/١) ، وإتحاف فضلاء البشر (١٨٤/١) .

(٩) كُتبت في المخطوط الأصل (يعملون) : وبها قرأ ابن كثير ، ونافع ، ويعقوب ، وخلف ، والباقون من القراء العشرة بتاء الخطاب (تعملون) . انظر: السبعة في القراءات (١٦١/١) ، والنشر في القراءات العشر (٢/ ١١٨) .

خطابٌ ليهود بني قُريْظة[١] والنَّضير[٢] ، كانت بنو قريظة حلفاء الأوس ، وبنو النَّضير حلفاء الخزرج ، وكان كل واحدٍ من الفريقين يقاتل الفريق الآخر ، فإذا غلب عليهم قتلهم ، وسبىَ ذراريهم ، وأخرجهم من ديارِهم .

يقول الله تعالى : ﴿ﭺ ﭻ ﭼ﴾ معشر اليهود ، ﴿ﭽ ﭾ﴾ أي : يقتل بعضكم بعضًا ، ويخرج بعضكم بعضًا من ديارهم ، يتعاونون عليهم بالمعصية ، والإفراط في الظلم ، وقوله تعالى : ﴿ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ﴾ متصلٌ في التقدير بقوله تعالى في الآية التي قبل هذه الآية : ﴿ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ﴾ ؛ لأن قوله تعالى: ﴿ﮃ ﮄ ﮅ﴾ داخل في الميثاق ، ومعناه فكُّوا أسراكم من غيرِكم بالفداء ؛ كأنَّ في الآية تقديمًا / وتأخيرًا[٣].

وأمّا قوله تعالى: ﴿ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ﴾ متصلٌ بالإثم والعدوان معناه : أنَّ الإخراج من الدِّيار محرمٌ عليكم ، لكن أعاد ذكر الإخراج من بعد ؛ لتراخي الكلام . ل[٢٨/ب]

وقوله ﷻ: ﴿ﮌ ﮍ ﮎ﴾ ؛ وهو مفاداة الأسير ، ﴿ﮏ ﮐ﴾ : وهو القتل والإخراج من الدِّيار ، وذلك أن القومَ كانوا يفعلون هذا الفعل، ويكتمون العهد الذي أخذ عليهم في التوراة ، فأمر الله ﷻ رسوله ــ ﷺ ــ أن يحتجَّ عليهم بالعهدِ الذي في التوراة ، ويُذكِّرهم ذلك العهد ؛ فاعترفوا ، ثم قرَّعهم بالقتل ، والإخراج من الدِّيار على مخالفةِ ما في التوراة[٤].

وفي هذا دلالةُ نبوّة رسول الله ــ ﷺ ــ إذ أخبرهم بشيءٍ كتموه في كتبهم ؛ وهو أميٌّ لم يقرأ الكتاب ، فأما قوله تعالى : ﴿ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ﴾ : يقول :

---

(١) بنو قُريْظة : قبيلة يهودية ، سكنت المدينة المنوَّرة في جنوبها الشرقي ، عُرِفوا بنكث العهد ؛ وظهر ذلك جليًّا في غزوة الخندق . ينظر : السيرة النبوية (٣/ ١٠٣) ، وأطلس الحديث (ص: ٣٠٧) .

(٢) بنو النَّضير : اسم قبيلة من اليهود الَّذين كانوا بالمدينة المنوَّرة ؛ في وادي بُطْحان والبُوَيرة ، تآمروا لقتل النبيّ ــ ﷺ ــ ، فأجلاهم عليه الصلاة والسلام من المدينة المنوَّرة ، ونزلوا خيبر . ينظر : معجم البلدان (٥/٢٩٠) ، وأطلس الحديث (ص: ٣٦٠) .

(٣) ينظر: تفسير الثعلبي (١/٢٣١) ، وتفسير السمعاني (١/١٠٤) ، وتفسير البغوي (١/٩١) .

(٤) ينظر : تفسير الطبري (١ / ٣٩٧) ، وتفسير القرطبي (٢/ ٢٢) .

ما جزاءُ مَنْ يؤمنُ ببعضِ الكتابِ ، ويكفر ببعضٍ إلا ذلٌّ وهوانٌ في الحياة الدنيا ، ويقال [١] : أرادَ بالخزي ؛ قتل بني قريظة ، وإجلاء بني النَّضير، ثم أخبر جلَّ ذكره أن ذلك الخزي غير مُكَفِرٍ عنهم ذنوبهم ، وأنهم صائرون بعده إلى عذابٍ عظيمٍ فذلك قوله تعالى : ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﭼ .

قوله تعالى : ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ[٢]ﭼ أي : لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالهم ويجازيهم على ما عملوا ، وذهب بعض المفسّرين إلى أن هذه الآية على نظمِها ، وأنه ليس فيها تقديم ولا تأخير ؛ لأن اليهودَ كانوا يخرجون الضّعفاء من ديارهم ، وكان إذا أُسِرَ ضعيف منهم إلى غيرِهم فدوه[٣] ، ويقال : كانوا إذا قاتل أحد الفريقين الآخر قَتَلوا وسَبوا ، وإذا أُسِرَ أحدٌ من الفريقين من جهة المشركين اجتمعوا ففدوا ، والله تعالى أعلم[٤]. وذهبَ الزجَّاج في قوله تعالى: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ أن معناه : ثم أنتم الذين تقتلون أنفسكم ، وقال : إنَّ ﭽ ﭼ ﭽ صلة لـﭽ ﭻ ﭽ [٥]؛ مثاله قوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ[٦] معناه : ما التي التي بيمنك ، ويجوز أن يكون قوله تعالى: ﭽ ﭻ ﭽ بمعنى النِّداء كأنه قال : أنتم يا هؤلاء تقتلون أنفسكم ؛ وهذا كما يقال : محمدٌ يا مسلمون رسولُ الله ـ ﷺ ـ ، ويجوز أن يكون معنى ﭽ ﭼ ﭽ : قتلتم ، وقد يجيء المستقبل في الكلام بمعنى الماضي ، والماضي بمعنى المستقبل ؛ قال الله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ[٧] ؛ معناه : إلاَّ أنْ آمنوا ؛ وقال تعالى :

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤٠١) ، وتفسير السمرقندي (١/٩٧) ، وتفسير البغوي (١/٩١) ، وتفسير ابن عطية (١/ ١٧٥) .

(٢) كُتبت في الأصل (يعملون) ، وسبق الإشارة إليها في الآية نفسها (ص: ٢٨٤) .

(٣) تفسير الطبري (١/٣٩٩) ، وأحكام القرآن للجصاص (١/٤٨) ، وتفسير ابن عطية (١/١٧٥) ، وتفسير القرطبي (٢/٢٢) .

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١/٣٩٨) ، وتفسير الثعلبي (١/٢٣١) ، وتفسير البغوي (١/٩١) ، وتفسير ابن كثير (١/١٢٢) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٦٧) ، والدّر المصون (١/ ٤٧٧) .

(٦) من الآية : ١٧ من سورة طه .

(٧) من الآية : ٨ من سورة البروج .

ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭼ[١] ؛ معناه : ما تلتِ الشياطين ، وإنما سُمِّيَ التعاون تظـاهرًا ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من المتعاونين يكون ظهرًا لصاحبه ، والظهيرُ : الـمُعِين[٢] .

وأمّا تشديد الظّاء في قوله ﴿ تظّاهرون ﴾ ؛ فلأن أصله : تتظاهرون ؛ أُدغمت إحدى التاءين في الظّاء ؛ لقرب مخرجهما ، ومَنْ قرأ ﭽ ﭬﭼ بالتخفيف[٣]، فقد حذف التاء الثانية الثانية ؛ لاجتماع التّاءين[٤].

والإثم ، والعدوان ، والوزر ، والجرم واحد : وهو الفعل الذي يلام صـاحبُه عليـه[٥]. والعدوان : مجاوزة الحدِّ ؛ يقال : عَدَا في ظلمه عَدْواً وعُـدْواناً ؛ إذا فـرَّط وتجـاوزَ[٦]. والأَسْرى : جمع الأسير ؛ كجَريح وجَرْحَى ، وأما أُسَارى : فهو جمع الجمع ؛ كما يقال: سَكْرى وسُكَارى ، والأسير : المقهور المـأخوذ في الحـرب ، المشـدود في القيـد[٧]. والفداء : هو بذل الشيء على سبيل الصيانة[٨]. والـمُحرَّم من الحرام : وهو الممنوع عنه عنه بالنهي ؛ كما أنَّ الحلالَ هو المطلق منه الإباحة . والجزاء : هو الثواب على الخـير ، والعقاب على الشرِّ .

وأما الخِزيُ : يقال في السُّوءِ والشرِّ : خَزِيَ يَخْزَى خِزْياً ، فأمّا في الحياء : خَزِيَ يَخْزَى

---

(١) من الآية : ١٠٢ من سورة البقرة .

(٢) ينظر : تفسير السمرقندي (٩٧/١) ، وتفسير البغوي (١/ ٩١) .

(٣) قرأ الكوفيون : عاصم وحمزة والكسائي وكذا خلف ؛ ﴿ تظاهرون عليهم ﴾ بالتخفيف ، وقرأ وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ تظّاهرون ﴾ بالتشديد . ينظر: التيسير في القـراءات السـبع (٧٤/١) ، وإتحاف فضلاء البشر (١٨٤/١) .

(٤) ينظر : معاني القراءات (ص: ٥٥) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص:١٠٤) ، والتبيان في في إعراب القرآن (٨٧/١) .

(٥) قال الراغب الأصفهاني : فالإثم أعمُّ من العدوان . المفردات في غريب القرآن (١٠/١) ، وينظر: وينظر: التبيان في غريب القرآن (٩٧/١) .

(٦) ينظر: لسان العرب (٣٢/١٥) مادة (عدا) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٩٧/١) .

(٧) ينظر: تفسير الطبري (٤٠٠/١) ، وتفسير القرطبي (٢١/٢) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٩٧/١) .

(٨) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن (٩٧/١) ، والمعجم الوسيط (٦٧٨/٢) مادة (فدى) .

خِزَايَةً ، وأصل الكلمة هو الحياء ، فإنه إذا قيل للإنسان : أخزاه الله ؛ كان معنى هذا الكلام : أوقفه الله موقفًا يُستحيى منه ، ويُسمَّى الذُّل خِزْيًا ؛ لأنه يُستحى منه (١).

وفي الآية دلالة أن فكَاكَ أسراهم كان واجبًا عليهم ، وكان إخراجُ فريقٍ من ديارهم محرَّمًا عليهم ، وهذا ثابت في شريعتنا ؛ يدلُ عليه ما رُويَ عن أبي موسى الأشعري [رضي الله عنه] قال : قال رسولُ الله ــ ﷺ ــ : « أطعموا الطَّعامَ ، وأفشوا السَّلامَ ، وعودوا المريضَ ، وفكُّوا العَانيَ (٢) » (٣). وسُئل الحسَن بن علي (٤) ــ رضي الله عنهما ــ ــ على مَنْ فداءُ الأسير ؟ فقال ــ ﷺ ــ : « على الأرضِ التي يُقاتِلُ عنها » (٥).

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٦٨) ، ولسان العرب (٢٢٦/١٤) مادة (خزا) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٩٧/١) .

(٢) العاني : الأسير . النهاية في غريب الأثر (٣١٤/٣) مادة (عنا) .

(٣) أخرجه (بنحوه) البخاري في صحيحه عن أبي وَائِلٍ عن أبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ــ ﷺ ــ (٢٠٥٥/٥) رقم (٥٠٥٨) كتاب الأطعمة ، وقول الله تعالى : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ ، ﴿ انفقوا من طيبات ما كسبتم ﴾ ، ﴿كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا ﴾ .

(٤) الحسَن بن علي هو : أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي حفيد رسول الله ــ ﷺ ــ ابن بنته فاطمة ــ رضي الله عنها ــ وابن ابن عمِّه علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنهم ــ ، وأخاه الحسين بن علي ــ رضي الله عنهم ــ ، =

= أحبهما النبي ــ ﷺ ــ ؛ ودعا لـمَنْ أحبهما ، كان شبيه النبي ــ ﷺ ــ وريحانته ، مات مسمومًا ــ ﷺ ــ ، واُختلِف في سنة وفاته ؛ قيل : سنة ٤٨هـ ، وقيل: سنة ٤٩هـ . ينظر: الاستيعاب (٣٨٣/١) ، والإصابة (٦٨/٢) رقم (١٧٢١) .

(٥) ورد هذا الجواب في الأصل ، وفي النسخة (ب) عن الحسن بن علي ــ ﷺ ــ . وذُكِر هذا الجواب في أحكام القرآن للجصاص من رواية الثوري عن عبد الله بن شريك عن بشر بن غالب عن الحسين بن علي ــ ﷺ ــ (٤٨/١) ، ولم أقف على سنده من مصدرٍ آخر غيره ، وهي رواية ضعيفة ؛ فعبد الله بن شريك قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب : « عبد الله بن شريك العامري الكوفي صدوق ، يتشيع ، أفرط الجوزجاني فكذَّبه » (١ /٣٠٧) رقم (٣٣٨٤) ، وبشر بن غالب قال عنه شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي : « بشر بن غالب الكوفي قال الأزدي : متروك » ؛ المغني في الضعفاء ، تحقيق : الدكتور نور الدين عتر ، (١ / ١٠٧) رقم (٩١٥) .

قوله ﻷ: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ

معناه : أهل هذه الصفة هم الذين آثروا واستبدلوا الفانية على الباقية ، فلا يُهَوَّن عليهم العذابُ / ، ولا لهم مانعٌ يمنعهم عمَّا يراد بهم من العذاب ، وقيل : لا يُغاثون بتخفيف العذاب عنهم ، والتخفيف من الخفة في اللغة : وهو النُّقصانُ في الوزن[1]. ل[٢٩/أ]

قوله ﻷ : ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ[2] ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ

معنى الآية ــ والله أعلم ــ : أعطينا موسى ــ عليه السلام ــ التوراة .

قال الكلبي ــ رحمه الله ــ : أنزل اللهُ تعالى عليه التوراة جملةً واحدةً ، فأمره أن يحملها فلم يُطِقْ حملها ، فبعث الله تعالى بكلِّ آيةٍ ملَكًا ، فلم يطيقوا حملها ، فبعث الله تعالى بكلِّ حرفٍ ملَكًا ، فلم يطيقوا حملها ، فخفَّفَها الله تعالى على موسى ــ عليه السلام ــ، فحملها وعَمِلَ بها[3]. ومعنى ﭽ ﮩ ﭼ : أردفنا واتبعنا ، أرسَلْنَا رسلاً يَقفُوا بعضهم بعضًا في الدعاء إلى عبادة الله تعالى ، وأعطينا عيسى ابن مريم الآيات والدلالات التي يعجزُ عنها المخلوقون ؛ من إحياءِ الموتى ، وإبراءِ الأَكْمَهِ[4] والأَبْرَصِ[5] ، ونحو ذلك من الآيات ، وأعنّاه بجبريل الطّاهر ــ عليه السلام ــ ، ﭽ ﯙ ﯚ ﭼ معشرُ اليهودِ رسول بما لا يوافق هَوَاكم ، ولا تميل إليه أنفسكم ؛ تعظمتم من أن تكونوا أتباعًا ، ﭽ ﯞ ﯟ ﭼ مثل : عيسى ــ عليه السلام ــ ، ومحمد ــ ﷺ ــ ، ﭽ ﯠ ﯡ ﭼ مثل :

---

(١) لسان العرب (٨٠/٩) مادة (خفف) ، وتاج العروس (٢٣/ ٢٣٩) مادة (خفف) .

(٢) جاء في حاشية الأصل ، وفي حاشية النسخة (ب) : (يعني : وأرسلنا على أثره الكثير من الرُّسل كقوله : ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ [من الآية : ٤٤ من سورة المؤمنون] ، وهم : يوشع ، وإشمويل ، وشمعون ، وداود ، وسليمان ، وشعيا ، وأُرميّا ، وعزير ، وحِزقيل ، وإلياس ، واليسع ، ويونس ، وزكريا ، ويحيى ، وغيرهم) كشاف . ينظر : تفسير الكشاف (١٨٨/١) .

(٣) ينظر: تفسير الرازي (١٦٠/٣) ، وروح المعاني (٣١٦/١) وظاهر هذا الكلام من الإسرائيليات لاسيما أنه منسوب إلى الكلبي ؛ والكلبي ضعيف .

(٤) الأَكْمَهُ : الذي يُولد أعمى . لسان العرب (١٣/ ٥٣٦) مادة (كمه) .

(٥) الأَبْرصَ : داء معروف ــ نسأل الله العافية منه ومن كلِّ داء ــ وهو بياضٌ يقع في الجسد . لسان لسان العرب (٥/٧) مادة (برص) .

زكريا ، ويحيى ــ عليهما السلام ــ .

والتقفية في اللغة : هو الاتّباع ، وهو إلحاق الشيء بالشيء من قولهم : قفوتُ الرجلَ ؛ إذا ذهبتَ في إثرِه ، ومنه سُمِّيت القوافي لاتِّباع بعضها بعضًا ، ومنه القفا : وهو خلف الوجه [(١)] ؛ فمعنى قفينا : أي بعثنا الرسلَ بعضَهم خلف بعض .

والرُّسل : جمع الرَّسول ، والرَّسول : هو المؤدي لما أوحى الله تعالى إليه ، المتميز عن غيره بالمعجزة الدَّالةِ على صدقِه[(٢)] ، والبيّنات : الحججُ والشواهدُ الصَّادقة .

والتأييد : التقوية ، ومنه الأيد الذي هو القوة ؛ قال الله تعالى : چ□□□چ[(٣)] أي : بقوة [(٤)] ، وقال تعالى : چ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ چ[(٥)]، وإنما سُمِّيت اليدُ من البدَنِ يدًا ؛ لأن القوةَ تظهر فيها من الأخذِ والبطشِ[(٦)] ، ومعنى تأييد عيسى ــ عليه السلام ــ بجبريل ــ عليه السلام ــ : أن اليهودَ لما أرادوا قتلَ عيسى ــ عليه السلام ــ ؛ رفعه جبريل ــ عليه السلام ــ إلى السماء .

وسُمِّيَ جبريلُ ــ عليه السلام ــ روحَ القُدُسِ ؛ لأن بمجيئه يَحْيا الكفار بالإسلام[(٧)] ، والقُدُس : الطَّاهر ، وقال السّدي : المبارك[(٨)] ، وقال [ابن زيد][(١)]: القُدُس والقُدُّوس

---

(١) ينظر: غريب القرآن (٣٧٢/١) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٩٨/١) ، ومختار الصحاح (١ /٢٢٨) مادة (قفي) .

(٢) التبيان في تفسير غريب القرآن (٩٨/١) .

(٣) من الآية : ٤٧ من سورة الذرايات .

(٤) ينظر : تفسير الطبري (٢٧ / ٧) ، وتفسير السمرقندي (١/ ٩٨) ، وتفسير القرطبي (١٧/ ٥٢) .

(٥) من الآية : ١٧ من سورة ص .

(٦) ينظر: غريب القرآن (٧٦/١) ، ولسان العرب (٧٦/٣) مادة (أيد) ، والتبيان في تفسير غريب غريب القرآن (٩٨/١) .

(٧) ينظر : تفسير الرازي (١٦١/٣) ، وتفسير أبي حيان (٤٦٨/١) .

(٨) أخرج الطبري في تفسيره (٤٠٥/١) ، وابن أبي حاتم (١٦٩/١) رقم (٨٨٨) عن أسباط عن السدي قال : « القدس : البركة ». وينظر : تفسير الثعلبي (٢٣٣/١) ، وتفسير ابن كثير (١٢٤/١) .

جميعًا من أسماء الله تعالى[٢].

والألف في ﭽ ﯙ ﭼ ألف استفهام معناه : التوبيخ ، والزَّجر، والتقريع[٣]، و(كلَّما) تقتضي جمعًا مكررًا يتكرر الجواب بتكرارِ الشرط ؛ لأن (كلّ) تقتضي جمعًا ولا يقتضي تكرارًا ، و(كلَّما) تقتضي الجمعَ والتكرار جميعًا ؛ إذا قال الرجل : كلُّ امرأةٍ أتزوجها فهي كذا ، فتزوج امرأةً فطُلِقَت ، ثم تزوجها بعينها مرةً أخرى ، لم تطلقْ في المرة الثانية ، ولو قالَ : كلَّما تزوجت امرأةً فهي كذا ، فتزوج امرأةً واحدةً مرةً بعد أخرى ؛ طُلِقَت مرةً بعد أخرى ؛ لأن حرفَ (كلُّ) يقتضي جمع الأسامي دون تكرير الأفعال ، وحرف (كلَّما) يقتضي تكرارًا وجمعًا . والهوى في اللغة : الميل ؛ ومنه الهوى الذي بمعنى المحبة [٤].

وأما ﭽ ﯤ ﭼ على لفظ الاستقبال ، فقد يذكر مثل هذا اللفظ في الصفات اللازمة ويراد به الذم والتوبيخ على فعلٍ كان منه في الماضي ؛ وهذا كما يقول الإنسان لغيره : لِمَ تسرق أموالَ الناس ؟ ، وتقتل الناس ؟ ؛ إذا كان ذلك دأبه وعادته ، لا يراد بذلك فعل الاستقبال . وفائدة الآية : الإخبار عن فعل اليهود على جهة إظهار مَعَايبهم ومذاهبهم ، وإنَّ من عادتهم تكذيب الرسل ــ عليهم السلام ــ كما كَذَّب مَنْ قبلهم منهم الأنبياء ــ عليهم السلام ــ .

قوله ﷻ: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ

قالت اليهود : قلوبنا ممنوعة من القَبول ، يقول الله تعالى ردًّا عليهم : بل لعنهم الله تعالى

---

(١) كُتبَت في الأصل ، وفي النسخة (ب) : أبو زيد ، والصواب (ابن زيد) ؛ أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن وهب عن ابن زيد (٤٠٥/١) ، وابن زيد هو : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني ، قال عنه ابن سعد في الطبقات الكبرى: « وكان كثير الحديث ، ضعيفًا جدًّا » (٤١٣/٥) ، وقال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب : « ضعيف » (٣٤٠/١) رقم (٣٨٦٥) ، مات ابن زيد سنة ١٨٢هـ . وينظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (١١/١) رقم (١٥) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٠٥/١) عن ابن وهب عن ابن زيد .

(٣) ينظر: تفسير أبي حيان (٤٦٨/١) ، وروح المعاني (٣١٧/١) .

(٤) ينظر: لسان العرب (٣٧٤/١٥) مادة (هوا) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٩٨/١) .

بكُفرهم : أي أنهم لما كفروا أَلِفُوا كُفرَهَم ، فاشتد إعجابُهم به ومحبتهم له ، فمنعهُم اللهُ تعالى الألطافَ والفوائدَ الذي منح المؤمنين ؛ مُجازاةً لهم على كُفرِهم .

ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ منهم ؛ وهو مَنْ أسلم من أهل الكتاب : عبد الله بن سلام ، وأصحابُه [١]، ويقال : ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ إيمانهم بالله تعالى قليل ؛ لأنهم يؤمنون ببعضٍ ويكفرون ببعضٍ[٢]، وقيل : معناه لا إيمانَ لهم ؛ كما يقال : فلانٌ قليلُ الخير ؛ أي لا خير له[٣].

والغُلْف : جمع أَغْلَف ؛ كما يقال : أَحْمَرٌ وحُمْرٌ ، والقلب الأغلَفُ : الذي غُشِّيَ غِلافًا/ فلا يَعِيَ شيئًا [٤]؛ وهذا كما قال الله تعالى : ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭣﭤﭼ[٥]، ومَنْ قرأ (غُلُف) بضمتين : فهو جمع غِلاف ؛ كما يقال : مِثَال ومُثُل ، وخِمَار و خُمُرٌ[٦] ، ومعنى ذلك : قلوبنا أوعية للعلم فما بالها لا تفهم عنك ! ، وإن كنت نبيًّا فأفهمنا ! ، واللعن : الإبعاد بالمكروه . وتقدير نصب (القليل) على التأويلِ الأول : صاروا قليلاً يؤمنون ، وعلى الثاني : إيمانًا قليلاً يؤمنون[٧].

ل[٢٩/ب]

قوله ﷯: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ

(١) تفسير السمرقندي (١ / ٩٩) .

(٢) تفسير الطبري (٤٠٨/١) ، وتفسير ابن أبي حاتم (١٧١/١) رقم (٨٩٩) عن قتادة ، وتفسير السمرقندي (٩٩/١) .

(٣) تفسير السمرقندي (١ / ٩٩) .

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٤٠٦/١) ، وتفسير السمرقندي (٩٨/١) ، والمفردات في غريب القرآن (٣٦٤/١) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٩٨/١) .

(٥) من الآية : ٥ من سورة فصلت .

(٦) قرأ بضم اللام (غُلُف) اللؤلؤي عن أبي عمرو ؛ وهي قراءة شاذة . واتفق القراء العشرة على قراءتها بسكون اللام (غُلْف) . مختصر شواذ القرآن (ص: ١٥) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٦٩) ، وينظر: إملاء ما منَّ به الرحمن (٥٠/١) ، وإتحاف فضلاء البشر (١٨٤/١) .

(٧) ينظر : تفسير الطبري (٤٠٩/١) ، والتبيان في إعراب القرآن (٩٠/١) ، وتفسير أبي حيان (٤٧٠/١) .

معناه : لما جاءهم القرآن موافقًا لما معهم من التوراة وسائر الكتب في التوحيد والدُّعَاء إلى الله تعالى ، وكانوا من قبل مبعثِ محمد ــ ﷺ ــ يستنصرون بذكرِ القرآنِ ونبيٍّ آخِر الزمان ــ عليه السلام ــ على الذين جحدوا توحيدَ الله تعالى ، كانوا إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب قالوا : اللهم انصرنا عليهم باسم نبيك ــ ﷺ ــ ، وكتابك الذي تنزلُه عليه ؛ الذي وعدتنا أنك باعثه في آخر الزَّمان ، وكانوا يرجون أن يكون ذلك النبيّ ــ ﷺ ــ منهم ، فكانوا إذا قالوا ذلك ؛ نُصِروا على عَدُوِّهم ، فلمّا بعث الله تعالى محمدًا ــ ﷺ ــ ، وعرفوا نعتَه وصفتَه في كتابهم ، ولم يكن منهم ؛ كفروا به ، وغيَّرُوا نعته وصفته في كتابهم ؛ مخافةَ زوال الرئاسة عنهم ؛ فذلك قوله تعالى : ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭷﭼ أي : لما عرفوه وعلِموا أنه من غيرهم جحدوه ، فَسَخِطَ الله تعالى على الكافرين . قيل : إنّ جواب أول هذه الآية محذوف[١]؛ لأن معناه معلوم دلَّ عليه قوله تعالى: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭷ ﭼ ، وقيل : جواب قوله تعالى : ﭽلّا جاءهمﭼ الأول ، وجواب قوله تعالى : ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ واحدٌ لكن كرر لفظ المجيء ؛ لتخلل كلام آخر بينهما[٢]. فأما ﭽ ﭥ ﭼ فمبني على الضمِّ ، ويدخله إعراب الكسر والفتح عند الإضافة ، إلا أنه ضُمَّ عند عدمِ الإضافة ؛ علامة للإضافة إلى المضمر ؛ تقدير اللفظ : وكانوا من قبل هذا يستفتحون عليهم[٣].

وفي هذه الآية دلالة على أنَّ الإيمانَ ليس هو المعرفة فحسب ؛ كما يقوله بعض الناس[٤]، لأن أولئك اليهود كانوا يعرفونَ رسولَ الله ــ ﷺ ــ ، ومع ذلك جعلهم الله

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٧١) ، وينظر : ومشكل إعراب القرآن (١٠٤/١) ، وتفسير أبي حيان (٤٧١/١) ، وتفسير أبي السعود (١٢٨/١) .

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (١٧٨/١) ، والتسهيل لعلوم التنزيل (٥٣/١) ، وتفسير أبي حيان (٤٧١/١) .

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٧١) .

(٤) وهذا مذهب الجهمية . وقد سبق بيان مذهب أهل السُّنة والجماعة في تعريف الإيمان (ص: ١١٠) . ينظر: بيان تلبيس الجهمية (٤١٩/١) ، والمواقف ؛ لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، ط١/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ،

كفَّارًا ؛ لجحدهم بألسنتهم .

قوله ﷻ: چ ۋ ۋ ۋ ۋ ۋ ې ې ې ې ې ې ې ې ې ى ى ى ى ى ى ى ى ئا ئا
ئە ئەئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ چ

قال الكَلْبي : بئس ما باعُوا بهِ أنفُسَهم من الهَدايَا والفضُول ، بكتمانِ صفة محمد ـ ﷺ ـ[1] ، يعني : أنهم اختاروا الدنيا على الآخرة ، فباعوا أنفسَهُم بعقوبةِ الآخرة ، بأن يكفروا بما أنزل الله تعالى ؛ أي يجحدوا بالقرآن الذي أنزل الله تعالى حسدًا منهم ؛ لأن النبيَّ ـ ﷺ ـ كانَ من العربِ ، وهم لم يَشكُّوا في نبوَّتهِ ـ ﷺ ـ ، وإنما حسدوه على ما أتاه الله من فضله من النبوّة والكتاب على مَنْ يشاء من عباده ممَنْ كان أهلاً لذلك . چ ى ى ئا ئائە چ أي : استُوجبوا اللعنةَ أثرِ اللعنةِ ، فالغضب الأول : حين كفروا بعيسى ـ عليه السلام ـ ، والثاني : حين كفروا بمحمدٍ ـ ﷺ ـ[2]، ويقال : باءوا بإثمٍ استحقوا به النار على إثمٍ تقدَّم استحقوا به النار[3]. چ ئۇ ئۆ ئۆ چ يُهانونَ فيه .

قيل : إن بئس إذا وقعت على (ما) جَعَلَت (ما) بمنزلة اسمٍ مُنْكرٍ، وكذلك (نِعْمَ) ؛ لأنهما لا يعملان في اسمِ عَلَمٍ ، إنما يعملان في اسمِ مُنْكرٍ دالٍ على جنسٍ ،

دار الجيل / لبنان – بيروت ، (٥٣٣/٣) ، وينظر : شرح العقيدة الواسطية ؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية ، شرحه : محمد بن صالح بن عثيمين ، حققه : أبو محمد أشرف بن عبد المقصود ، مكتبة طبرية / الرياض (٢/ ٤٨٩) .

(١) تفسير السمرقندي (١/ ٩٩) .

(٢) ينظر : تفسير الطبري (٤١٧/١) ، وتفسير ابن أبي حاتم (١٧٣/١) رقم (٩١٤) ، وتفسير ابن عطية (١٧٩/١) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٧٤) .

يقال : نِعْمَ الرجلُ زيد ، ونِعْمَ رجلاً زيد ؛ يراد به إثبات جميع المدح الذي يكون في سائر جنسه فيه ، ونُصِب (رجلاً) في قوله : (نِعْمَ رجلاً) ؛ على تمييز الجنس . قال الزَّجّاج : معنى ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ أي : بئس شيئًا اشتروا به أنفُسَهم[(١)]. ولفظ الشِّراء يستعمل في البيع والابتياع ، وهو افتِعال من الشراء ، والشِّراءُ : تركُ الشيءِ إلى الشيءِ[(٢)]. وقوله تعالى : ﭽ ﭯ ﭰ ﭼ موضعه رفع ؛ المعنى : ذلك الشيء المذموم أن يكفروا بما أنزل الله تعالى ؛ كما يقال : بئسَ ما تزويجٌ ولا مهرٌ ؛ فكأنه يقول : بئسَ مَا باعوا بِهِ أنفسهم ؛ وهو الكفر ، ويقال : بئسَ ما باعوا أنفسَهم بإن يكفروا .

وموضع ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ نصبٌ . المعنى : يكفروا بما أنزل الله ، بإن ينزل الله تعالى من فضله على مَنْ يشاء من عباده أي : كفروا بهذه العلة [(٣)].

ل[٣٠/أ]

والبغي : الحسد ، وقد يكون بمعنى الظلم إلا أن المراد به ها هُنَا :/ الحسَد ، وأصله التَّطاول مأخوذ من الابتِغاء الذي هو الطلب يقال : ما ينبغي لك أن تطلبَ هذا : أي ما يحقُّ لك طلبه ؛ فكأن الباغي يطلب التَّطاول على غيره [(٤)].

ونُصِب ﭽ ﭳ ﭼ ؛ لأنه مفعول له ؛ يقال : فعلت ذاك حَذَار الشرِّ : أي لحذارِ الشرِّ[(٥)].

والإهانة : ضِد الإكرام .

والغضب من الله تعالى : الذَّم ، والتوعُد ، والعقوبة ؛ إذ لا عارضة تحلُّ به كما تحلُّ بالمخلوقين من استشاطةِ النفس ونحو ذلك ؛ لأنه تعالى ليس بمحلٍّ للأعراض ، ولا يجوز عليه التغير والانتقال ، وكذلك حُبُّه وسائر صفاته ؛ قولٌ ، ووعدٌ ، ووعيدٌ[(٦)] ،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١٧٢/١) .

(٢) ينظر: لسان العرب (٤٢٧/١٤) مادة (شري) ، وتاج العروس (٣٦٤/٣٨) مادة (شري) .

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٧٣/١) .

(٤) ينظر: لسان العرب (٧٨/١٤) مادة (بغا) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (٩٩/١) .

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٧٣/١) .

(٦) ومذهب السلف الصالح في سائر صفات الله ﻷ ، هو ما وافقَ الأدلة الصحيحة الثابتة من الكتاب والسنة ، والعقل الصريح ؛ حيث يقفون مع ظاهر النصوص ، ولا يتعدونها إلى تأويلاتٍ لا دليلَ عليها ، وقاعدتهم في ذلك : إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه ، أو أثبته له

والله أعلم .

قولـــه ﷻ : ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫﭼ معناه : إذا قيل ليهود المدينة صدِّقوا بالقرآنِ الـــذي أنزل على محمدٍ ــ ﷺ ــ قالوا: نُصدِّقُ بالتوراة ، ويجحدون بما بَعْدَ الذي أُنزِل عليهم ، ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﭼ يعني : أنَّ القرآنَ حقٌّ موافقٌ لما معهم من التوراة وسائر الكتب . ﭽ ﮞ ﭼ لهم يا محمد إن كنتم تصدِّقون بما أُنزِلَ عليكم ، فلماذا تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ؟ ، وليس فيما أنزل اللهُ تعالى على أنبيائكم قتل الأنبياء ــ صلوات الله عليهم ــ ؟! .

وإذا كان (وراء) ممدودًا كانَ بمعنى خلف ؛ وهو نقيض أمـــام وقُـــدَّام ، وإذا كـــان مقصورًا كان بمعنى : الخلق[1]. ونُصِب ﭽ ﮚ ﭼ على الحالِ ؛ أي حاله في تصديقِه كتـــب الرسل ــ عليهم السلام ــ دليلٌ أنه حقٌّ ؛ يقال : هو زيدٌ حقًّا ، وهو زيـــدٌ معروفًـــا ؛ أي حاله في المعرفة يدل على أنه زيدٌ ، ولا يقال : هو زيدٌ قائمًا ؛ لأن حاله القيام لا يكـــون دليلاً على أنه زيدٌ ، فإنه إذا ترك القيامَ فهو زيدٌ[2]. وفي قوله تعالى : ﭽ ﮦ ﮧﭼ دليلٌ أن المرادَ بقوله تعالى : ﭽ ﮞ ﮟ ﭼ : فلِمَ قتلتم ، وقد ذكرنا أن لفظ الاستقبال يُـــذكَر

رسوله ــ ﷺ ــ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى من غير تمثيل ، ولا تكييف ، ولا تحريف ، ولا تعطيل ، على حدِّ قوله تعالى : ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ [من الآية : ١١ من سورة الشورى] . فيقولون : إن الغضب صفة من صفات الله ﷻ الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف ، وهو غضب حقيقي يليق بالله تبارك وتعالى ، فيجب إثباته من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، وكذلك المحبة وسائر صفاته ﷻ . ينظر : مجموع فتاوى ورســـائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥/ ٢٩- ٢٨) ، والمسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف (١/ ١٥٤) .

(١) الورى : الخلق . لسان العرب (١٥/ ٣٩٠) مادة (وري) .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٧٤) ، ومشكل إعـــراب القـــرآن (١/١٠٥) ، والتبيان في إعراب القرآن (١/٩٣) .

ويراد به الماضي[١].

وفي الآية دليلٌ أن مَنْ رَضِيَ بما عُمِل من معصية الله تعالى فكأنه فعلها ؛ لأن الله تعالى خاطب هؤلاء بالقتل ، وكان القتل من أسلافهم وأوائلهم ، وفيها دليل أن اليهودَ كفروا بالتوراة ؛ لأنهم إذا كفروا بما يُصَدِّق ما معهم فقد كفروا بما معهم .

قوله ﷻ: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ

معناه : لقد جاءكم موسى [بالتسع ؛ بالآيات المعجزة][٢] ، فاتخذتم العجلَ إلـهًا من بعد ذلك ، وأنتم كافرونَ بالله تعالى بعبادة العجل .

وقد تدخل اللام في الفعل ؛ لتوكيد الخبر ، واللام في ابتداء آية لام قَسم ؛ لدخولها على الفعل[٣]. و(ثم) في هذا الموضع للنَسق ، ويقال : صورته صورة النَسق ، وليس بنَسق ، وإنما يراد به التعجب والاستعظام ؛ لكفرهم بما رأَوْا من الآيات .

وفائدة الآية أن تكذيب الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ من دأبكم وعادتكم ؛ كما أن موسى جاءكم بالبيّنات ، ثم اتخذتم العجل إلـهًا .

قوله ﷻ: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ □ □ □ □ □□ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ

معناه : واذكروا إذ أخذنا عليكم العهد بالتوراة ، ورفعنا فوقكم الجبل ، ﭽﯜﯝﯞﭼ أي : أعطيناكم بجدٍّ في طاعَةِ اللهِ ومواظبةٍ ، ﭽ ﯟ ﭼ ما فيه من حَلالِه وحَرامِه وما تؤمرون به ، ﭽ ﯢ ﯣ ﭼ قولك ، ﭽ ﯤ ﭼ أمرك ، ولولا مخافة الجبل ما قبلنا . قال الكَلْبيّ : قالوا ذلك بعد ما رُفِعَ الجَبَلُ عنهم[٤] ، ويقال : قالوا ظاهرًا : سمعنا ، وقالوا في أنفسهم : عصينا[٥]،

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (١٧٩/١) ، وتفسير القرطبي (٣٠/٢) ، وتفسير أبي السعود (١٣٠/١) .

(٢) كُتبت في النسخة (ب) : (لقد جاءكم موسى بالآيات التسع المعجزة) .

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٣٠/٢) ، وتفسير أبي السعود (١٣٠/١) .

(٤) تفسير السمرقندي (١ / ١٠١) .

(٥) تفسير السمرقندي (١ / ١٠١) ، وينظر: تفسير الثعلبي (٢٣٦/١) .

وَسُقُوا في قلوبهم حُبَّ العجل بكفرهم : أي فعَل الله ذلك بهم مجازاةً لهم على الكفــر[١]؛ كما قال الله ﷻ: چ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[٢] ، ويقال : فعل الله ذلك بهم ؛ لإلفِهم الكفر ، ورسوخِهم فيه ، والكفر يدعو بعضُه إلى بعضٍ ويُحسِّنُ بعضُه بعضًــا ؛ كما يقال : حبُّكَ للشيءِ يُعْمِي ويُصِمُّ[٣]. چ چ لهم يا محمد بئسَ شيئًا يــأمركم بــه إيمانكم ؛ أي : بئسَ الإيمان إيمانٌ يأمر بالكفر چ چ كما تزعمونَ .

وفائدة تكرار ذكر الميثاق ، وقصة الجبل والعِجل ؛ لإتصال كلِّ آيةٍ بقَرينةٍ ليســت في الأخرى ، ويقال : تكرار ذلك في القرآن بتكرارِ أولئك القوم في الذِّكر والفعل .

ومعنى أُشْرِبوا : أي خُولِطَ ذلك بقلوبهم كإشراب الألوان ؛ لشدةِ الملازمــة[٤] ، والحــبُّ محذوف من العِجل ؛ لأن المضافَ إليه يقام مقامَ المضــاف[٥]؛كمــا قــال الله تعــالى : چ گ گ چ[٦] أي : أهلها ؛ قال الشاعر[٧]/: ل[٣٠/ب]

وكَيْفَ تُواصِلُ مَنْ أصْبَحَتْ   خِلالَتُهُ كأَبي مَرْحَبِ[٨]

---

(١) تفسير السمرقندي (١/١٠١) .

(٢) من الآية : ١٥٥ من سورة النساء .

(٣) أخرج هذا المثل (بلفظه) البخاري في التاريخ الكبير (٢/١٠٧) رقم (١٨٥٣) ، وأخرجــه (بلفظه) أبو داود في سننه (٤/٣٣٤) رقم (٥١٣٠) كتاب الأدب ، بَاب فِي الْهَوَى ، وكلاهما عن أبي الدَّرْدَاءِ ــ رضي الله عنه ــ ، قال أبو الفضل العراقي عن سنده : « ضعيف » ؛ كتاب المغني عن حمل الأسفار ، تحقيق : أشرف عبد المقصود ، ط١/ ١٤١٥هــ - ١٩٩٥م ، مكتبة طبريــة / الرياض (٢/٧٢٠) رقم (٢٦٣٦) .

(٤) ينظر: تفسير الثعلبي (١/٢٣٦) ، وتفسير البغوي (١/٩٥) .

(٥) تفسير السمرقندي (١/١٠١) ، وتفسير الثعلبي (١/٢٣٦) ، وتفسير الســمعاني (١/١١٠) ، وزاد المسير (١/١١٥) .

(٦) من الآية : ٨٢ من سورة يوسف .

(٧) قائل البيت : النابغة الجعدي . ينظر : النابغة الجعدي ، حياته وشعره ، للدكتور : خليل إبراهيم إبراهيم أبو ذياب ، ط١/ ١٤٠٧هــ ــ ١٩٨٧م ، دار القلم / دمشق ــ المنــارة بــيروت ، (ص: ٤٩٣) .

(٨) أبو مَرْحَب : كُنية الظل . لسان العرب (١١/٢١٧) مادة (خلل) .

أي :كخلالةِ أبي مَرْحَب . والسَّمع في هذه الآية بمعنى : القَبُول ؛ كما يقـــال : فـــلانٌ مسموعٌ منه ، وفلانٌ لا يُسْمَع منه ؛ ومنه قولُ الناس : سَمِعَ اللهُ لـــمَنْ حَمِدَه : أي قَبِلَ الله تعالى حَمْدَ مَنْ حَمِدَه ، ويقالُ : بالسّمعِ والطّاعةِ ؛ يراد به القَبول والطّاعة [1].

قوله ﷻ: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ

معناه : جوابُ قول اليهود لن يَدخلَ الجنّة إلا مَنْ كان هودًا أو نصارى ، وقولهم: ﭽﭕ ﭖ ﭗﭼ[2] يقول الله تعالى : قل لهم يا محمد إنْ كانت لكم الجنّة عند الله خالصةً صافيةً مـــن دون النّاسِ أجمعين كما ادَّعَيْتُم ؛ فاسألوا اللهَ تعالى الموتَ ﭽﭟ ﭠ ﭼ فيما تَدَّعُون عنـــد أنفسكم ؛ لتصلوا إلى الجنّة ، فإن مَنْ كان بهذه الصّفة كان الموت خيرًا له من الحياة الدنيا ، والتَّمَني في اللغة : مَعْنى يُقَدِّره الإنسان في النفس بحبِ الطبع ؛ كقولك : ليت كان كذا ، وليت لم يكن كذا [3].

وفي الآية إظهار كذبِ اليهود ، والدلالةُ على نبوّة نبيّنا محمد ــ ﷺ ــ . رُويَ عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن النبيَّ ــ ﷺ ــ قال لليهود بعد نزول هذه الآية : « إنْ كنتم صادقين في مقالتكم فقولوا : اللهم أمِتْنا ، فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجـــلٌ مـــنكم إلاَّ غصَّ بريقِه ، فماتَ مكانَه »[4]، فأبَوْا أن يفعلوا ، وكَرِهوا ذلك مع اجتهادهم في إطفـــاء نوره وتكذيب ما يأتي به ، ولم يتمنَّ أحدٌ منهم مع زعمهم أنهم أحبُّ العبادِ إلى الله تعالى ، فنـــزلَ قوله تعالى : ﭽﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﭼ يقول: إنهم لا يتمنون الموتَ

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الأثر (٤٠١/٢) مادة (سمع) ، ولســـان العـــرب (١٦٣/٨) مـــادة (سمع) .

(٢) من الآية : ١٨ من سورة المائدة .

(٣) ينظر: لسان العرب (٢٩٤/١٥) مادة (مني) ، وتاج العروس (٥٦٢/٣٩) مادة (مني) .

(٤) والرواية ضعيفة من رواية محمد بن السائب الكلبي ؛ أخرجها البيهقي في دلائل النبوة (٢٧٤/٦) (٢٧٤/٦) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، وأخرج (نحوه) الطبري في تفسيره عن عكرمة عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ مرفوعًا ؛ ولفظه : « لو أنَّ اليهود تمنوا الموت لماتوا » الحديث (٤٢٤/١) ، قال الحافظ ابن حجر معلقًا على سنده : « سند الطبري صحيح » ؛ كتاب العجاب في بيان الأسباب (٢٨٧/١) .

أبدًا بما أسلفت أيديهم من المعاصِي والقبائحِ ، وكتمانِ صفة النبيّ ـ ﷺ ـ ، وتكذيبهم إيّاه ، والله تعالى عَالِمٌ بمجازاة الظالمين ، وتخصيصُ الظالمين دليلٌ أن المرادَ بالعلم الجزاء ، يقول الرجل لآخر : أنا عَالِمٌ بك ، وبصيرٌ بك ؛ أي عَالِمٌ ما أعاملك به . و(لن) تنصب الأفعال المستقبلة ؛ كما تنصب (أنْ) ، ونُصِب (أبدًا) ؛ لأنه ظرف الزمان ؛ وهو اسمٌ يقع على العُمُر ، فإنهم يتمنون الموتَ في الآخرة وقت مشاهدة العذاب[1] ، والإضافة إلى اليد في الآية ؛ لأن أكثر المعاصي تكون باليدِ ، تقول العرب : هذا مما جَنَت يَدَاك ، ومما كسبَت يدَاك : أي أنت الذي جنيتَه وكسبتَه[2] .

وفي هذه الآية زيادة دلالة على نبوّةِ محمد ـ ﷺ ـ ، فإن الله تعالى أخبر أن اليهودَ لا يتمنونه أبدًا ، وفي ذلك إعجاز القرآن عما يعتادونه من قبل ؛ كوضعِ اليد على الرأس ونحو ذلك ، وهذا كما أنَّ النبيّ ـ ﷺ ـ تحدَّى النّصارى إلى المباهلة[3]؛كما قال الله تعالى:چو ۈ ۈ ۇ ۆ ۆ ې □ □ □ □ □ □ □ □ چ[4] الآية ، فلم يباهلوه خوفًا من الهلاك ؛ قال ـ ﷺ ـ : « واللهُ لو باهلوني ؛ لاضْطَرمَ الوادي عليهم نارًا »[5] ،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٧٧) .

(٢) ينظر: لسان العرب (١٥/٤٢٥) مادة (يدي) ، وتاج العروس (٤٠/٣٥٤) مادة (يدي) .

(٣) المباهلة : الملاعنة مفاعلة من البهلة : وهي اللعنة ، ويقال : باهلت فلانًا ؛ أي لاعنته ، ومعنى المباهلة : أن يجتمعَ القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منّا . ينظر : الفائق في غريب الحديث ؛ لمحمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢/ دار المعرفة – لبنان ، (١/١٤٠) مادة (بهل) ، وينظر : لسان العرب (١١ / ٧٢) مادة (بهل) .

(٤) من الآية : ٦١ من سورة آل عمران .

(٥) أخرج (نحوه) ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٤٢٦) رقم (٣٧٠١٤) ، والطبري في تفسيره (٣/٣٠٠) مرسلاً عن الشعبي ، وينظر : تخريج الأحاديث والآثار (١/١٨٦) ، والعجاب في بيان الأسباب (٢/٦٨٧) ، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ؛ لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي ، ط١/ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، دار الكتب العلمية / بيروت ، (٢/١٦٤) رقم (٤٣٠٧) .

وفي بعض الأخبار : « لهلكوا جميعًا كلَّهم ؛ حتى العصافيرَ في سقوفِهم »[١] ، ومما يؤيد هذه الدلالة على نبوّة رسول الله ـ ﷺ ـ في هذه الآية أن تركَ اليهود تمني الموت لا يخلو من أحد أمرين : إما أن تركوهُ ؛ لأنهم علموا أنه نبيٌّ ، وأنهم لو تمنوا الموتَ لماتوا ، أو لأنَّ الله تعالى وفَّرَ دوَاعيهم إلى ترك تمني الموت وعجزهم عن ذلك ، وأيهما كان فإن ذلك يدل على نبوته ـ ﷺ ـ ؛ إذ لم تجرِ العادة أن يجتمعَ خلقٌ عظيمٌ على ترك شيءٍ يَسير يُتَحَدَّوْنَ به ، مع حرصهم على تكذيب مَنْ يتحدَّاهم ، ولو كان القومُ على يقينٍ أنهم إذا ماتوا صاروا إلى نعيم الجنة ، وتخلَّصوا عن غمومِ الدنيا ؛ لاختاروا الموتَ على الحياة ، ألا ترى أنَّ أصحابَ النبيِّ ـ ﷺ ـ الذين بشَّرهم بالجنة كيف لم يركنوا إلى الدنيا ، واختاروا الموتَ على الحياةِ حتى رُويَ أن عليّاً ـ [رضي الله عنه] ـ كان يطوفُ بين الصَّفيْن في الحربِ في غِلالةٍ [٢]، فقال له الحسن ـ رضي الله عنه ـ ما هذا زيُّ المحاربين . فقال عليّ [رضي الله عنه] : « يا بُنيّ لا يبالي أبوك على الموتِ سقَط أم سَقَطَ الموتُ عليه »[٣] ، وعن عمَّار بن ياسر [٤]ـ رضي الله عنه ـ أنه قال في حرب صفِّين :

الآن ألاقي الأحبة محمدًا وصحبه ﷺ وحزبه رضي الله عنهم[٥] .

---

(١) أخرج (نحوه) أيضًا ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٢٦/٧) رقم (٣٧٠١٤) ، والطبري في تفسيره (٣٠٠/٣) مرسلاً أيضًا عن الشعبي .

(٢) غِلالَة : هي شعار يلبس تحت الثوب للبدن خاصّة ، أو تحت درع الحديد . لسان العرب (٥٠٣/١١) مادة (غلل) .

(٣) لم أقف على سنده . وينظر: تفسير الرازي (١٧٣/٣) ، وتفسير البيضاوي (٢٠/١) ، وتفسير أبي حيان (٤٧٨/١) ، وتفسير أبي السعود (١٣٢/١) .

(٤) عمَّار بن ياسر هو : أبو اليقظان عمَّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة العنسي ، حليف بني مخزوم ، من السابقين الأولين إلى الإسلام هو وأبوه ، وكان ممَّنْ يعذب في الله ، هاجر إلى المدينة ، وشهد المشاهد كلها ، قُتِل مع علي ـ رضي الله عنه ـ بصفين سنة ٨٧هـ . ينظر : الإصابة (٤/ ٥٧٥) رقم (٥٧٠٨) .

(٥) أخرجه البزار في مسنده (٢٤٣/٤) رقم (١٤١٠) ، وسليمان بن أحمد الطبراني في معجمه عن ربيعة بن ناجذ ؛ المعجم الأوسط ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، ١٤١٥هـ - دار الحرمين / القاهرة ، (٣٠١/٦) رقم (٦٤٧١) . =

وهكذا رُويَ عن كلٍّ واحدٍ من العشرة مثل : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان [١]، وغيرهم/ ــ ﷺ ــ كلامٌ يُشْبِهُ هذه الكلمات . ل[٣١/أ]

قوله ﷻ: ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ

معنى الآية ــ والله أعلم ــ : لتعلَمُنَّ اليهودَ أحرصَ الناس على البقاءِ ، وأحرصَ من الذين أشركوا : وهم المجوس ، ومَنْ لا يؤمن بالبعثِ ، سُمّيَ المجوسُ مشركين ؛ لقولهم بأصلين قديمين : النور والظلمة ، يتمنَّى أحدهم لو يطولُ عمرُه ألفَ سنةٍ ؛ لأن المجوسَ كانوا يقولون لملكهم : عِشْ ألفَ نيروزٍ[٢]، وعشْ ألفَ مَهْرجانٍ[٣]، وكان إذا عَطَسَ أحدُهم يقولونَ له : (زِه هزار سَال) ؛ أي : عشْ ألفَ سنةٍ[٤] . وما أحدهم بمباعدِه من العذاب

= وينظر : حلية الأولياء (١/١٣٩) ، والاستيعاب (٣/١١٣٨) ؛ وربيعة بن ناجذ قال عنه أبو الحسن أحمد بن عبد الله العجلي : « ربيعة بن ناجذ كوفى ، تابعي ، ثقة » ، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم ، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي ، ط١/ ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، مكتبة الدار / المدينة المنورة – السعودية (١ /٣٥٩) رقم (٤٧١) .

(١) منها : أن عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ جاءه جماعة من الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ فقالوا له : نقاتل عنك ؟ فقال لهم : لا . وكان له قريب من ألفِ عبدٍ ، فشهروا سيوفهم لما هُجِم عليه ، فقال : مَنْ أغمد سيفه فهو حرٌّ . ينظر : التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ؛ لمحمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي ، تحقيق : محمود يوسف زايد ، ط١/ ١٤٠٥هـ ، دار الثقافة / الدوحة ، (١/ ١٤٠) ، وانظر : تفسير أبي حيان (١/ ٤٧٩) .

(٢) النَّيْروز : هو أولُ يومٍ من أيام السنة الشمسية عند الفرس . ينظر: تاج العروس (١٥ / ٣٤٩) مادة (نرز) ، والمعجم الوسيط (٢/ ٩٦٢) مادة (نورز) .

(٣) المَهْرجان : عيد الفرس ؛ وهو احتفال الاعتدال الخريفي ؛ وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين : الأولى ؛ مهر ومن معانيها : الشمس ، والثانية ؛ جان ومن معانيها : الحياة أو الروح . ينظر: المصباح المنير (٢/ ٥٨٣) مادة (مهر) ، والمعجم الوسيط (٢/ ٨٩٠) مادة (مهر) .

(٤) ينظر: تفسير السمعاني (١/١١١) ، وتفسير البغوي (١/٩٦) ، وتفسير ابن عطية (١/١٨٢) ، وتفسير الرازي (٣/١٧٦) .

تَعميره ، ويقال : هو كناية عن التَّعمير ؛ فكأنه قال : وما التَّعميرُ بمباعدهِ من العـــذاب ، وأعاد قوله تعالى : ﭼﮃ ﮄ ﭼ ؛ ليكون منبئًا عن (هو) ، والله تعالى عَالِـــم بأعمالِ اليهود ، ومجازيهم عليها .

وفي هذه الآية زيادةُ تكذيب اليهود أي : كيفَ يزعمون أن الدَّارَ الآخرة خالصةً لهم من دون الناس ، ثم يَحرصون على الحياة الدنيا أكثرَ من حرصِ مَنْ لا يرجو ثوابًا ولا يخشى عذابًا ، ولا يرى وراء الدنيا شيئًا آخر ، وإنما كان حرصُ اليهودِ على الحياةِ أشـــدَّ مـــن حرصِ غيرهم ؛ لأن مَنْ يَعلم ويَعَاند أخوف مِمَنْ لا يعلم ، فكان كراهتهم التَّمني ؛ لفـــرطِ ما كسبوا من المعَاصِي .

واللام في ابتداء هذه الآية (لام القسم) ؛ لاتصاله بنون التأكيدِ ، و(هـــم) مفعـــولٌ أوّل ، وﭼﭬﭼ مفعولٌ ثانٍ[1]. والحرصُ : شدَّةُ الطلب ، إذ لا فرق بين قولك : حَـــرِصَ فلان على كذا ، أو بين قولك : جدَّ فيه [2].

والمودةُ والمحبةُ واحدٌ [3] ، فالظَّاهر منهما جميعًا : الشّهوة التي هي ميـــل الطّبـــاع ، وإن كان قد تأتي المودة والمحبة بمعنى الإرادة التي تقتضيها الحكمة ؛ كما يقال : الله تعالى يـــودُّ المؤمنين ويحبهم ، والمؤمنون يحبونَ اللهَ تعالى . والـــمُعَمَّر: الـــمُطَوّلُ العُمُر ؛ ومنه يقال : عمَّرك الله تعالى : أي أطالَ اللهُ عُمُرَك[4]. والزَّحْزَحةُ : التنحية والإزالة[5]؛ قال الله تعالى : ﭼﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮﭼ[6] أي : مَنْ بَعُدَ عن النّار ، وأُدخِل الجنّة فقد فاز .

قوله ﻷ: ﭼﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (٩٥/١) ، وتفســير أبي حيــان (٤٨٠/١) ، وروح المعــاني (٣٢٩/١) .

(٢) ينظر: لسان العرب (١١/٧) مادة (حرص) .

(٣) ينظر: لسان العرب (٣/ ٤٥٣) مادة (ودد) ، وتاج العروس (٢٧٨/٩) مادة (ودد) .

(٤) ينظر: لسان العرب (٦٠٢/٤) مادة (عمر) ، والتبيان في تفسير غريب القــرآن (١٠٠/١) ، وقد سبق التنبيه على حكم الدعاء بطول العمر (ص : ٨٠) من قسم التحقيق .

(٥) ينظر: المصباح المنير (٢٥١/١) مادة (زحزح) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (١٠٠/١) .

(٦) من الآية : ١٨٥ من سورة آل عمران .

في قوله تعالى : ﭽ ﮋ ﭼ دليلٌ على أنه جوابٌ لكلامٍ قيل للنبيّ ــ ﷺ ــ ، حتى قالَ الله ﷻ له : ﭽ ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ ، وذلك أن اليهودَ أعداءُ الله تعالى أَتَوْا رسولَ الله ــ ﷺ ــ ؛ وفيهم ابن صُورِيَا [١] عالمهُم ، فقالَ للنبيّ ــ ﷺ ــ : يا محمد كيف نومك ؟ فإنّا قد أُخْبِرنا عن نومِ النبيّ الذي يجيء في آخرِ الزّمان . فقال له النبيّ ــ ﷺ ــ : « تنام عيناي ، وقلبي يقظان » . قال : صدقتَ يا محمد . فأخبرنا عن الولد أَمِن الرجل أم من المرأة ؟ . فقال ــ ﷺ ــ : « أمّا العَظْمُ ، والعَصَبُ ، والعُروقُ فمِن الرجل ، وأمّا اللحمُ ، والدَّمُ ، والظُّفُرُ ، والشَّعَرُ فمِن المرأة » . فقال : صدقتَ . فما بالُ الرجل يشبهُ أعمامَه ليس فيه شبه من أخوالِه ، ويشبه أخواله ، ليس فيه شبه من أعمامِه ؟ . فقال النبيّ ــ ﷺ ــ : « أيّهما علا ماؤُهُ على ماءِ صاحبه كان الشبه له » . قال : صدقتَ يا محمد ، ثم قال ابن صُوريا : بَقِيت خصلةٌ إن قلتها آمنتُ بك واتَّبعتُك ؛ أيّ مَلَكٍ يأتيك بما تقول عن الله ﷻ؟ . قال ــ ﷺ ــ : « جبريل ــ عليه السلام ــ »[٢]. قال : ذاك عدوّنا ، ينزل بالقتال والشدة ، ورسولنا ميكائل [٣] يأتي باليُسْرِ والرَّخاء ، فلو كان ميكائل هو الذي

---

(١) ابن صُورِيَا هو : عبد الله بن صُورِيَا الأعور الفَدَكي من بني ثعلبة بن الفطيون ، من رؤساء أحبار اليهود ، ولم يكن بالحجاز بعد أعلم بالتوراة منه ؛ وهو الذي وضع يده على آية الرجم حين حكم الرسول ــ ﷺ ــ برجمِ رجلٍ وامرأةٍ من اليهود زنيا . ينظر: البداية والنهاية (٢٣٦/٣) ، وتفسير الرازي (١٨٨/٧) .

(٢) أخرجه (بنحوه) البخاري في صحيحه عن عبد الله بن سلام ــ ﷺ ــ (١٦٢٨/٤) رقم (٤٢١٠) كتاب التفسير ، بَاب قوله ﴿ من كان عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ ؛ وفيه أنه سأله عن ثلاثة أشياء ، وأخرج (بنحوه) أحمد بن حنبل في مسنده (٢٧٤/١) رقم (٢٤٨٣) ، والترمذي في سننه ، وقال : « هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ » ؛ (٢٩٤/٥) رقم (٣١١٧) ،كتاب تفسير القرآن عن الرسول ــ ﷺ ــ ، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الرَّعْدِ ، وأخرج (نحوه) النسائي في سننه الكبرى (٣٣٦/٥) رقم (٩٠٧٢) ، والطبراني في المعجم الكبير (٤٥/١٢) رقم (١٢٤٢٩) ؛ وكلُّهم أخرجوه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ مرفوعًا ؛ وفيه أنهم سألوه عن خمسة أشياء . قال الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد : « رواه أحمد والطبراني ؛ =

= ورجالهما ثقات » (٢٤٢/٨) .

(٣) كُتبت في النسختين (ميكائل) وبها قرأ نافع وأبو جعفر . ينظر : السبعة في القراءات

يأتيك بما تقول ؛ آمنّا بك وصدقناك . فقالَ عمرُ ـ رضي الله عنه ـ : وما عداوة جبريل ـ عليه السلام ـ إيَّاكم ؟ . قال : نعَم عادانا مرارًا كثيرةً ، وكان من أشدِّ ذلك علينا أن الله تعالى أنزل فيما أنزل على نبيّنا ـ عليه السلام ـ أن بيتَ المقدس سيُخَرَّب في زمان رجلٍ يقال له : بُخْتُ نَصَّرُ على يده ، وأخبرنا بالحين الذي يَخرُب فيه ، فلما بلغَ ذلك الحين ؛ بعثنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل في طلبه ليقتله ، فلَقيه ببابل[1] غلامًا مسكينًا ؛ ليس له قوة ولا منعة ، فأخذه صاحبنا ليقتله ، فدفَع عنه جبريل ـ عليه السلام ـ وقال لصاحبنا : إن كان الله تعالى هو الذي أمره بهلاككم ، فلا يسلِّطك على قتله ، وإن لم يكن هذا فعلى أي حقٍّ تقتله ؟! ، فصدَّقه صاحبنا / ل[٣١/ب] ورجع فكَبُرَ بُخْتُ نَصَّرُ ، وقَوِيَ ومَلَك ، وغزانا فقتلنا ، فلهذا نتخذه عدوًّا ، وميكائل عَدوٌّ لجبريل ، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : أنا أشهد أن مَنْ كان عدوًّا لجبريل ، فإنه عدوٌّ لميكائل ، ومَنْ كان عدوًّا لميكائل ، فإنه عدوٌّ لجبريل ـ عليهما السلام ـ فقال : لا تقولنَّ هذا . فأنزل الله عز وجل هذه الآية[2]. يقول : قل لهم يا محمد مَنْ كان عدوًّا لجبريل ؛ إذ كان

(١٦٧/١) ، وإبراز المعاني من حرز الأماني (٣٣٧/١) ، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢١٩) .

(١) بابل : اسم بلدة قرب الكوفة والحِلَّة ، فُتِحَت بعد معركة القادسية عام ١٤هـ ؛ وكانت عاصمة الفرس آنذاك . ينظر : أطلس الحديث (ص: ٥٩) .

(٢) قال أبو حيّان : « أجمع أهل التفسير أن اليهود قالوا : جبريل عدوّنا ، واُختلِف في كيفية ذلك ، وهل كان سبب النزول محاورتهم مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو محاورتهم مع عمر؟ ، وملخصُ العداوة أن ذلك لكونه يأتي بالهلاك والخسف والجدب ، ولو كان ميكال صاحب محمد لاتّبعناه ؛ لأنه يأتي بالخصب والسلم ؛ ولكونه دافع عن بُخْتُ نَصَّر حين أردنا قتله فخرب بيت المقدس وأهلكنا ؛ ولكونه يُطلِعُ محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ على سرِّنا » ؛ البحر المحيط (٤٨٨/١) ، وذكره الواحدي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ والشعبي ؛ أسباب النزول=

= (ص : ١٨، ١٩) . قال الحافظ ابن حجر في كتابه معلقاً على هذا الطريق الذي ذكره الواحدي : « قلت يتعجب من جزمه بهذا عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مع ضعف طريقه ، فإنه من تفسير عبد الغني بن سعيد الثقفي ، وقد قدَّمت أنه هالك » ؛ العجاب في بيان الأسباب (٢٩٧/١) ، وأخرج (نحوه) الطبري عن الشعبي ، وقَتادة ، والسّدي عن عمر بن

هو المنـــزل الكتاب عليَّ ، فإنه إنما أنزَّلَه على قلبي بأمرِ الله تعالى لا من تلقاءِ نفسه ، وإنما أنزل ماهو مُصَدِّق لما بين يديه من الكتب التي في أيديكم لا مكذِّبًا لها ، وإنه وإن كـــان فيما أنزل الأمر بالحرب والشدَّة على الكافرين ، فإنه هدىً وبشرى للمؤمنين ، ويقـــال : معنى الآية مَنْ كان عدوًّا لجبريل فلا تعاده ، فإنه نزَّلَه على قلبك ، ويقال : هذا على وجه الترغيم ؛ كأنه قال : فإن جبريل هو الذي نزَّلَ عليك رَغْمًا لهم[1].

والعدوُّ في حقيقة اللغة : كلُّ مَنْ قصدَ ضررَ غيره[2]، واليهود لا يقدرون علـــى ضـــررِ جبريل ــ عليه السلام ــ إلا أنّ مَنْ خالف غيرَه ، سُمِّيَ عدوًّا على طريق الاستعارة ، وأما اسمُ جِبريل ــ عليه السلام ــ قيل : إنه بلغة السريانية ؛ ومعناه : عبد الله ؛ فإن (جَبْرَ) : هو عبد ، و(إيل) : هو اللهُ ﷻ بلغتهم[3]. وفيه لغات : جَبْرِيل ، وجَبْرَائِيل ، وجَبْرييل ، وجَبْرَئِل ، وجِبْرِيل[4]. قال الزجَّاج : أجود اللغات جَبْرَائِيل[1]، كما رُوِيَ عـــن رســـولِ

الخطاب ــ ﵁ ــ (٤٣٤/١) ، وأخرج (بنحوه) ابن أبي حاتم في تفســيره (١٨١/١) رقـــم (٩٦٠) عن الشعبي وابن أبي ليلى ؛ فأما طريق الشعبي ؛ قال عنه علاء الدين الهندي : « سنده صحيح لكن الشعبي لم يدرك عمر ــ ﵁ ــ » ؛كنـــز العمال (١٥٣/٢) ، وأما رواية ابن أبي ليلى ؛ قال الحافظ ابن حجر معلقًا على هذه الرواية : « قلت وهذا غريب إن ثبت فليضف إلى موافقات عمر ، وقد جزم ابن عطية بأنه ضعيف ، ولم يبيّن جهة ضـــعفه ، ولـــيس فيـــه إلاَّ الإرسال » العجاب في بيان الأسباب (٢٩٦/١) . وينظر: تفسير ابن عطية (١٨٤/١) . وأمـــا طريق السدي وقتادة ؛ قال السيوطي عنهما : « وأخرجه ابن جرير من طريق السّـــدي عـــن عمر ــ ﵁ ــ ، ومن طريق قتادة عن عمر ــ ﵁ ــ ؛ وهما أيضا منقطعان » ؛ لباب النقـــول (٢٣/١) .

(١) تفسير السمرقندي (١ / ١٠٢) .

(٢) ينظر: لسان العرب (١٥ / ٣٣) مادة (عدا) ، وتاج العروس (٣٩ /١٨) مادة (عدو) .

(٣) ينظر : تفسير الطبري (٤٣٧/١) ، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٢/١) رقم (٩٦٤) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (١٠٠/١) .

(٤) قرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو عمرو ، وحفص ، وأبو جعفر ، ويعقوب : (جِبرِيل) ، وقرأ ابن كثير: (جَبرْيل) ، وقرأ أبو بكر بن عياش عن عاصم : (جَبْرَئِل) ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (جَبْرَائيل) ، و(جَبْرييل) قراءة شاذة ؛ قرأ بها الأعمش ويحيى . المحتسب في تبـــيين

الله ــ ﷺ ــ أنه قال في صاحب الصّور : « جَبْرَائيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره »[٢].
وإنما قال: ﭽ ﮑ ﮒ ﭼ و لم يقلْ على قلبي [٣]، وإن كان أمرًا له بأن يقول ذلك ؛ لأن مثل هذا يستعمل في كلام الناس ؛ كقولك للذي تخاطبه : لا تقلْ للقوم : إنَّ خبرَ بني فــلان عندك ، ويجوز أن يقولَ له : لا تقلْ لهم إنَّ الخبرَ عندي ؛ وكقولك : قــالَ القــومُ : إنَّ جبريلَ ــ عليه السلام ــ عدوُّنا ، ويجوز أن يقولَ : قالَ القومُ : إنَّ جبريلَ عدوُّهم .
قوله ﷻ: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ[٤] ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ
المعنى ــ والله أعلم ــ : مَنْ كان عدوًّا لهؤلاء ، أو لواحدٍ منهم فلــيكن ؛ وهــذا علــى التهديد[٥]. ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤﭼ : يعني لليهود ، وإنما قال : عدوّ للكافرين ، و لم يقل: عدوّ لهم ؛ لأنه لو قال ذلك لم يُعلَم بذلكَ أن عداوةَ جبريل تكون كُفرًا ، بل كان يجوز أن يتوهَمَ متوهمٌ ؛ أن عداوةَ جبريل تكون فِسقًا ولا تكون كُفرًا ، فأزال الله تعالى هذا الإشــكالَ .
وفي كونهم عدوّ الله تعالى قولان :
أحدهما : أن الله تعالى عدوُّهم ، ولما كان الله تعالى عدوَّهم أطلق اسم العــدوِّ علــيهم ؛

وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ؛ لأبي الفتح عثمان بن جني ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، وزارة الأوقاف / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، (١/ ٩٦) ، وينظر : السبعة في القراءات (ص : ١٥٢) ، وإبراز المعاني من حرز الأماني (١/٣٣٦) ، والنشر في القراءات العشــر (٢/ ٢١٩) .

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٧٩) .
(٢) أخرجه (بلفظه) أبو داود في سننه (٤/٣٦) رقم (٣٩٩٩) أول كتاب الحروف والقــراءات ، والحاكم في المستدرك ، وسكت عنه الذهبي ، (٢/٢٩١) رقم (٣٠٤٨) كتــاب التفســير ، وكذا أخرجه أبو عمر حفص الدوري في كتابه جزء فيه قراءات النبيّ ، ط١/ ١٤٠٨هـــــ - ١٩٨٨م ، مكتبة الدار / المدينة المنورة - السعودية ، (١/٦٩) رقم (١٨) ؛ وكلُّهم عــن أبي سعيد الخدري ــ ﷺ ــ .
(٣) ينظر : تفسير ابن عطية (١/ ١٨٣) ، وتفسير النسفي (١/٦٠) .
(٤) كُتبت في الأصل (ميكائل) ، وسبق الإشارة إليها (ص: ٣٠٨) .
(٥) تفسير السمرقندي (١ / ١٠٢) .

اتِّساعًا ومجازًا ، والثاني : على الظَّاهر ؛ لأن مَنْ خالف أحدًا فقد عاداه .

وفي ميكائل لغات : ميكائيل ، وميكائل ، وميكال[١]؛ ومعناه : عبد الله ؛ (مِيك) : عبد ، و(إيل) : هو الله تعالى ، وكذلك (إسرايل)[٢]؛ وهذه أسماء أعجميّة رُفِعَت إلى العرب فلفظت به بألفاظ مختلفة[٣] ، وإنما عَطَفَ ــ والله أعلم ــ جبريل وميكائل على الملائكةِ بعد دخولهما في اسمِ الملائكة ؛ لفضيلتهما بدلالة الإجماع ؛ كما قال الله ﷻ: ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ﭼ[٤] الآية ؛ فعطف محمدًا ونوحًا ــ عليهما السلام ــ على النبيين بعد دخولهما في اسم النبيين ــ عليهم السلام ــ ؛ لفضيلتهما بدلالة الإجماع .

قوله ﷻ : ﭽ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﯓ ﯓ ﯕ ﯕ ﭼ

المعنى ــ والله أعلم ــ : أنزلنا إليك يا محمد علاماتٍ واضحاتٍ . قال بعضهم : هي كتاب الله ﷻ الذي لا يأتي بمثله الإنس والجن ، ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرًا [٥]. وسُمِّيَ القرآن آيات ؛ لما فيه من الحُجَجِ والأدلةِ ، وقال بعضهم : الآيات هي سائر المعجزات من امتناعِ القوم من المباهلة ، ومن تمنِّي الموت ، ومن مَسْرى النبيّ ــ ﷺ ــ إلى المسجدِ الأقصى ، وانصرافِه في ليلة واحدة ، وتكثيرِه القليل من الطعامِ والشرابِ ، ودعائِه الشجرة فأتته ثم رَجعَت إلى مكانها [٦]، وسائر الآيات التي لا يجمعُها

---

(١) قرأ أبو عمرو ، وحفص ، ويعقوب : (مِيكَال) ، ونافع ، وقنبل من طريق ابن شنبوذ ، وأبو جعفر (مِكَائِل) ، والباقون من القراء العشرة (مِيكَائِيل) . ينظر: إبراز المعاني من حرز الأماني (١/٣٣٧) ، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢١٩) ، وإتحاف فضلاء البشر (١/١٨٨) .

(٢) هكذا رسمت في الأصل بياء ؛ وهي لغة . ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٨٠) ، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٣٢٤) .

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (١/ ١٨٠) ، وإعراب القرآن للنحاس (١/٢٥١) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص: ١٠٨) ، والتبيان في تفسير غريب القرآن (١/١٠٠) .

(٤) من الآية : ٧ من سورة الأحزاب

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١/٤٤٧) ، وتفسير السمعاني (١/١١٣) ، وتفسير الرازي (٣/١٨١) ، وروح المعاني (١/٣٣٥) .

(٦) سبق الإشارة إلى المراجع في ذلك (ص ٢٦٩) ، وينظر : تفسير الرازي (٣/١٨١) ، وروح

إلا كتابٌ مفردٌ [(١)]. وما يجحد بها إلا الخارجون عن القصد والطّاعة وهم : اليهود وغيرهم .

وسُمِّيَ الكفر فسقًا ؛ لأن الفسقَ خروج من شيءٍ إلى شيءٍ ، واليهود خرجوا من دينهم بتكذيب النبيّ ـ ﷺ ـ ، ويقال: إطلاق اسم الفِسق يقتضي الخروج من الحقِّ إلى أقبحِ ما يكون من الباطل ، والفسق في المعاصي أقبح أنواعه[(٢)]، وأقبح أنواع الكفر ؛ كفر علماء أهل الكتاب ؛ لأنهم يكفرون عنادًا ومكابرةً ؛ فإن احتجَّ بعض اليهود بأن قال : أنتم مُقِرُّون بنبينا وآياتنا ، ونحن منكرون لما تدَّعون من آيات / نبيّكم ؟ ل[٣٢/أ]

قيل له : ما كلُّ ما أُنكِرَ بَطُلَ بإنكاره له ، ألا ترى أن الآيات التي نقلتموها تنكرها الدهريَّة [(٣)]، والثنويّة ، ولم تُبطَل بإنكارهم ؛ لصحة النقل ، ويقال للنّصارى : أنتم مُقِرُّون بنبوّةِ موسى ـ عليه السلام ـ ، واليهودُ منكِرون لأمرِ عيسى ـ عليه السلام ـ ، فهل يُفسِد إنكارهم ذلك [حجتكم][(٤)] ؟! ، وقد كان اليهود في زمانٍ ليس لهم مخالف يقرُّ بآياتهم ، وهو الزّمان الذي كان بعد موسى ـ عليه السلام ـ قبل أن يُبعَثَ نبيٌّ غيره ، وكانت حجتهم في ذلك الوقت حجَّةً صحيحةً ؛ لصحة النقل وإن كان جميع المخالفين لهم في ذلك الزمان منكرين لما يذيعونها .

المعاني (١/٣٣٥) .

(١) ومن الكتب التي جمعت هذه الآيات والمعجزات في كتاب مفرد : دلائل النبوة للفريابي ، ودلائل النبوة للبيهقي ، ودلائل النبوة للأصبهاني ، والخصائص الكبرى للسيوطي .

(٢) ينظر: تفسير أبي حيان (١/٤٩١) ، وروح المعاني (١/٣٣٥) .

(٣) الدَّهريَّة : هم مَنْ يعتقدون أن الدّهر هو الفاعل مما ينزل بهم من مصائب ؛ من موت ، أو تلف ، أو هرم ، فيسبونه لذلك ، ويعتقدون أن العالم قديم ، ثم أنّه كما هو عليه ؛ لا يثبتون ولا يُقِرُّون أن له صانعًا ومدبرًا . ينظر: درء تعارض العقل والنقل ؛ لتقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، دار الكتب العلمية / بيروت ، (٨/١٣٦) ، وينظر : شرح كتاب التوحيد (١/٥٤٤) .

(٤) كُتبت في النسخة (ب) : حجتهم .

قوله ﷻ : ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ

يقول : أوكلّما عاهد اليهود عهدًا رفضه ورمى به طائفة منهم ، بل أكثرهم لا يصدِّقون .

والألف في أول هذه الآية : ألف استفهام دخل على واو العطف [١] ، وحرف (كلّما) يتعلق بالأفعال ويقتضي التكرار ، فاقتضت الآية أن اليهودَ كانوا ينقضون العهد مرةً بعد أخرى ؛ نقضوا العهد بكتمانِ صفة رسول الله ــ ﷺ ــ في [التوراة][٢] ، وكان الله تعالى أخذ الميثاق عليهم ؛ ليُؤمننَّ بالنبيّ ــ ﷺ ــ ولَيَنصُرنَّه ، وكانوا قد عاهدوا مع النبيّ ــ ﷺ ــ أن لا يعينوا أحدًا عليه ؛ فنقَضُوا ، وأعانوا مشركي قريش عليه يوم الخَنْدَق[٣]. والنبذ في اللغة : الطَّرح ؛ ولذلك سُمِّيَ النبيذ ؛ لإلقاءِ الزبيب فيه[٤] ، وإنما قال نبذَه فريقٌ منهم ؛ لأنَّ علماءَهم هم الذين نبذوا العهد عنادًا مع العلم به ، فأما قوله تعالى: ﭽﯜ ﯝ ﯞ ﯟﭼ فإنما قال ذلك ؛ لأن أكثرَ اليهودُ لم يؤمنوا جهلاً ، ومنهم مَنْ آمن وهو : عبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار[٥]، وغيرهما ؛ فلذلك قال أكثرهم .

قوله ﷻ: ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ ﭼ

موافقٌ لما معَهم من التورَاةِ في أصلِ التوحيد ، وبعضِ الشرائع ، ترك ورفض فريقٌ من الذين أعطوا التوراة ﭽ □ □ ﭼ أي : القرآن ، ويقال : التوراة ؛ لأنهم إذا نبذوا القرآن فقد نبذوا التوراة[٦]. ﭽ □ □ﭼ أي : لم يؤمنوا به كأنهم جهلة به ، وبالعهد الذي

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٨١) ، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٣٢٦) .

(٢) ليست في النسخة (ب) .

(٣) الخَنْدَق : حفرة شمالي المدينة المنوَّرة ، اقترح حفرها سلمان الفارسي ــ رضي الله عنه ــ ، وفي شماله تجمعت الأحزاب (قريش ، واليهود ، وغطفان) ؛ حدث ذلك في شوال في السنة السادسة بعد الهجرة ، وعادت الأحزاب خائبة بعد أن أقامت على الخندق قرابة شهر .
ينظر: تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ؛ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية / بيروت (٢/٩٠) ، وأطلس الحديث (ص: ١٦٤) .

(٤) ينظر: لسان العرب (٣ /٥١١) مادة (نبذ) ، التبيان في تفسير غريب القرآن (١/١٠٠) .

(٥) ينظر ترجمته (ص:٥٠) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٦) ينظر: تفسير الطبري (١/٤٤٧) ، وتفسير القرطبي (٢/٤١) ، وتفسير ابن كثير (١/١٣٥) .

أُخِذَ عليهم ، وإنما قال ذلك ﭽ ﭼ ؛ لأنه لم يكن كلُّهم يعلمــون صــفةَ رسولِ الله ــ ﷺ ــ في التوراة ، وإنما عَلِم ذلك علماؤهم ، إذ لو علِموا كلَّهم لم يجتمعوا على كتمانِ صفةِ النبيِّ ــ ﷺ ــ ، فإنه ليس في مجرى العادة أن يجتمعَ الخلق العظيم علــى كتمانِ شيءٍ علموه في أنفسهم . وقوله تعالى : ﭽﭼ مَثَلٌ لــمَنْ لا يعملَ بالشيء ، ويستخفَّ به ؛ كقوله تعالى : ﭽﮚ ﮛ ﮜﭼ[1] ، تقول العرب : اجعل هذا خلف ظهــرك وتحت قدمك ؛ يريدون به : أعرِضْ عنه[2] ؛ لأن الشيءَ إذا كان وراءك لم يمكنك النَّظــر إليه ، ومن ذلك قول النبيّ ــ ﷺ ــ : « ألا إنَّ كلَّ دمٍ ومَأْثُرَةٍ كانت في الجاهليةِ فهو تحتَ قدميَّ هاتيْن »[3]. وقوله تعالى : ﭽ ﭼ أي : أنهم يعلمون صدقَ ما جاء به الرسول ــ ﷺ ــ ، ولكنهم تجاهلوه ؛ كأنهم لا يعلمون أنه صدق .

قوله تعــالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ

عطفٌ على قوله: ﭽ ﭼ كأنه قال : نبذوا كتابَ الله .

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓﭼ من السِّحر . ﭽ ﭔ ﭕ ﭖﭼ أي : ما كانت تتلوا ؛ أي تتبع ، ويقال : تقرأ[4] ، ويقال معنى : ﭽ ﭗ ﭘ ﭼ ما تلت[5]؛ كما قال الله تعالى

(١) من الآية : ٩٢ من سورة هود .

(٢) ينظر: تفسير الثعلبي (٢٤٢/١) ، وتفسير القرطبي (٤٠/٢) .

(٣) جزء من حديث طويل في خطبة الوداع أخرجه (بنحوه) مسلم في صحيحه عن جــابر بــن عبد الله ــ رضي الله عنه ــ (٨٨٩/٢) رقم (١٢١٨) كتاب الحج ، باب حَجَّةِ النبيّ ــ ﷺ ــ .

ل[٣٢/ب]

(٤) قاله عطاء . ينظر: تفسير ابن عطية (١٨٥/١) ، وتفسير القرطبي (٤٢/٢) ، وتفسير أبي حيان (٤٩٤/١) .

(٥) ينظر : تفسير الطبري (٤٤٨/١) ، وتفسير البغوي (٩٨/١) ، وتفسير ابن عطيــة (١٨٥/١) ، وتفسير أبي حيان (٤٩٤/١) .

تعالى : ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ[١] معناه: أصبحت الأرض مخضَّرة . قال الحسن ــ ﭬ ــ : لم يَزلْ السِّحر فاشيًا في اليهود[٢]. وقد اختلــف المفسّــرون في هؤلاء الشّياطين :قال بعضهم : شياطين الجِنِّ ، فإنَّ الشّيطانَ إذا أُطلِقَ أُريد به الشّــيطانُ الذي / هو من الجنّ[٣]، وقال بعضهم[٤] : المراد به شياطين الإنسِ والجنِّ ، فإن الشّــيطانَ هو : العاتي المتمرد من كلِّ جنسٍ [٥] ؛ كما قال الله تعالى: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ[٦]. وفي قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ قولان :

أحدهما : على عهدِ مُلْكِ سليمان ، فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه[٧].

والثاني معناه : في مُلْكِ سليمان ، وحروفُ الصفاتِ يُبَدَّلُ بعضها من بعضٍ[٨] ؛ كما قال الله تعالى : ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ[٩] أي : على جذوعِ النّخل .

ويقال معنى الآية : ما كانت تَكْذِب الشياطين على مُلْكِ سليمان فإنه يقال : تلا عَــن فلانٍ ؛ إذا صدَقَ في الحكاية ، وتلا على فلان ؛ إذا كَذَبَ عليه ؛ كما يقال : قال عنه إذا صــدَقَ ، ثم قــال عليــه إذا كــذَبَ عليــه[١٠] ؛ قــال الله تعــالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ[١١] معناه : تَكْذِبون على الله تعالى . وقوله تعــالى : ﭽ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ

---

(١) من الآية : ٦٣ من سورة الحج .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) تفسير الرازي (١٨٥/٣) ، وتفسير أبي حيان (١ / ٤٩٤) ، وروح المعاني (٣٣٧/١) .

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٦٨/١) ، وتفسير الرازي (٣ /١٨٥) .

(٥) ينظر : معجم مقاييس اللغة (٣/ ١٨٤) مادة (شطن) .

(٦) من الآية : ١١٢ من سورة الأنعام .

(٧) تفسير السمرقندي (١٠٤/١) ، وتفسير البيضاوي (٢١/١) ، وتفسير ابن كثير (١٣٦/١) .

(٨) ينظر : تفسير الطبري (٤٤٨/١) ، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٦/١) رقــم (٩٨٨) ، وتفســير البغوي (٩٨/١) ، وتفسير أبي السعود (١٣٦/١) .

(٩) من الآية : ٧١ من سورة طه .

(١٠) قاله أبو مسلم . ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٦٨/١) ، وتفسير الرازي (٣ /١٨٥) ، وتفسير أبي حيان (٤٩٤/١) .

(١١) من الآية : ٨٠ من سورة البقرة .

أي : ما أتى بالسحر وما كتبه ، وهذا ردٌّ على اليهود .

قال الكَلبيّ : وذلك أن الشّياطين كتبوا من وقت ذهابِ ملك سليمان _ عليه السلام _ سحرًا كثيرًا على لسانِ (آصف بن بَرْخَيَا) ، وكتبوا في ذلك الكتاب : « هذا ما عَلَّم آصفَ بن بَرْخيَا سليمانُ الملِك » ، ودفنها ذلك الكتاب تحت مُصَلى سليمان وفي بيت خزائنه ، فلما ألقى الله في قلوبِ الناس الاستِنكار للشيطان الذي وقع على كرسيٍّ سليمان _ عليه السلام _ ، وردَّ الله تعالى مُلْكَ سليمان _ عليه السلام _ عليه ، هَربت الشياطين الذين كتبوا ذلك السّحر ، فلمّا قَبَضَ اللهُ تعالى سليمان _ عليه السلام _ ؛ أتت الشياطين أولياءَها من الإنسِ فقالت : ألا نَدُلُّكم على علمِ سليمان _ عليه السلام _ . قالوا : بلى ، فاستخرجوا كُتُبَ السّحرِ التي كانوا دفنوها في وقت ذهاب مُلْك سليمان _ عليه السلام _ ، فقال صُلحاءُ بني إسرائيل وعلماؤهُم : معَاذَ الله تعالى أن يكون هذا عِلمُ سليمان _ عليه السلام _ ، ولا نتعلَّمه ولا نُقِرُّ به . وقالتِ السَّفلَةُ : هذا عِلمُه فنتعلمه ، وقالوا : إنما تمَّ ملكُ سليمانَ _ عليه السلام _ بالسِّحر ، وبه سَحر مَنْ سَحر من الجنِّ ، والإنسِ ، والرِّياحِ ، والطيورِ ، ولم يزالوا على ذلك الاختلاف حتى عَذِرَ اللهُ تعالى سليمان _ عليه السلام _ على لسان نَبيّنا محمدٍ _ ﷺ _ ، وبرَّأه من الكفر ؛ تكذيبًا لليهود[1]؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﴾ الآية .

وذهبَ بعضُ النّاس إلى أن سببَ نسبة اليهود السّحر إلى سليمان _ عليه السلام _ ؛ أنه قد جمع كُتُبَ السّحر ، وكتمها تحت كرسيه ، ويقال : وضعَها في خزانته حتى لا يطلع عليها النّاس ، ولا يَعمَلوا بالسّحر ، فلما مات سليمان _ عليه السلام _ استخرجت

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٠) ، وتفسير الثعلبي (٢٤٣/١) ، وتفسير البغوي (١ /٩٨) ، وزاد المسير (١٢١/١) ، وتفسير القرطبي (٢ / ٤٢) ، وأخرج (نحوه) الطبري في تفسيره (١/ ٤٥٠ – ٤٥١) عن شهر بن حوشب ، وابن إسحاق ، قال الحافظ ابن حجر معلقًا على رواية ابن إسحاق من طريق الطبري : « هكذا ذكره ابن إسحاق من غير إسناد ، وأخرج الطبري من طريق شهر بن حوشب نحوه بطوله ؛ فلعلّ ابن إسحاق أخذه عنه وعن الكلبي » ؛ العجاب (٣٠٨/١) . ورواية شهر بن حوشب ضعيفة ؛ فشهر بن حوشب قال عنه ابن حجر في التقريب : « صدوق ،كثير الأوهام والإرسال » ؛ (٢٦٩/١) رقم (٢٨٣٠) .

السَّحرة تلك الكُتُب[(١)].

والقول الأول هو الأصح [(٢)]؛ لأن سليمان ــ عليه السلام ــ لو كان هو الذي جمع كُتُب السحر حتى لا يطلع عليها الناس ، ولا يَظْفرَ بها أحد ؛ لكان الأولى أن يحرقَها ، ولا يضعها في خزانته ولا تحت كرسيه .

فأما قوله تعالى: ﴿ ﭗ ﭘ ﴾ معناه : ولكن الشّياطين هم الذين كتبوا السّحر ، وهم الذين يعلمونه النّاس . وأمّا قوله تعالى : ﴿ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﴾ ؛ فقد اختلف الناس في تفسيره : ذهب الشّيخ أبو بكر[(٣)]، والزجَّاج ، وجماعة من الأئمة غيرهما إلى أن هذا عطفٌ على قوله تعالى : ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﴾ أي : اتَّبعت اليهود ما تتلوا الشياطين من السِّحر[(٤)]، واتَّبعت ﴿ما أنزل﴾ : أي الذي أنزل على الملَكين من بيان السّحر ؛ أي قذف في قلوبهما معرفته ، وأنْ تُبَيِّناه للناسِ ؛ ويقولان : إنه حرامٌ فلا تفعل أيها المتعلم ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﴾ لا يصفانِ السّحرَ لأحدٍ حتى يعظاه ، ويقولا : إنما نحن اختبار وابتلاء للنّاس ، فلا تكفر أيها المتعلم : أي لا تتعلم العمل به ، وتعليم السّحر لا يكون إثمًا ؛ وهذا كما تقول لآخر : علمني ما الزِّنا ، والسّرقة ، والقذف ؟ ، فيقول : إن ذلك كذا وكذا ، ولكنه حرامٌ فلا تفعل ، ولا فرق بين بيان معنى السّحر والزّجر عنه ، وبين بيان ضروب الكفر ، وتحريم الأمهات ، والأخوات ، وتحريم الزِّنا ، وشرب الخمر ، وسائر المحظورات ؛ لأن الفَرْضَ علينا من اجتنابِ المقبحات كهُوَ في

(١) أخرج (نحوه) الطبري في تفسيره (١/٤٥٠) عن قتادة ، وينظر: أحكام القرآن للجصاص (١/٦٨) ، وزاد المسير (١/١٢١) وعزاه إلى قتادة .

(٢) والقول الأول من رواية الكلبي ، والكلبي ضعيف . وأخرجه (بنحوه) الحاكم في المستدرك عن عمران بن الحارث عن ابن عباس ــ ﷺ ــ (٢/٢٩١) رقم (٣٠٥٠) كتاب التفسير ، من سورة البقرة . قال الحافظ ابن حجر معلقًا : « قلت أثر ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أخرجه الحاكم في المستدرك من هذا الوجه ، وعمران أخرجه له مسلم ، وباقي رجاله من رجال= = الصحيح » ؛ العجاب في بيان الأسباب (١/٣٠٧) .

(٣) ينظر ترجمته (ص: ٢٦) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٤) ينظر : أحكام القرآن للجصاص (١/٦٤) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٨٣) .

اختيار الطاعات والواجبات ؛ فمِن حيث وجب بيان الخير إذ لا يوصل إلى فعله إلا بعد العِلمِ به ، كذلك يجب بيان الشرِّ إذ لا يوصل إلى تركه واجتنابه إلا بعد العِلم به .

والسّبب في هذا ــ والله أعلم ــ ما رُوِيَ أن أهل ذلك الزمان كانوا قد اغترّوا بالسّحر ، كانوا يصدِّقون السّحرةَ فيما ادَّعوه لأنفسهم ، فبيّن الله تعالى على لسانِ هذيْن الملَكيْن أمر السّحر ؛ ليكشف عنهم غُمَّة الجهل ، ويزجرهم عن الاغترار به ؛ كما قال الله تعالى: ﴿ ﮞ ﮟ ﴾[1]/ أي : بيّنا له سبيل الخير والشر ؛ ليُعمل الخير ويُجتنب الشَّر ، وكما رُويَ أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ : فلان لا يَعرفُ الشَّر . قال : ذاك أجدرُ أن يقع فيه [2] . وقد رُويَ عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « تعلموا السّحر ، ولا تعملوا به »[3] .

ل[٣٣/أ]

وأمّا قوله تعالى : ﴿ ﭦ ﴾ ؛ فلأن أكثر السّحرة كانوا بذلك الموضع . قالت

(١) الآية : ١٠ من سورة البلد .

(٢) لم أقف على سنده . وينظر : أحكام القرآن للجصاص (٧٠/١) .

(٣) هذا حديث باطل لا أصل له رواية ، ومردود دراية ، فهو خلاف ما عليه جمهور العلماء من تحريم تعلّم السّحر ؛ قال الحافظ ابن حجر : « وقول الله تعالى ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ ؛ وقد اُستدل بهذه الآية على أن السّحر كفر ، ومتعلمه كافر ... » الخ ؛ فتح الباري (٢٢٤/١٠) باب السحر ، وقال أبو زكريا يحيى بن شرف النووي : « ومذهب الجماهير أن السّحرَ حرام من الكبائر فعله وتعلمه وتعليمه... » الخ ؛ صحيح مسلم بشرح النووي ، ط١٣٩٢/٢هـ - دار إحياء التراث العربي / بيروت ، (٢ / ٨٨) باب الكبائر وأكبرها ، وسُئل الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز ــ رحمه الله ــ عن صحة حديث : « تعلموا السحر ولا تعملوا به » فأجاب : « هذا الحديث باطلٌ لا أصلَ له ، ولا يجوز تعلُّم السّحر ولا العمل به ، وذلك منكرٌ بل وكفرٌ وضلالٌ ، وقد بيّن الله إنكاره للسحر في كتابه الكريم في قوله تعالى : ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﴾ الآية ، فأوضح سبحانه في هذه الآيات أن السحر كفر ، وأنه من تعليم الشياطين ، وقد ذمَّهم الله على ذلك وهم أعداؤنا ، ثم بيّن أن تعليم السحر كفر ، وأنه يضرُّ ولا ينفعُ ، فالواجب الحذر منه ؛ لأن تعلُّمَ السحر كله كفر ، ولهذا أخبر عن الملَكيْن أنهما لا يعلمان الناس حتى يقولا للمتعلم إنما نحن فتنة فلا تكفر » أهـ . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز (٣٧١/٦) ، وينظر : فتاوى اللجنة الدائمة (٣٦٧/١) رقم (٦٢٨٩) .

عائشة[١]ـ رضي الله عنها ـ : « هي بابل الكوفة[٢]؛ موضع قريب من الكوفة »[٣] ، وهكذا قاله الحسنُ ـ ﷺ ـ [٤] ، ويقال : هو بابل دمَاوَنْدُ[٥] ؛ موضع باليمن[٦]. وچ ٹ ڈ چ : اسم الملَكيْن على هذا الطريق ، والله أعلم . وأما قوله تعالى : چ ج ج ج ج چ چ چچچ فيَحتَمل التفريق من وجهين[٧] :

أحدهما : أن يعملَ به السّامع فيكفر بالعمل ، فتقع التفرقة بينه وبين زوجته بالرِّدةِ إذا كانت المرأة مسلمة . والوجه الآخر : أن يسعى بينهما بالنميمة ، والإغراء ، والإفساد ، وتمويه الباطل حتى يُظنَّ أنه حقٌّ ، والاحتيال بالحِيَل الدقيقة المموّهة ؛ لكي يبغض كلُّ واحد منهما صاحبَه ، فيفارقه ، أو يَطعِمَ الرجل ، أو يَسقيَه شيئًا ، فيأخذه عن امرأته فيكون بينهما سببًا للفرقة ، وقال بعضهم : معنى الآية : أنهم يتعلمون السّحر فيكفرون

---

(١) ينظر ترجمتها ـ رضي الله عنها ـ (ص: ٧٤) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٢) الكوفة : وسط العراق ، غرب نهر الفرات ؛ سميت الكوفة لاستدارتها . أطلس الحديث (ص : ٣٢١) .

(٣) وهو قول منسوب لعبد الله بن مسعود ـ ﷺ ـ ينظر : تفسير السمعاني (١/١١٧) ،= = وتفسير أبي السعود (١/١٣٨) .

(٤) وهذا القول منسوب لابن مسعود ـ ﷺ ـ . ينظر : تفسير السمعاني (١/١١٧) ، وتفسير البغوي (١/٩٩) ، وتفسير القرطبي (٢/٥٣) ، وتفسير أبي حيان (١/٤٩٨) ، وتفسير أبي السعود (١/١٣٨) .

(٥) دمَاوَنْد ـ بالميم ـ ، ويقال : دبَاوَنْد ـ بفتح أوله ويضم وبعد الواو المفتوحة نون ساكنة وآخره دال ـ ، ويقال : دنبَاوَنْد أيضًا ـ بنون قبل الباء ـ : كورة من كور الريّ بينها وبين طبرستان ؛ وهي بين الجبال يها فواكه وبساتين ، وعدة قرى عامرة ، وعيون كثيرة . معجم البلدان (٢ / ٤٣٦) .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره عن أسباط عن السّدي : « بابل دنباوند » . (١ / ٤٥٧) ، وينظر: تفسير السمعاني (١/١١٧) ، وتفسير البغوي (١/٩٩) ، وروح المعاني (١/٣٤٢) ، وقول المفسر (موضع باليمن) لا يتفق مع موضع (بابل دماوند) بعد الرجوع إلى معجم البلدان (٢ / ٤٣٦) فهناك فرق بين المكانين ، والله أعلم .

(٧) أحكام القرآن للجصاص (١/٧١) .

بذلك ، وتَبين منهم نساؤهم بالكفر[١] ؛ إلا أنَّ هذا لا يصح ؛ لأنه لو كان المراد به هذا ؛ لكان من حقِّ الكلام أن يقولَ تعالى : ﭽ ﭼ ﭽﭼ ما تَبين به نساؤهم ، فلما قال: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃﮄ عُلِمَ أنَّ المرادَ به ــ والله أعلم ــ سبب حادث بعد التعليم والتعلم . وأمــا قوله تعالى : ﭽ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮍ ﭼ إخبارٌ عن قدرة الله تعالى وسلطانه ، وبيان أن العبادَ لا يقدرون على شيءٍ من الإضرار وغير ذلك إلا بمشيئةِ الله تعالى ، والمراد بالإذن في هذه الآية : العلم ، والمشيئة ، والتخلية دون الأمر ؛ لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشــاء ، قال الحسَن ــ رضي الله عنه ــ : مَنْ شاءَ الله تعالى مَنْعه فلا يضرُّه السّحر ، ومَنْ شاءَ خلّــى بينَــه وبينه فيضرُّه[٢].

وأما قوله تعالى : ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ يقول : ما يضرُّهم في الآخرة ، ولا يــنفعهم في الدنيا ؛ لأنَّ حاصلَه عذاب لا مردَّ له ، ويقال : المراد بهما جميعًــا في الآخــرة ؛ لأن السّحرَ كان ينفعهم جميعًا في دنياهم ؛ لأنهم كانوا يكتسبون بالسّحر وبتعليمه[٣]. وقولــه تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ أي : علمت اليهود لــمَنْ اختار واستبدل السّحر والكفر بالإيمان ؛ ماله في الآخرة من نصيب . قولــه تعــالى : ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ يقول : لبئس ما باعَ المستعملون السّحر به أنفسهم لعقوبة الآخرة ؛ لو كــانوا يعلمــون حقيقة العلم ، ويقال : لو كانوا يوفون العلم حقه ، يقال : للعَالِــم الذي تــرك العمــل بعلمه ليس بعالِــم ؛ أي لا يَنتفع بعلمه[٤] ، وقال بعضهم : كان القوم فــريقين : فريــق كانوا معلمين ؛ علموا بإن العمل بالسحر لا يجوز ، وفريق كانوا متعلمين ، فأولئك كانوا جُهّالاً لم يعلموا حقيقة العلم[٥]. وذهب القاضي الإمام أبو عاصم ــ رحمه الله ــ وجماعــة

---

(١) تفسير الرازي (٢٠٠/٣) ، وتفسير أبي السعود (١٣٩/١) .

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٧١/١) عن الحسن البصري ، وينظر: تفسير الــرازي (٢٠١/٣) ، وتفسير أبي حيان (٥٠٢/١) عن الحسن .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي (٢ / ٥٥) ، وتفسير النسفي (٦٦/١) .

(٤) تفسير السمرقندي (١٠٧/١) ، وينظر: تفســير الطــبري (٤٦٧/١) ، وتفســير القــرطبي (٢/ ٥٦) .

(٥) تفسير الرازي (٢٠١/٣) .

غيره ــ رحمهم الله ــ إلى أن قوله تعالى : ﭽﭢ ﭣ ﭤ ﭼ في معنى الجحد والنفي معطوفٌ على قوله تعالى : ﭽﭙﭚ ﭼ كأنه قال : لم ينَــْزِلْ على الملَكيْن ، ولكن الشــياطين هاروت وماروت وأتباعهما يعلمون النّاس السّحر(١). ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ أي : يُجرِيَ الله تعالى ذلك على لسانِ الشياطين ؛ حجةً على السَّحرة في الآخرة .

قال القاضي الإمام ــ رحمه الله ــ : لو كان قوله تعــالى : ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ لإثبــات الإنزال ، لكان لا يجوز إضافته إلى الملَكيْن ؛ لأنهما يُبيِّنان على القول الأول الذي ذُكِر من قبيل فساد السّحر ، وأنه لا يجوز العمل به ، ومَنْ يبيِّن لغيره فساد شيءٍ ويعلمه ذلك ، فإنه لا يضاف إليه ذلك الشيء ، وإنما يضاف إليه فساده ، ألا ترى أن أحدَنا إذا نقض كتابــاً مصنَّفٍ في الكفر ؛ فإنه لا يضاف إليه ذلك الــمُصَنَّف ، وإنما يضاف إليه نقضُه ، فثبت أن قولَه تعالى : ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ عطفٌ على قوله تعالى : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛﭼ(٢) ، قال : وفي قوله تعالى: ﭽ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭼ إضافة الكفر إلى الشياطين بتعليمهم السّحر ؛ كما يقال : الإنسان فلان كَفَرَ ؛ يكذِّب بالنبيِّ ــ ﷺ ــ فيكون معناه : فلانٌ كَفَرَ بتكذيبه بــالنبيِّ ــ ﷺ ــ ، ولــولا أنَّ تعلُّــمَ السّــحر كفــر ؛ لكــان الله تعــالى يقــول : ﭽ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ ويعلمون الناس السحر ؛ (بالواو) ، فلما ذكره من غير (واو) علمنــا أنه جعل قوله تعالى : ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ ؛ تفسيرًا لقوله تعالى : ﭽﭝﭞ ﭟ ﭼ . قال : ومن النّاس مَنْ توسَّع في هذا القول في هذه الآية/ حتى أنه نسبَ إلى الملَكيْن شُــربَ الخمــر ، والزِّنا ، والعملَ بالسّحر ، وبالكفر ، ل[٣٣/ب]

وقال : إن الله تعالى أنزل جبريل ــ عليه السلام ــ بتخيير الملَكيْن بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة ، ورُويَ في ذلك خبرٌ من أخبارِ الآحاد عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ(٣)، وهذا الذي قال هذا القول خلاف ما ذكــر الله

---

(١) تفسير القرطبي (٢/٥٠) ، وينظر : تفسير ابن عطية (١/١٨٦) .

(٢) واختار هذا الرأي القرطبي ، فقال : « هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل ، وأصح ما قيل فيها ولا يلتفت إلى سواه ». تفسير القرطبي (٢/٥٠) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن مسعود وابــن عبــاس وابــن عمــر ــ ﭫ ــ والسّــدي (١/٤٥٦، ٤٥٧) ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وابــن عمــر ــ ﭫ ــ ،

تعالى في هذه الآية وفي غيرها ؛ لأن المَلَكين لو كانا كفرا كما كفر الشياطين ؛ لكـان الله تعالى يضيف الكفر إليهما ؛ إذ المحاباة لا تجري في أحكام الله تعالى ، ولو كان الله تعـالى أنزل على المَلَكيْن السّحر ، وأمرهما بتعليم الناس السّحر الذي هو كفرٌ ؛ لم يأمن مـن أن يكونَ كثيرًا من الأنبياء ــ صلوات الله عليهم ــ قد أُنزِّل عليهم ما هو كفر ، مع أن أحدًا لا يجوّز أن يبعثَ الله رسولاً بما هو كفر ؛ يدل على ذلك أن الملائكةَ هم رسل الله تعـالى إلينا ، وقد بيّنا أن رسل الله تعالى ــ عليهم السلام ــ لا يجوز عليهم الفسوق فضلاً عـن الكفر .

وحقيقةُ السّحر في اللغة : اسمٌ لما لَطُفَ وخَفِيَ[1]؛ ومن ذلك تُسمَّى الرئة ومـا تعلـق بالحلقوم سَحْرًا ؛ لخفائها ، وضعفها ، ولطافتها ؛ قالت عائشة ــ رضـي الله عنـها ــ: « قُبِضَ رسولُ الله ــ ﷺ ــ بين سَحْري ونَحْري »[2] ، فالسّحر في الحقيقة : هو الشـيء

(١٩٠/١) رقم (١٠٠٥) (١٠٠٦) (١٠٠٧) ، وقد أحسن ابن كثير في التعليق على صحة هذه القصة في تفسيره حيث قال : « وقد رُوِيَ في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التـابعين كمجاهد ، والسّدي ، والحسن البصري ، وقَتادة ، وأبي العالية ، والزهري ، والربيع بن أنس ، ومُقاتل بن حيّان ، وغيرهم ، وقصها خلق من المفسّرين من المتقدمين والمتأخرين ، وحاصـلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديثٌ مرفوعٌ صحيحٌ متصلُ الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم ؛ الذي لا ينطق عن الهوى ، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة مـن غير بسط ولا إطناب ، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى ، والله أعلم بحقيقة الحال » (١٤٢/١) ، وقال الحافظ ابن حجر معلقاً على صحة هذه الطرق وغيرها مما رُوى في شأن هذه القصة في كتابه العجاب : « وممن أنكر صحة ذلك ابن عطية في تفسيره ، فقـال : رُوِيَ عن علي ، وابن مسعود ، و ابن عباس ، وابن عمر وكعب الأحبار ، والسدي ، والكلبي ما معناه ، فذكر القصة ملخصة ، ثم قال : وهذا كلُّه ضعيفٌ وبعيدٌ عن ابن عمـر و غـيره لا يصح منه شيء ، فإنه قول تدفعه الأصول في المنقول...» الخ (٣٣٦/١) . ينظر: تفسير ابن عطية (١٨٧/١) ، وتفسير القرطبي (٢/ ٥١) .

(١) ينظر: لسان العرب (٣٤٨/٤) مادة (سحر) ، وتاج العروس (٥١٤/١١) مادة (سحر) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ (٤٦٨/١) رقم (١٣٢٣) كتاب الجنائز ، بَاب ما جاء في قَبْرِ النبي ــ ﷺ ــ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، رضي الله عنهما .

الخفيّ اللطيف ، ثم نقل هذا الاسم إلى كلِّ أمر يَخْفَى سببه ، ويُتَخَيَّلُ إلى غير حقيقته ؛ كما قال الله تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚﭼ[١]: أي موَّهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالَهم وعصيَّهم تسعى ؛ وقال الله تعالى: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ[٢]، فلو أنها كانت تسعى في الحقيقة لم يُخَيَّلْ إليه ، وإنما كان ذلك تخييلاً ؛ لأن عصيَّهم كانت مجوفةٌ قد مُلِئت زئبقًا ، وكذلك الحبال كانت معمولةً من أدمٍ محشوةً زئبقًا ، فلمّا حَمِيَتْ بالشمس ؛ تحرَّكت ، ويقال : كانوا حفروا قبل ذلك تحت ذلك الموضع أسرابًا ، وملؤها نارًا ، فلما طُرِحَت عليه ، وحَمِيَ الزئبق تحركت ؛ لأنَّ من شأنِ الزئبق إذا أصابته النار أن يطيرَ ، فأخبر الله تعالى أن ذلك كان مموَّهًا على غير حقيقته ؛ وتقول العرب لضربٍ من الحلي : مسحورًا ؛ أي مموَّهٌ على مَنْ رآه مسحورٌ به عينه ؛ إذا كان في باطنه جنس آخر ،

وظاهره جنس آخر[٣] ، فاسم السّحر إذا ذُكِرَ مطلقًا ؛ كان ذلك عبارة عن التمويه والخداع [٤]، وقد يُستعمل اسم السّحر مقيدًا فيما يُمْدَح ويُحْمَد ؛ كما رُويَ عن

(١) من الآية : ١١٦ ن سورة الأعراف .

(٢) من الآية : ٦٦ من سورة طه .

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٥٢/١) ، وينظر: تفسير الرازي (١٦٦/١٤) ، وتفسير أبي حيان (٢٤١/٦) .

(٤) سئل الشيخ محمد بن عثيمين ــ رحمه الله ــ : هل للسحر حقيقة ؟ فأجاب قائلاً : للسحر حقيقة ولا شك ؛ وهو مؤثر حقيقة ، لكن كونه يقلب الشيء أو يحرك الساكن ، أو يسكن المتحرك هذا خيال وليس حقيقة ، انظر إلى قوله تعالى : ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ [من الآية : ١١٦ من سورة الأعراف] ؛ قال : ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ كيف سحروا أعين الناس ؟ سحروا أعين الناس حين صار الناس ينظرون إلى حبال السحرة وعصيهم كأنه ثعابين تمشي ؛ كما قال تعالى : ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ [من الآية : ٦٦ من سورة طه] فالسحر في قلب الأشياء ، وتحريك الساكن ، أو تسكين المتحرك ليس له أثر ، لكن في كونه يسحر أو يؤثر على المسحور حتى يرى الساكن متحركًا والمتحرك ساكنًا ، أثره ظاهر جدًّا ،=

= إذن فله حقيقة ويؤثر على بدن المسحور وحواسه وربما يهلكه . مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢/ ١٧٥) .

عبد الله بن بريدة[(١)] عن أبيه[(٢)] ــ رضي الله عنه ــ قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : « إنَّ مِن البيانِ لسِحْرًا ، وإِنَّ مِن العلمِ لجهلاً ، وإنَّ مِن الشِّعْرِ لحُكْمًا ، وإنَّ مِن القولِ لعِيالاً »[(٣)].

فقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « إنَّ من البيانِ لسِحْرًا » يَحتمل أحد وجهين :

يجوز أن يكون معناه : أنَّ صاحبَ الحقِّ يبيّن عن حقِّه ، ويوضحه ويجليه بلفظه وحُسْنِ بيانه بعد أن يكون خفيًّا ، ولولا ذلك البيان لم يُقبَل قولُه ، فسُمِّيَ استمالته للقلوب بهذا الضرب من البيان سحرًا ؛ كما يستميل السّاحر قلوب الحاضرين إذا ما موَّهَ به ولبَّسَه ، وبيان الحقِّ من السّحر الحلال ؛ كما رُويَ أن رجلاً تكلم بكلامٍ بليغٍ عند عمر بن

---

(١) عبد الله بن بريدة هو : أبو سهل عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي البصري التابعي ، قاضي مرو ، مات سنة ١١٥هـ ؛ قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة » ؛ تقريب التهذيب (١/ ٢٩٧) رقم (٣٢٢٧) ، وينظر : سير أعلام النبلاء (٥/٥٠) رقم (١٥) .

(٢) بريدة هو : أبو عبد الله بريدة الأسلمي ــ رضي الله عنه ــ ، أسلم قبل بدر و لم يشهدها ، وشهد الحديبية ، فكان ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وكان من ساكني المدينة ، تحول إلى البصرة ، ثم خرج إلى خراسان غازيًا ، فمات بمرو سنة ٦٢ هـ ، وقيل : ٦٣ هـ . ينظر: الاستيعاب (١/١٨٥) ، والإصابة (١/ ٢٨٦) رقم (٦٣٢) .

(٣) أخرجه (بلفظه) أبو داود عن عبد الله بن بريده عن أبيه (٤/٣٠٣) رقم (٥٠١٢)كتاب الأدب ، باب ما جاء في الشعر . قال محمد شمس الحق العظيم آبادي : « قال المنذري في إسناده أبو تميلة يحيى بن واضح الأنصاري المروزي ، وثقه يحيى بن معين ، وأبو حاتم الرازي ، وأدخله البخاري في كتاب الضعفاء ... » الخ ؛ عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ط٢/ ١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية / بيروت ، (١٣/٢٤٢) ، وقال زين الدين عبد الرؤوف المناوي معلقاً على سنده : « وفي إسناده من يجهل » ؛ التيسير بشرح الجامع الصغير ، ط٣/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، مكتبة الإمام الشافعي ، (١/٣٤٥) .

وأخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنه ــ ، (٥/٢١٧٦) رقم (٥٤٣٤) كتاب الطب ، بَاب إِنَّ من الْبَيَانِ سِحْرًا . بلفظ : « إِنَّ من الْبَيَانِ لَسِحْرًا ». وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي وائل عن عمَّار ــ رضي الله عنه ــ (٢/٥٩٤) رقم (٨٦٩) كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، بلفظ : « وَإِنَّ من البيان سِحْرًا » .

عبد العزيز[١] ــ رحمه الله ــ فقال عمر : « هذا هو السحر الحلال »[٢] ، ويجوز أن يكون معنى قوله ــ ﷺ ــ : « إن من البيان لسحرًا » أن يكون الرجل الذي عليه الحقُّ أَلْحَنَ بالحججِ من صاحبِ الحقِّ ، فيسحر القوم ببيانه ؛ فيذهب بالحقِّ .

وأما قوله ــ ﷺ ــ : « إنَّ من العلمِ لجهلاً » : هو أن يتكلف العَالِم إلى علمه ما لا يَعْلَم ، فيُجَهِّلُه ذلك ،وأما قوله ــ ﷺ ــ : « إنَّ من الشِّعرِ لحُكْمًا » : فهو هذه المواعظ والأمثال التي يتَّعظَ بها النّاس ، وأما قوله ــ ﷺ ــ : « إنَّ من القولِ عِيالاً » ، فعرضك كلامك وحديثك على مَنْ ليس من شأنه ولا يريده [٣].

والفرق بين السّحرِ وبين معجزاتِ الأنبياء ــ صلوات الله عليهم ــ : أنَّ معجزات الأنبياء ــ صلوات الله عليهم ــ على حقائقها ، وبواطنها كظواهرها ، وكلما تأملتَها إزددت بصيرة في صحتِها ، ولو جَهِد الخلق كلُّهم على مضاهاتها ومقابلتها بأمثالها ؛ ظهر عَجْزُهم عنها ، وأما مخاريق السَّحرة وتخيلاتها ، فإنما هي ضرب من الحيلة والتلطف ؛ لإظهار أمور لا حقيقة لها ، يُعرَفُ ذلك بالتأملِ والبحثِ ، ومتى شاءَ شاءٍ أن يتعلَّم ذلك بلغَ فيه مبلغَ غيره ، وأتى بمثل ما أظهره سواه .

وأما مَنْ قرأ ﴿وما أنزل على الملِكيْن ﴾ بكسر اللام ؛ فيجوز أن يكون معناه : أن الله تعالى أنزل ملَكيْن في زمان هذين الملِكيْن ؛ لاستيلاء السحرة عليهما ؛ لاغترارهما واغترار الناس[٤] . وأضاف الإنزال إلى المرسل إليهم ؛ كما قال الله تعالى في خطاب

---

(١) عمر بن عبد العزيز هو : أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ابن أبي العاصي بن أمية ، الخليفة الصالح ، أَشَجّ بني مروان الذي ملأ الأرض عدلاً في زمانه ، وأمه : أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ، مات مسمومًا سنة ١٠١هـ . ينظر : حلية الأولياء (٥/ ٢٥٣) رقم (٣٣١) ، وتاريخ الخلفاء (٢٤٦/١) .

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٥١/١) ، وينظر: جمهرة الأمثال (١٥/١) ، وجمهرة خطب العرب (٤١٩/٢) .

(٣) ينظر: سنن أبي داود (٣٠٣/٤) رقم (٥٠١٢) كتاب الأدب ، باب ما جاء في الشعر ، وأحكام القرآن للجصاص (٥١/١) .

(٤) قرأ بكسر اللام في (الملِكين) الحسن بن علي وابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ؛ وهي

رسول الله ــ ﷺ ــ : ﭽﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳﭼ[(١)]؛ وقال في آيةٍ أخرى: ﭽﭞﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ[(٢)]؛ تارةً أضاف الإنزال إلى الرسول ، وتارةً إلى المرسل إليهم ، وإنما خص الملَكيْن بالذِّكر ؛ لأنّ العامَّةَ كانت تبعًا للملَكيْن ؛ وهذا كما رُويَ عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه ذكر في كتابه إلى كسرى : « أمَّا بعدُ : فأسلِم وإلاَّ / فعليك إثمَ المجوسِ »[(٣)]، فخاطبه وأراد به جماعة رعيته ؛ لأن الرعيةَ كانت لا تستجيب إلى الإسلام قبله خوفًا منه . ل[٣٤/أ]

فإن قيل : كيف تكون الملائكة رسلاً إلى النّاس ، ومنزلاً إليهم ؟

قيل: هذا جائزٌ سائغٌ ؛ لأن اللهَ تعالى قد يرسل الملائكةَ بعضهم إلى بعضٍ كما يرسلهم إلى الأنبياء ــ صلوات الله عليهم ــ ، وقد يرسل الملائكةَ إلى سائر النَّاس ما يرسل إلى الأنبياء ــ صلوات الله عليهم ــ من بني آدم بأن يجعل الملائكة كهيئة بني آدم لئلا ينفروا عنهم ويقبلوا منهم ؛ قال الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭼ[(٤)]: أي كهيئة رجلٍ .

وأما الفتنة في اللغة : فهي المحنة والاختبار ، وهي ما يظهر به حال الشيءِ في الخيرِ والشرِّ ؛ من قولهم : فتنتُ الذَّهب ؛ أي : جربتُه بالنّار ؛ أخالص هو أم مغشوش ؛ فيصير الذَّهب كالـمُخبِرِ عن نفسه إذا أُلقيَ في النار[(٥)]، وكانت أنبياء الله ورسله ــ صلوات الله عليهم ــ فتنةً لـمَنْ أُرسِلَ إليهم ؛ لنبلوهم أيّهم أحسنَ عملاً .

ويجوز أن يريدَ الملَكان بقولهما : ﭽﭮ ﭯ ﭰ ﭱﭼ أنهما وإن كانا يبيّنان السّحر

قراءة شاذة ، واتفق القراء العشرة على قراءتها بالفتح .مختصر شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ١٦) ، وأحكام القرآن للجصاص (٦٩/١) .

(١) من الآية : ٨٩ من سورة النحل .

(٢) من الآية : ١٣٦ من سورة البقرة .

(٣) أخرج البخاري في صحيحه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أخبره أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه رجلاً ، وأمره أن يدفعه إل عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه مزَّقه . الحديث (١/ ٣٦) رقم (٦٤) كتاب العلم ، باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم .

(٤) من الآية : ٩ من سورة الأنعام .

(٥) ينظر: مختار الصحاح (١ / ٢٠٥) مادة (فتن) ، والمصباح المنير (٤٦٢/٢) مادة (فتن) .

للنّاس ؛ ليعرفوا أن ذلك تمويه من السَّحرة وخداع ، ولئلا يغترَّ الناس بقول السَّحرة ، لكن مَنْ يتعلم منهما لكي يعرف فساد السّحر فلا يغترَّ ، كأن يمكن استعمال ذلك في الشَّر ولا يُؤْمَن وقوعه فيه ، فيكون ذلك محنةً كسائرِ العبادات ، وقد تذكر الفتنة بمعنى العذاب ، قال الله تعالى : ﴿ ﴾[1] أي : عذابكم .

والإِذْن في اللغة : العِلْم[2]؛ قال الله تعالى: ﴿ ﴾[3] أي: فاعلموا ، ﴿ ﴾[4]: إعلام ؛ ومنه سُمّي المؤذن مؤذنًا ، والأذان أذانًا ؛ لأنه إعلام بأوقات الصلاة .

وفي قوله تعالى: ﴿ ﴾ دليلٌ أن العملَ بالسّحر كفرٌ ؛ لأنهما إنما يعلمانه إيّاه ؛ لئلا يَعمَل به ويتجنبَه ؛ فصار قوله : ﴿ ﴾ كقوله في معنى فلا تعمل به ؛ لأنهما علماه ما السّحر ؟ وكيف الاختبار به ؟ ؛ ليُجْتَنب ، ولئلا يتموَّه على النّاسِ أنَّه من جنس آيات الأنبياء _ صلوات الله عليهم _ فبَطُلَ الاستدلال بها .

وأحكام السّحرة تختلف باختلاف السّحر ؛ فإن السّحر ينقسم على أنحاءٍ مختلفة :

منها سِحر أهل بابل كانوا يعبدون الكواكبَ السّبعة ، ويعتقدون أن حوادثَ العالم كلها من أفعالها ، وكانوا يجعلون أصنامهم على أسماء الكواكب السبعة ، فكان مَنْ أراد شيئًا من الخيرِ والصلاحِ ؛ تقرَّب بما يوافق المشتري من الدَّخنِ ، والرُّقا ، والعُقد والنفث عليها ، ومَنْ طلب شيئًا من الشرِّ ، والخرابِ ، والموتِ ، والبوارِ ، والهوانِ لغيره ؛ تقرَّب بزعمه إلى زُحَلٍ بما يوافقه من ذلك ، وإن أراد القتلَ ، والحرْقَ ، والطّاعونَ ؛ تقرَّب بزعمه إلى المَرِيخِ بما يوافقه من ذلك من ذبحِ بعض الحيوانات ، وكانوا يُسمُّون كلَّ كوكبٍ من الكواكب السبعة إلـهًا خالقًا مُنْعِمًا ، وكانوا يَدعُون ، ويَتضرعون ، ويَصومون ، ويتركون اللذات والشهوات ، وكان عندهم إذا فعلوا ذلك أجابتهم الكواكب إلى ما يريدون من خيرٍ أو شرٍّ ، ومحبةٍ وبغضٍ ؛ فمن العامّةِ مَنْ يزعم أنهم يقلبون الإنسان حمارًا

---

(١) من الآية : ١٤ من سورة الذرايات .

(٢) ينظر: لسان العرب (١٣/ ٩) مادة (أذن) ، والقاموس المحيط (١/١٥١٦) مادة (أذن) .

(٣) من الآية : ٢٧٩ من سورة البقرة .

(٤) من الآية : ٣ من سورة التوبة .

أو كلبًا ، ثم إذا شاءوا أعادوه ، وأنهم يركبون البيضة ، والمكنسة ، والخابية[١]، ويطيرون في الهواء إلى ما شاءوا من البلدان ، ثم يرجعون في ليلتهم ، وذلك يلتبس من السّحرة على العوام ، ومنها سِحر قوم يزعمون أنهم يعترفون بالله ﷻ ، وصِدقِ رسوله ـ ﷺ ـ ، ثم يدخلون على النّاس من باب أنَّ الجنَّ إنما تطيعهم بالرُّقى التي هي أسماء الله تعالى ، فتخبرهم بالغيوب من السِّرقِ والخيانات وغير ذلك ، وأنها تقدر على تغيير صور الحيوان بالطيران في الهواء ، والمشي على الماء ، وما جرى مجرى ذلك ، وهذان الفريقان كافران يقتلان ، فإن الفريق الثاني جوّز وجودَ مثل أعلام الأنبياء من الكذَّابين المتخرصين ؛ وقد قال النبيُّ ـ ﷺ ـ : « مَنْ أتى كاهنًا فصدَّقه فيما يقول ؛ فهو كافرٌ بما أُنْزِلَ على محمدٍ ـ ﷺ ـ »[٢]، فإذا كان المُصَدِّقُ به

(١) جاء في حاشية الأصل ، وفي النسخة (ب) : الخابية : السرداب . لم أقف على هذا المعنى في معاجم اللغة ، وفي المعجم الوسيط : « الخابية : وعاء الماء الذي يحفظ فيه » (٢١٣/١) مادة (خبأ) .

(٢) أخرجه (بنحوه) الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٤٠٨/٢) رقم (٩٢٧٩) ، والترمذي في سننه (٢٤٣/١) رقم (١٣٥) كتاب أبواب الطهارة ، بَاب ما جاء في كَرَاهِيَةِ إِتْيَانِ الْحَائِضِ ، والنسائي في سننه الكبرى (٣٢٣/٥) رقم (٩٠١٧) ، وابن ماجه في سننه (٢٠٩/١) رقم (٦٣٩) كتاب الطهارة وسننها ، بَاب النَّهْيِ عن إِتْيَانِ الْحَائِضِ ، وجميعهم أخرجوه عن أبي تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيِّ عن أبي هُرَيْرَةَ ـ ﷺ ـ ؛ ثم قال الترمذي معلقاً : « لا نَعْرِفُ هذا الحديث إلا من حديث حَكِيمٍ الأَثْرَمِ عن أبي تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيِّ عن أبي هُرَيْرَةَ ... إلى أن قال : « وَضَعَّفَ مُحَمَّدٌ ـ يعني البخاري ـ هذا الحديث من قِبَلِ إِسْنَادِهِ... » الخ ، وأخرجه (بنحوه) الحاكم في المستدرك عن خلاسٍ ومحمدٍ عن أبي هريرة ـ ﷺ ـ (٤٩/١) رقم (١٥) كتاب الإيمان ، وقال : « حديث صحيح على شرطهما جميعًا » ، ووافقه عليه الذهبي . =

= وأخرج (بنحوه) البزار في مسنده عن عبد الله بن مسعود ـ ﷺ ـ (٢٥٦/٥) رقم (١٨٧٣) ، وعمران بن حصين ـ ﷺ ـ (٥٢/٩) رقم (٣٥٧٨) ؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد معلقًا على رواية عبد الله بن مسعود ـ ﷺ ـ : « رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، خلا هبيرة بن مريم ؛ وهو ثقة » (١١٨/٥) ، وقال عن رواية عمران بن حصين ـ ﷺ ـ : « رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، خلا اسحاق بن الربيع ؛ وهو ثقة » (١١٧/٥) .

كافرًا فكيف لا يكون فاعله ومتدينُه كافرًا ، ومنها ضرب آخر من السّحر ؛ وهو العمل به بالأدويةِ ، والتَّميمَةِ[(١)] ، والشِّعَابةِ[(٢)] ، والشَّعوذةِ[(٣)] إذا لم يدَّعِ صاحبه معجزةً لا يمكن مثلها ، واعترف أن ذلك تخييل ومخاريق ؛ لم يَصِرْ كافرًا ؛ ما لم يعتقد أباحته ، فيؤدَّبُ ويزجَرُ عن ذلك[(٤)] ، فأما إذا أعتقد أباحته كفر ؛ كمَنْ يعتقد سائر المعاصي التي نصَّ الله على النهي عنها ، وأمّا ما رُويَ أن لَبِيدَ بن أَعْصَم[(٥)] اليهودي سحر النبيَّ ـ ﷺ ـ ، وأن السّحرَ عَمِلَ فيه حتى أنزلَ الله سورة الفلق وسورة الناس[(٦)] ؛ فالجواب عنه /: ل[٣٤/ب]

أن اليهودَ سحروه على جهة أرادهم التوصل إلى قتله ، فعصمه الله تعالى من ذلك ، وأطلعه على ما أرادوه ؛ ليكون ذلك من دلالةِ نبوّته ـ ﷺ ـ ، لا أنَّ سحرَهم ضرُّه ولا خلَط

---

(١) التَّمِيمَةُ : خَرَزَاتٌ كانت العرب تعلِّقها على أولادهم يتقون بها العين ، فأبطلها الإسلام ، وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبّان في صحيحه عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « مَنْ علَّق تَمِيمَة فلا أتمَّ الله له » الحديث ، (٤٥٠/١٣) رقم (٦٠٨٦) ، كتاب الرُّقى والتمائم ، ذكر الزَّجر عن تعليق التمائم ، وينظر: النهاية في غريب الأثر (١٩٧/١) مادة (تمم) ، ولسان العرب (٦٩/١٢) مادة (تمم) .

(٢) لم أقف على معناه فيما يتعلق بالسحر في كتب اللغة أو العقيدة .

(٣) الشعوذة : خفةٌ في اليدِ ، وأُخَذٌ كالسّحر يرى غير ما عليه الأصل من عجائبٍ يفعلها كالسحر في رأي العين . انظر: العين (٢٤٤/١) مادة (شعذ) ، ولسان العرب (٤٩٥/٣) مادة (شعذ) .

(٤) ينظر : شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى ؛ لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، ط٢/ ١٩٩٦م ، عالم الكتب / بيروت ، (٤٠٤/٣) ، وينظر : مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ؛ لمصطفى السيوطي الرحيباني ، ١٩٦١م – المكتب الإسلامي / دمشق (٣٠٤/٦) .

(٥) ينظر ترجمته (ص:٥٧) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٦) الحديث في الصحيحين ؛ أخرجه البخاري (٢١٧٦/٥) رقم (٥٤٣٣) كتاب الطب ، بَاب السِّحْرِ ، ومسلم (١٧١٩/٤) رقم (٢١٨٩) كتاب السلام ، باب السحر ، وكلاهما عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ .

عليه أمره ، ولئن ثبت أن فعلَهم أثَّر بالنبيّ ــ ﷺ ــ نوع تأثير ، فيَحتمل أنه كان وصل إليه شيءٌ من دخانِ الأدوية التي يُسْحَر عليها أو نحو ذلك ، والله أعلم[١] .

وقد اختلفَ الفقهاءُ في أحكام السّاحر :

رَوى ابن شُجَاع[٢] عن الحسن بن زياد[٣] قال : قال أبو حنيفة ــ رحمه الله ــ في السّاحِر: إنه يُقتَل إذا عُلِمَ أنه ساحِر ولا يستتاب ، ولا تقبل توبته إذا تاب بعد القدرة عليه ، فأما إذا تاب قبل القدرة عليه ، وقال : كنتُ أسحرُ مرةً ، وقد تركتُ ذلك منذ زمانٍ ؛ لم يُقتَل إلاَّ أن يشهدَ الشهود عليه السَّاعة أنه ساحرٌ فيُقتَل ، والمسلمُ ، والذميُّ ، والحرُّ ، والعبدُ فيه سواء ؛ سُئل أبو يوسف ــ رحمه الله ــ عن قولِ أبي حنيفة ــ رحمه الله ــ في السّاحر أنه لا يستتاب والمرتد يستتاب ؟ ، فقال : لأنَّ السّاحرَ قد جمع مع كفره السّعي في الأرض بالفساد ، والسّاعي في الأرض فسادًا إذا أُخِذَ قُتِلَ[٤]؛ ولهذا قال أبو حنيفة ــ رحمه الله ــ : : لا أقبل توبة الزِّنديق[٥]؛ لأنه يدعو النّاس في السّر إلى الكفر ، ولا تُعرفُ توبته ، وهو ساعٍ في الأرض بالفساد ، فأمّا المرأةُ السّاحرةُ إذا أقرَّت بذلك ، أو شهدَ عليها الشُّهود ؛

---

(١) ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبيَّ ــ ﷺ ــ سُحر ، لكن لم يؤثر عليه من الناحية التشريعية أو الوحي ، إنما غاية ما هنالك أنه وصل إلى درجة يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله ، وهذا السحر الذي وضع كان من يهودي يقال له : لَبِيد بن أعصم وضعه له ، ولكن الله تعالى أنجاه منه حتى جاءه الوحي بذلك ، وعُوِذ بالمعوذتين عليه الصلاة والسلام ، ولا يؤثر هذا السحر على مقام النبوّة ؛ لأنه لم يؤثر في تصرف ــ ﷺ ــ فيما يتعلق بالوحي والعبادات . مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢/١٨٠) .

(٢) ينظر ترجمته (ص:٥٦) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٣) ينظر ترجمته (ص:٥٦) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٤) أحكام القرآن للجصاص (١ / ٦٢) ، وتفسير الرازي (٣/١٩٦) .

(٥) الزِّنديق : (بالكسر) من الثنويَّة ، أو القائل بالنور والظلمة ، أو مَنْ لا يؤمن بالآخرة ولا بالربوبية ، أو مَنْ يبطن الكفر ويظهر الإيمان . ينظر: لسان العرب (١٠/١٤٧) مادة (زندق) ، والقاموس المحيط (١/١١٥١) مادة (زندق) ، وجاء في المصباح المنير : الزنديق : هو الذي لا يتمسك بشريعة ، ويقول بدوام الدهر . (١/٢٥٦) مادة (زندق) .

لم تُقتَل في ظاهرِ الرواية ، وحُبِست وضُرِبت حتى يستبينَ تركها السِّحر[١] ، وأمّا على قياس رواية الطحاويّ[٢] أن المرأةَ إذا قَتَلَت في قطع الطريق قُتِلَت ، وأُجريَ عليها حكم قطَّاع الطريق ؛ ينبغي أن المرأةَ السّاحرة تُقتَل[٣].

وقال مالك ــ رحمه الله ــ : إذا تولّى المسلم عمل السّحر يُقتَل ولا يستتاب ؛ قال : فأما ساحرُ أهل الكتاب لا يُقتَل إلا أنْ يضرَّ بالمسلمين فيُقتَل ؛ لنقض العهد[٤].

وعن الزُّهريِّ[٥] أنه قال : يُقتَل ساحرُ المسلمين ، ولا يُقتَل ساحرُ أهل الكتاب ؛ لأنَّ النبيَّ ــ ﷺ ــ سحرَه رجلٌ من اليهود يقال له : لَبِيد بن أَعْصَم ، وامرأةٌ من يهودِ خيبر[٦] يقال لها : زينب[٧] ، فلم يقتلهما[٨].

وقال الشافعيّ ــ رحمه الله ــ : إذا قال السّاحر: أنا أعمل عملاً لأَقتُلَ ، فأُخطئ وأُصيب ، وقد مات هذا الرجل من عملي ؛ فعليه الدِّية ، وإذا قال : عملي يَقتُل المعمولَ

---

(١) ينظر : أحكام القرآن للجصاص (١ / ٦٢) ، وأضواء البيان (٥١/٤) .

(٢) ينظر ترجمته (ص:٥٧) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٣) ينظر: المبسوط للسرخسي (١٩٧/٩) ، وبدائع الصنائع (٩١/٧) ، وشرح فتح القدير ؛ لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ، ط٢/ دار الفكر – بيروت ، (٤٣٢/٥) .

(٤) الكافي في فقه أهل المدينة : لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، ط١/ ١٤٠٧هـ ، دار الكتب العلمية / بيروت (١ / ٥٨٥) ، وينظر : التاج والإكليل لمختصر خليل ؛ لمحمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري ، ط٢/ ١٣٩٨ هـ ، دار الفكر / بيروت ، (٦ / ٢٨٢)، وينظر : أحكام القرآن للجصاص (١ / ٦٥) ، وتفسير القرطبي (٤٩/٢) .

(٥) ينظر ترجمته (ص:٥٧) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٦) خَيْبَر : موضع في شمال المدينة المنوَّرة لمن يريد الشام ، فيه سبعة حصون ومزارع ونخل كثير ، فُتِحَت بعد صلح الحديبية مباشرة في السنة السابعة من الهجرة النبوِّية . ينظر : معجم البلدان (٤٠٩/٢) ، وأطلس الحديث (ص: ١٦٨) .

(٧) ينظر ترجمتها (ص : ٥٨) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٨) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٦١/١) ، وتفسير ابن كثير (١٤٨/١) ، وأضواء البيان (٥١/٤) .

به ، وقد تعمَّدتُ قتلَه ؛ قُتِل به قَوَدًا [١]، فإن قال : مَرِضَ منه ، ولكن لم يمت منه ؛ حَلَفَ أولياؤه لقد مات منه ، ثم تكون ديتُه على السّاحرِ[٢] ؛كأنه ذهب إلى أن السّحرَ جنايةٌ كسائر الجنايات ، وهذا قولٌ خارجٌ عن أقاويل السلف ؛ إذ لم يعتبرْ أحدٌ قتلَه بسحرِه ، وأَوجبوا قتلَ السّاحر على الإطلاق ، ولا فرق في الجنايات بين أن يَجرحَ إنسانًا بحديدةٍ يُقتَلُ مثلها ، أو بحديدةٍ لا يُقتَلُ مثلها ، وقد رُويَ عن عمرو بن شعيب[٣] أن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ أخذ ساحرًا فدفنه إلى صدرِه ، ثم تركه حتى مات[٤]. وعن علي ــ رضي الله عنه ــ : « إنَّ هؤلاء العرّافين كُهَّان العجم ، فمَنْ أتى كاهنًا يُؤْمِنُ له بما يقول ؛ فقد بريء مما أُنْزِلَ على محمدٍ ــ صلى الله عليه وسلم ــ » [٥]. ورُويَ أنَّ جاريةً لحفصةٍ[٦]سحرتها ، فوجدوا سِحْرَها ، واعترفت بذلك ، فأَمَرَت عبد الرحمن بن زيد[١]،

(١) القَوَدُ : القِصَاص ، وقتل القاتل بدل القتيل . المطلع على أبواب المقنع (٣٥٧/١) .

(٢) الأم (٢٥٦/١) ، وينظر : أحكام القرآن للجصاص (١ / ٦٢) ، وتفسير ابن كثير (١٤٩/١) .

(٣) ينظر ترجمته (ص: ٥٨) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٤) أخرجه أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني في مصنفه عن عَمْرِو بن شُعَيْبٍ عن سَعِيدِ بن الْمُسَيِّبِ ؛ تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ط٢/ ١٤٠٣هـ ، المكتب الإسلامي / بيروت، (١٠ / ١٨٧٥٢) رقم (١٨٧٥٥) ، آخر كتاب اللقطة ، باب قطع السارق ، وينظر : المحلى ؛ لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة / بيروت ، (٣٩٧/١١) ، وينظر : أحكام القرآن للجصاص (٦١/١) .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن جامع بن شدَّاد عن الأسود بن هلال (٥ /٤٢) رقم (٢٣٥٢٥) كتاب الطب ، في رقية العقرب والحمة من رخص فيها ؛ وهي رواية صحيحة ؛ فجامع بن شدَّاد قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة » ؛ تقريب التهذيب (١ / ١٣٧) رقم (٨٨٨) ، والأسود بن هلال قال عنه الحافظ ابن حجر : « مخضرم ، ثقة ، جليل » ؛ تقريب التهذيب (١ / ١١١) رقم (٥٠٨) ، وينظر : أحكام القرآن للجصاص (٦١/١) ، وتفسير الرازي (١٩٦/٣) .

(٦) ينظر ترجمتها ــ رضي الله عنها ــ (ص : ٥٨) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

فقتلَها [٢].

قوله ﷻ: ﭽ ۀ ہ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ

معناه : أن اليهود لو صدَّقوا النبيَّ ــ ﷺ ــ ، واتقوا السّحرَ ؛ لكان ثوابُ الله تعالى خيرًا لهم من كسبهم بالكفرِ والسّحرِ ، لو كانوا يعلمون حقيقةَ العلم .

والـمَثُوبَة : مَفْعُلَة من الثَّواب ؛ مثل : مَقُولَة ومَشُورَة ، فسكنت العين لما وقعت واوًا ؛ لِثِقل الضمة فيها ، وقرأها قَتَادة بفتح الواو ، فجعلها مَفْعَلة ؛ مثل : مَشوَرَة ومَثْوَبَة ، إلاَّ أنَّ الأكثر في هذا البناء أن ينقلوا حركة العين إلى ما قبلها ، ثم قد يحولونها ألفًا ؛ فتصير مثَابَة ومشَارَة[٣] ، وأصل الـمَثُوبَة : من ثَابَ يثُوبُ ثوبًا ومثابةً ؛ إذا رَجع ، ويُسمَّى الثوابُ ثوابًا ؛ لأنه يَرجعُ إلى الـمُثابِ من جزاءِ عملِه [٤].

والغرض من هذه الآيات ــ والله أعلم ــ أن بُهتَ اليهود وكذبهم حملهم على أنْ أخذوا السّحرَ من الشياطين ، وادعوا أنهم أخذوا من سليمان ــ عليه السلام ــ ، وأنَّ ذلك اسمُ

---

(١) ينظر ترجمته (ص: ٥٩) من قسم الدراسة من هذه الرسالة .

(٢) أخرجه (بنحوه) مالك بن أنس الأصبحي في الموطأ عن مُحَمَّدِ بن عبد الرحمن بن سَعْدِ بن زُرَارَةَ (٢/٨٧١) رقم (١٥٦٢) كتاب العقول ، باب ما جاء في الْغِيلَةِ وَالسِّحْرِ ، طبعة : دار إحياء التراث العربي / مصر ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال عنه الحافظ ابن حجر: « ثقة » ؛ تقريب التهذيب (١ / ٤٩٢) رقم (٦٠٧٤) ، وأخرج (بنحوه) عبد الرزاق في مصنفه عن مَعْمر عن أيوب عن نافع ؛ بلفظ : « أنَّ حفصة سُحِرت ، فأمرت عبيد الله أخاها ؛ فقتل ساحرتين » ؛ (١٠ / ١٨٧٥٢) رقم (١٨٧٥٧) آخر كتاب اللقطة ، باب قطع السارق ؛ وهي رواية صحيحة ؛ فمَعْمر بن راشد الأزدي قال عنه ابن حجر: « ثقة ، ثبت ، فاضل » ؛ تقريب التهذيب (١/ ٥٤١) رقم (٦٨٠٩) ، ونافع أبو عبد الله مولى ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال عنه ابن حجر : « ثقة ثبت » ؛ تقريب التهذيب (١/ ٥٥٩) رقم (٧٠٨٦) ، وأيوب السختياني قال عنه ابن حجر : « ثقة ثبت » ؛ تقريب التهذيب (١ /١١٧) رقم (٦٠٥) ، وينظر : تفسير ابن كثير (١/١٤٥) ، وأضواء البيان (٤/٥٣) .

(٣) ينظر: تفسير أبي حيان (/٥٠٤) ، وروح المعاني (١/٣٤٨) ؛ وكلاهما عن قتادة .

(٤) ينظر: لسان العرب (١/٢٤٣) مادة (ثوب) ، ومختار الصحاح (١/٣٨) مادة (ثوب) .

الله الأعظم ؛ ليكتسبوا بذلك .

((تمَّ الجزء المخصص لتحقيقه ولله الحمد والمنَّة))



الخاتمة

((فهرس المذاهب والفِرَق))